
155


KÖPRÜLÜ
155

كتاب [illegible] الملوك [illegible]

100

كتاب درة التنزيل وغرة التأويل
املاء الشيخ الامام العالم العامل العارف ابي
عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الرازي رحمه الله
تعالى بالقلعة الفخرية كتب برسم ولده
العزيز ملا عثمان حفظه الله تعالى
آمين يا رب العالمين



قال العلامة الجلال السيوطي في كتابه الاتقان في علوم القران النوع الثالث
والستون في الايات المتشابهات افرده بالتصنيف خلق اولهم فيما احسب
الكسائي ونظمه السخاوي والف في توجيهه الكرماني كتابه البرهان في متشابه
القران واحسن منه درة التنزيل وغرة التاويل لابي عبد الله الرازي الخ

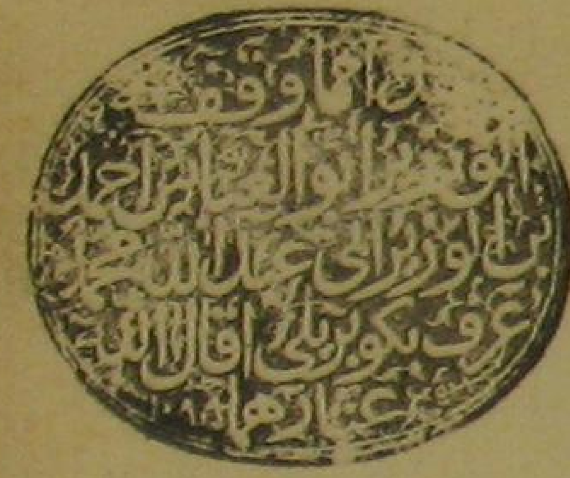
عفى عنه



بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين وعليه التكلان ولا قوة الا بالله رب يسر
الحمد لله حق حمده وصلوته على رسوله محمد وصحبه اعلموا وفقكم الله حملة الكتاب
الحكيم وحفظة القرآن الكريم ووفقكم الله للحق علمه بعد حق تلاوته واذاقكم من تأويله ما
يشغف قلوبكم بحلاوته اني مذ خصني الله باكرامه وشرفني بدراسة كلامه تدعوني
دواع قوية تبعثها روية في الآيات المتكررة بالالفاظ المختلفة في اماكنها
المتشابهة تطلبا للعلامات برفع لبس اشكالها وتخص اللفظة بآيتها
دون اشكالها فلم تزل تلك الدواعي تزيد وتنمي منذ الصبي وثوبه القشيب
الى ان عوضت منه ريطة المشيب فاتفقت خلوة سطوت على وحشتها بالقرآن
ولولا انه لم يكن لي بها يدان بعد ذلك بعد ما عملت من كتاب المعاني الاكبر والمبتدى
من احتجاج القراآت المختصرة وكانت هذه الخلوة خلوة عين لا خلوة قلب
والانفراد لا عن اختيار بل للقهر وغلب في حالة توزع الراي فيها مذاهبا واقتسم
الهم منها مطالب ففتقنا من اكمام المعاني ما اوقع قربانا وصار لمبهم المشابه
تبيانا فاذا عرفت ما لحيناه من الآثار لامت عند القراة بخوف العثار ثم
تطلع بعده على علوم تبدو للنفس وتحتقر معها بيان اللبس وترى مما لك لم
يملكها قبلك امة وما لكلم تجد في مدارجها همة فتعلم ان كلام الله جل ذكره وعلا
شانه وامره بحر لا تستنفد جواهره وذو عمق لا يبلغ آخره وحق من ذلك عليه
ان تدعو له بالرحمة والمعونة على شكر ما اولى من النعمة وتبلغه من حسن الجزا غاية
بان تقرا له في كل يوم آية يبقى عليه اجرها ولا يبخسكم ويزيده ثوابها فهو الغنم الذي
من حازه ظفرت يداه ولم يجزع لفوت ما عداه فالدنيا قد تتبرج بزخارفها
وتخدع نفس عارفها الا نفسا غلب نور قلبها ضياء بصرها وتصور العواقب
لا البوادي من زهرها وشوها ما تناظر بالفكر في قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك

ولا ينقصكم [illegible]

فليفرحوا



فليفرحوا هو خير مما يجمعون لا تحزن ان اجدبت مراعيها المنجعة ولا ان زويت
عنه عواريها المرتجعة شغلنا الله بالحق عما يلهي من احوال العاجلة وبالعمل عما
يلهون الا لا الآجلة انه سميع قريب واول ذلك قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن انت
وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
وقال في سورة الاعراف ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما
فعطف كلا على قوله اسكن بالفاء في هذه السورة وعطفها عليه في سورة البقرة بالواو
والاصل في ذلك ان كل فعل عطف عليه ما يتعلق به تعلق الجواب بالابتداء وكان الاول
مع الثاني بمعنى الشرط والجزاء فالاصل فيه عطف الثاني على الاول بالفاء دون الواو كقوله
تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا فعطف كلوا على
ادخلوا بالفاء لما كان وجود الاكل متعلق وجوده بوجوده لان من يدخل بستانا
قد يأكل منه وان كان مجتازا فلما لم يتعلق الثاني بالاول تعلق الجواب بالابتداء
وجب العطف بالواو دون الفاء وعلى هذا قوله تعالى في الآية التي بدانا بذكرها وقلنا
يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا وبقي ان نبين المراد بالفاء في قوله فكلا من
حيث شئتما من سورة الاعراف مع عطفه على قوله اسكن وهو ان اسكن يقال لمن
دخل مكانا فيراد الزم المكان الذي دخلته لا تنتقل عنه ويقال ايضا لمن لم يدخله اسكن
هذا المكان يعني ادخله واسكنه كما تقول لمن تعرض عليه دارا ينزلها سكنى
فتقول اسكن هذه الدار واصنع فيها ما شئت من الصناعات معناه ادخلها
ساكنا لها فافعل فيها كذا وكذا وعلى هذا الوجه قوله تعالى في سورة الاعراف وقلنا يا
ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا بالفاء فيكون احد الخطابين لهما قبل الدخول
والآخر بعده مبالغة في الاعذار وتوكيدا للانذار وتحقيقا لمعنى قوله ولا تقربا
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين الآية الثانية قوله عز وجل واتقوا يوما لا تجزي نفس

منه متعلقا بدخولها فكانه قال اذا دخلتموها
اكلتم منها فالدخول موصل الى الاكل والاكل متعلق
وجوده بوجوده يبين ذلك قوله تعالى في مثل هذه
الآية في سورة الاعراف

واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث [illegible] فعطف كلوا على [illegible] بالواو دون الفاء [illegible] الاكل [illegible]

السورة

عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون وقال
في هذه بعد العشرين والمائة واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون فقدم في الاول قبول الشفاعة
على اخذ الفدية وفي الثانية قبول الفدية على نفع الشفاعة والوجه في الاول انه
لما قال لا تجزي نفس عن نفس شيئا بمعنى لا يغني احد عن احد فيما يلزمه من العقاب
ولا يكفر سيئاته مما له من الثواب وهو كقوله تعالى واخشوا يوما لا يجزي والد عن
ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وهذه الاشياء التي ذكرت في الآية امتناع
وقوعها في الآخرة اربعة انواع تتقى بها المكاره وتداوى بها الشدائد الا ترى
العرب اذا دفع احدها الى كريهة وارتهنت نفسه بعظيمة وحاولت اعزته دفاع
ذلك عنه وتخليصه منه بدأت بما في نفوسها الابية من مقتضى الحمية فذبت عنه كما
يذب الوالد عن ولده بغاية قوته وجلده فان راى من لا قبل له بممانعته ولا يد له
بمدافعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف المسئلة والشفاعة فحاول بالملاينة
ما قصر عنه بالمخاشنة فان لم تغن عنه الحالتان من الخشونة والليان لم يبق بعدهما
الا فداء الشيء بمثله وفكه من الاسر بعدله اما بمال واما غيره فان لم تغن هذه الثلثة
تعلل بما يرجى في الاجل وادالة ترفع الخاتمة كما قال تعالى ومن بغي عليه لينصرنه الله وقال
تعالى فلا يسرف في القتل انه كان منصورا على احد وجوه التفسير فاخبر الله ان ما
يغني في هذه الدنيا عن المجرمين ويترتب هذه المراتب بين العالمين لا يغني
منه شيء في الآخرة عن الظالمين والفائدة في قوله في الآية الثانية وتقديم الفدية
على الشفاعة هي انه لما قال اتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ومعناه ما ذكرنا
عقبه بنفي الفداء لان النفس تجزي عن النفس بفداء موقت يرتهن عنها مدة معلومة
ويكون بعد ذلك فداء يفك الرهن ويخلصه من المتبعات فيكون معنى لا تجزي

مطلب

نفس عن نفس

نفس عن نفس شيئا لا يغني عنها بفداء محصور بموقت ولا بفداء يخلصه على وجه
الدهر ويكون بعد ذلك ولا تنفعها شفاعة معناه ولا يخفف مسئلة من
عذابها ولا ينقص شفيع من عقابها ولا هم ينصرون وهو الوجه الرابع الذي
ذكرناه اخيرا في شرح الآية المتقدمة **الآية الثالثة** قوله عز وجل واذ نجيناكم
من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم وقوله في سورة ابراهيم
عليه الصلوة والسلام واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل
فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم فادخل الواو في قوله ويذبحون
في سورة ابراهيم وحذفها منه في سورة البقرة جعل يذبحون بدلا من قوله يسومونكم
سوء العذاب والقول في ذلك انه اذا جعل يذبحون بدلا من قوله يسومونكم سوء
العذاب والقول في ذلك انه اذا جعل يذبحون بدلا من قوله يسومونكم سوء العذاب
لم يحتج الى الواو واذا جعل قوله يسومونكم سوء العذاب عبارة عن ضروب من المكروه
وهي غير ذبح الابناء لم يكن الثاني الا بالواو وهي انما وقعت هنا في خبر ضمن خبرا
متعلقا به لانه قال قبله ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات
الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور ثم قال واذ قال
موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم وضمن اخباره عن ارساله موسى باياته تنبيهه
قومه على نعمة الله ودعاءهم الى شكرها فكان قوله يذبحون في هذه السورة قصة
مضمنة قصة تتعلق بها هي قوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا والقصة المعطوفة
على مثلها يقوي معنى العطف فيها فيختار فيما كان يجوز فيه العطف على سبيل الاختيار
لا على سبيل الجواز وليس كذلك موقع يذبحون في الآية التي في سورة البقرة لانه تعالى اخبر عن
نفسه بانجائه بني اسرائيل وهناك اخبر عن موسى عليه الصلوة والسلام انه قال لقومه كذا
بعد ان اخبر عنه انه ارسله اليهم باياته فافترق الموضعان من هذا الوجه **الآية الرابعة**

وفي الموضعين يحتمل الوجهان الا ان الفائدة التي يجوز ان يكون خصصت لها الآية في سورة ابراهيم عليه الصلوة والسلام بالعطف بالواو صح

العطف صح

بيان انه ارسله

قوله تعالى وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا
الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين في هذه الآية ست
مسائل إذا قوبلت بالتي تشابهها من سورة الأعراف وهي قوله وإذ قيل لهم اسكنوا
هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم
خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا فالمسألة الأولى عطف كلوا
على ما قبله بالفاء في سورة البقرة وبالواو في سورة الأعراف وهذه قد مر الكلام
فيها مستقصى في قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وأما المسألة الثانية
فجمع الخطيئة على الخطايا في سورة البقرة وعلى الخطيئات في سورة الأعراف والمسألة
الثالثة إدخال الواو على سنزيد المحسنين في سورة البقرة وإسقاطها منها في سورة
الأعراف والمسألة الرابعة زيادة رغدا في البقرة وحذفه في الأعراف والمسألة الخامسة
تقديم وقولوا حطة في الأعراف وتأخيرها في البقرة والمسألة السادسة زيادة منهم
في سورة الأعراف في قوله فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم وسقوطها من
الآية في سورة البقرة فأما الكلام في الخطايا واختيارها في سورة البقرة فلأنها
بناء موضوع للجمع الكثير والخطيئات جمع السلامة وهي للأقل الدليل على ذلك أنك
إذا صغرت الدراهم قلت دريهمات فترددها إلى الواحد وتصغره ثم تجمعه على لفظ
القليل الملائم للتصغير وكذلك الخطايا لو صغرتها لقلت خطيئات فرددتها إلى خطيئة
وصغرتها على خطيئة ثم جمعتها جمع السلامة الذي هو على حد التثنية المنبئ عن
العدد الأقل من الجمع فإذا ظهر الفرق بين الخطايا والخطيئات وكان هذا الجمع المكسر
موضوعا للكثير والمسلم موضوعا للقليل استعمل لفظ الكثير في الموضع الذي جعل الإخبار
فيه عن نفسه بقوله وإذ قلنا ادخلوا وشرط لمن قام بهذه الطاعة ما يشترطه الكريم
إذا وعد من مغفرة الخطايا كلها وقرن إلى الإخبار عن نفسه جل ذكره ما يليق بجوده

وكرمه

وكرمه فأتى باللفظ الموضوع للشمول فيصير كالتوكيد بالعموم لو قال نغفر لكم خطاياكم كلها
جمع ومما لم يسند الفعل في سورة الأعراف إلى نفسه عز اسمه وإنما قال تعالى وإذ قيل
لهم اسكنوا هذه القرية ولم يسم الفاعل أتى بلفظ الخطيئات وإن كان المراد بها الكثير
كالمراد بالخطايا الآية أي في الأول لما ذكر الفاعل بما ذكر الفاعل بما هو لائق بضمان
اللفظ ولما لم يسم الفاعل في الثاني من سورة الأعراف وضع اللفظ غير موضوعه
للفرقان بين ما يعلق به على الأصل وبين ما يعدل عنه إلى الفرع والمسألة الثانية
في هذه الآية حذف من قوله سنزيد المحسنين في سورة الأعراف وإتيانها في سورة
البقرة والفرق بين الموضعين المؤثر في الموضع الذي يقصد فيه الفرق فيه دقيق
وهو أن قوله وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية ادخلوا في موضع المفعول من قلنا
والمفعول الأصل أن يكون مفردا ويكون مكان جملة والفاعل عند البصريين
لا يكون إلا مفردا ولا تصح الجملة مكانه ولذلك يقولون في قوله تعالى ثم بدا لهم من
بعد ما رأوا الآيات ليسجننه إن فاعل بدا هو البدا الذي دل عليه الفعل لأن
الفعل دال على مصدره وكذلك قوله أولم يهد لهم كم أهلكنا فاعل يهد عندنا
مفرد محذوف وعند الكوفيين يصح الجملة أن تقوم مقام الفاعل فعلى مذهبنا
وإذ قيل لهم اسكنوا الذي أقيم مقام فاعله قيل مفرد ولا يصح أن تكون جملة ولا
يجوز أن يكون اسكنوا مكان الفاعل كما كانت مكان المفعول في قوله وإذ قلنا
ادخلوا فعلى هذا التقدير يكون المقام مقام الفاعل لفظا مفردا هو القول كما كان
البدا فاعل قوله ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات وإذا خرج قوله اسكنوا عن أن
يكون فاعلا وكان لفظه في موضع الفاعل ولم يتعلق بالفعل الذي قبله تعلق
الفاعل بفعله ولا تعلق المفعول بفعله الواقع به في قوله وإذ قلنا ادخلوا صار
كأنه منفصل عن الفعل في الحكم وإن كان متصلا به في اللفظ وجواب الأمر الذي

ح

قوله صح

هو قوله اسكنوا نغفر لكم خطاياكم والجواب في حكم الابتداء ينفصل كما ينفصل
ولا دليل في اللفظ على انفصاله الا ينفصل ما اصله ان يكون متعلقا به بحرف
عطف وهو سنزيد المحسنين وحذف الواو منه واستينافه خبرا مفردا وهذه المسئلة
هي التي غلط فيها ابو سعيد السيرافي في اول ما شرحه من ترجمة الكتاب وهي قوله
هذا باب علم ما الكلم من العربية وعدّه للوجوه التي تحتملها هذه اللفظة وذكره
في جملتها هذا باب ان نعلم ما الكلم من العربية فجعل ما الكلم وهي جملة في موضع
الفاعل من نعلم وهذا باب يأباه مذهبه ويذهب عنه اهل البصرة وقد اومانا
الى غرضنا فيما نجوز ان تكون الواو محذوفة من قوله سنزيد المحسنين في سورة
الاعراف وثابتة في سورة البقرة فتاملها ان شاء الله تعالى والمسئلة الرابعة في
هذه الاية حذف قوله رغدا في سورة الاعراف والاتيان به في سورة البقرة ه
والجواب عنها نحو الجواب عن قوله نحن الخطيات والخطايا لانه لما اسند الفعل الى
نفسه عز وجل كان اللفظ الاشرف فذكر معه الانعام الاجم وهو ان ياكلوا رغدا ولما
لم يسند الفعل في سورة الاعراف الى نفسه لم يكن مثل الفعل في سورة البقرة فاذا
تقدم اسم المنعم الكريم اقتضى ذكر نعمته الكريمة والمسئلة الخامسة في هذه الاية
تقديم قوله وقولوا حطة في سورة الاعراف وتاخيره في سورة البقرة عن قوله ه
وادخلوا الباب سجدا والجواب ان ما اخبر الله تعالى به من قصة موسى وبني اسرائيل
وسائر الانبياء وحكاه من قولهم وقوله لهم لم يقصد الى حكاية الالفاظ باعيانها
وانما قصد الى اقتصاص معانيها وكيف لا يكون كذلك واللغة التي خوطبوا بها غير العربية
فاذن حكاية اللفظ زايلة وتبقى حكاية المعنى ومن قصد حكاية المعنى كان مخيرا
ان يؤديه باي لفظ اراد وكيف شاء من تقديم وتاخير بحرف لا يدل على ترتيب كالواو
لو قصد حكاية اللفظ ثم وقع في المحكي اختلاف لم تجز لو قال قائل حاكيا عن عمرو قال

اليه
عن ذلك لما يحتاج في هذه الايات التي قصدنا للفرق بين مختلفاتها صح

فلان

٥

فلان زيد وعمرو ذهبا وكان هذا اللفظ محكيا ثم قال ثانيا قاصدا الى
حكاية هذه اللفظة من كلامه عمرو وزيد ذهبا لم تجز له ذلك لانه تجوز قوله واخّر
ما قدمه فان قصد حكاية المعنى كان ذلك مرخصا له المسئلة السادسة في هذه الاية
قوله تعالى في هذه السورة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم وقال في سورة الاعراف
في هذه القصة فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فللسائل ان يسئل فيقول هل
في زيادة منهم في هذه الاية في سورة الاعراف حكمة وفايدة تقتضيها ليست في
سورة البقرة الجواب ان يقال ان قوله فبدل الذين ظلموا وان لم يذكر فيه منهم معلوم
ان المراد بالظالمين الذين ظلموا من المخاطبين بقوله ادخلوا هذه القرية فكلوا
وقولوا حطة فالذين ظلموا من هؤلاء هم الموصوفون بالتبديل والمغريون لما قدم
اليهم من القول الا ان في سورة الاعراف معنى يقتضي زيادة منهم هناك ولا
يقتضيها في سورة البقرة وهو ان اول القصة في سورة الاعراف يبنى على
التخصيص والتمييز بلفظة من لانه تعالى قال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه
يعدلون فذكر ان منهم من يفعل ذلك ثم عدد صنوف انعامه عليهم واوامره
لهم فلما انتهت قال فبدل الذين ظلموا منهم قولا فاتى في اخر ما حكى عنهم من مقابل
نعمة الله عليهم بتبديلهم ما قدم به القول اليهم فاتى بلفظة من التي هي للتخصيص
والتمييز بناء على اول القصة التي هي ومن قوم موسى ليكون اخر الكلام لاوله
مساوقا وعجزه لصدره مطابقا فيكون الظالمون من قوم موسى بازاء الهادين
منهم فهناك ذكر امة عادلة هادية وهنا ذكر امة جايرة عادية وكلتاهما من
قوم موسى فاقتضت التسوية في المقابلة ذكر منهم في سورة الاعراف واما في سورة
البقرة فانه لم يبن الايات التي قبل قوله فبدل الذين ظلموا قولا على تخصيص وتعيين
فتحمل الاية الاخيرة على مثل حالها الا ترى انه قال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي

منهم صح

التي انعمت عليكم ثم تكرر الخطاب لهم الى ان انتهى الى قوله وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم
المن والسلوى وقوله واذ قلنا ادخلوا هذه القرية وتعقيبه بقوله فبدل الذين ظلموا
فلم يحتج الى منهم لانه لم يتقدمه ما تقدم في سورة الاعراف مما يقتضيها الآية الخامسة
قوله تعالى في سورة البقرة ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
بغير الحق بالالف واللام وفي سورة ال عمران ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون
النبيين بغير حق نكرة غير معرفة وكذلك في هذه السورة ويقتلون الانبيا بغير حق
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء والجواب عن ذلك ان الاية الاولى
في سورة البقرة خبر عن قوم غبروا وعرفت افعالهم ومضت ازمنتهم فلما شهروا
وشهر فعلهم بنوعهم منهم وقتل الحق هو ما قال الله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
الا بالحق والحق هو ان يكون قتل نفسا مؤمنة لم تجب عليها القتل والقاتل مكلف
او ان يرتد او يزني وهو محصن فهذا معلوم تخبر عنه بلفظ المعرفة والقتل وقع
منهم من غير ان كان على الاوجه الثلثة المعلومة على ان هذه الاية ليس فيها فيقال كان صح
قبلي قوله ويقتلون النبيين كناية لانه لا يقتل نبي لانه لا يرتكب واحدا من الاوجه
الثلثة التي توجب القتل وعن هذا اجوبة منها ما ذكرنا والآخر ان يقال المعنى
انهم كانوا يقتلونهم من غير ان وقع منهم ما يوجب عليه القتل عندهم وفي دينهم
وليس هذا موضع ذكر هذه الوجوه وانما القصد في هذا المكان الى التفرقة بين
لفظ النكرة والمعرفة والموضع الثاني الذي نكر فيه حق هو خبر عن قوم يرون ذلك
ويعتقدونه ويدينون به الآن وقال تعالى ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون
النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب وقال صح
اليم في اول الاية ان الذين يكفرون ولم يقل الذين كفروا فلما لم تكن هذه الحال
واقعة منهم كانت مخالفة للحال الواقعة التي جعلت خبرا عن قوم مضوا على
هذ

بهذه الافعال فقال فيهم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فاما قوله ضربت
عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس فهو خبر عن قوم كانوا
في عصر النبي صلى الله عليه وسلم فقال ضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم يكفرون بايات كانوا صح
الله ويقتلون الانبياء بغير حق فكان خبرا عن اعتقادهم لانه لا يجوز ان يعاجل
ويضرب عليهم الذلة والمسكنة بذنوب وقعت من آبائهم لا منهم فيصيرون مثل
الاولين الذين اخبر عنهم بقوله ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون
في تمييزه عن القوم الذين كانوا في عصر موسى عليه الصلوة والسلام فقال لهم اهبطوا
مصرا فان لكم ما سالتم فاختير لفظ المعرفة في القصة التي وقع التهدد مقارنا
لها ليمنع من وقوعها وما كان في حيز ما لم يقع فالذنب في حيز المذكور والعقاب
عليه مثله كالمذكور الآية السادسة قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا
والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم
وقال في سورة المائدة ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال
في سورة الحج ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة ان الله على كل شيء شهيد
للسائل ان يسئل فيقول هل في اختلاف هذه الآيات بتقديم الفرق وتاخيرها
ورفع الصابئين في اية ونصبها في اخرى غرض يقتضي ذلك فالجواب ان يقال
اذا اورد الحكيم تعالى اية على لفظة مخصوصة ثم اعادها في موضع اخر من القران
وقد غير فيها لفظة عما كانت عليه في الاولى فلا بد من حكمة هناك تطلب فان
ادركتها فقد ظفرت وان لم تدركها فليس لانه لا حكمة هناك بل جهلت فاما
الآية الاولى في سورة البقرة فان فيها مسائل ليس هذا المكان مكانها لانه

تعالى كيف قال ان الذين آمنوا من آمن بالله واليوم الآخر الآن الذي
نذكره في هذا المكان هو ان المعنى ان الذين آمنوا بكتب الله المتقدمة
مثل صحف ابراهيم والذين آمنوا بما نطقت به التوراة وهم اليهود والذين
آمنوا بما اتى به الانجيل وهم النصارى فهذا ترتيب على حسب ما ترتب تنزيل
التوراة وكتبه فصحف ابراهيم عليه الصلوة والسلام قبل التوراة المنزلة على
موسى عليه الصلوة والسلام والتوراة قبل الانجيل المنزل على عيسى عليه الصلوة
والسلام فرتبهم عز وجل في هذه الآية على ما رتبهم في بعثة الرسالة ثم اتى بذكر
الصابئين وهم الذين لا يثبتون على دين وينتقلون من ملة الى ملة ولا
كتاب لهم كما للطائفتين اللتين ذكرهما الله في قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب
على طائفتين من قبلنا فوجب ان يكونوا متاخرين على اهل الكتاب واما بعد
هذا الترتيب فترتيبهم في سورة المائدة وتقديم الصابئين على النصارى
ورفعه هنا ونصبه هناك ترتيبان فالاول على ترتيب الكتب والثاني على
ترتيب الازمنة لان الصابئين وان كانوا متاخرين عن النصارى بانه
لا كتاب لهم فانهم متقدمون عليهم بكونهم قبلهم لانهم كانوا قبل عيسى عليه الصلوة
والسلام فرفع الصابون ونوى به التاخير عن مكانه كانه قال بعدما اتى بخبر ان
الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
فلا خوف عليهم والصابئون هذا حالهم وهذا مذهب سيبويه لانه لا يجوز
عنده ولا عند البصريين وكثير من الكوفيين ان زيدا وعمرو قائمان فكان
والفراء يجيز هذا على شريطة ان يكون الاسم الاول منصوبا بان الاعراب
فيه ان هذا وهذان قائمان وهذا من كبار المسائل ذوات الشعب ويتعلق
بالخلاف بين البصريين والكوفيين في ان لها عملين النصب والرفع على مذهب

البصريين

البصريين فان لها عملا واحدا وهو النصب على مذهب الكوفيين الا ان مذهب
الصحيح ما ذهب اليه سيبويه وهذه الآية تدل عليه لانه قدم فيها الصابئون
والنية بها التاخير على مذهب سيبويه وانما قدم في اللفظ واخر في النية لان التقديم
الحقيقي التقديم بكتبه المنزلة على انبيائه عليهم السلام فاذا فعل ذلك في الآية الاولى
وكان ههنا تقديم آخر بتقدم الزمان وجاءت آية اخرى قدم فيها هذا الاسم
على ما اخر عنه في الآية التي قبلها اقيمت في اللفظ امارة تدل على تاخيره عن مكانه الاول
كان ذلك دليلا على ان هذا الترتيب ترتيب بالازمنة وان النية به التاخير
والترتيب بالكتب المنزلة واما الترتيب الثالث في سورة الحج فترتيب لا
نية للتاخير معه لانه لم يقصد في هذا المكان اهل الكتب اذ كان اكثر من ذكر
ممن لا كتب لهم وهم الصابئون والمجوس والذين اشركوا عبدة الاصنام فهذه
ثلث طوايف واهل الكتاب طائفتان فلما لم يكن القصد الا على الاكثر من المذكورين
ترتيبهم بالكتب رتبوا بالازمنة واخر الذين اشركوا لانهم وان بعدت لهم ازمنة
وكانوا في عهد اكثر الانبياء الذين تقدمت نعتهم صلوات الله عليهم فانهم كانوا
اكثر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانهم لما كانوا موجودين في
عصر النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل زمانه وهذا الزمان متاخر عن ازمنة الفرق
الذين قدم ذكرهم الآية السابعة في هذه السورة قوله تعالى وقالوا لن
تمسنا النار الا اياما معدودة وقال عز وجل في سورة آل عمران قالوا لن تمسنا
النار الا اياما معدودات وللسائل ان يقول ما الفرق بين اللفظتين ولم كانت
الاولى معدودة والثانية معدودات والموصوف في المكانين موصوف
واحد وهو قوله اياما والجواب عن ذلك ان يقال الجمع بالالف والتاء اصله
للمؤنث نحو مسلمة ومسلمات وجفنة وجفنات ومكسورة ومكسورات لا يكاد

يجئ الجمع الذي واحده مذكر بهذا البناء الالفاظ معدودة نحو حمام وحمامات
وجمل سبطر وجمال سبطرات واما قولهم كوز مكسور وجرة مكسورة
فان ما فيه هاء التانيث التي تجمع على مكسورات فيقال جرار مكسورات
وكيزان مكسورة وثياب مقطوعة وسرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق
مصفوفة فالصفة الجارية على جمع مذكر الواحد ليستمر فيها التانيث على الحد
الذي بينته وعلامة الجمع المؤنث الواحدة الالف والتاء في الاصل فلما كان
معدودة من المطرد المستمر استعمل لفظها في الاول ولما كان الجمع بالالف والتاء
قد يكون فيما واحده مذكر وان قل وكان سبيله سبيل المجاز يستعمل فيه كقوله
واذكروا الله في ايام معدودات وقال في ايام معلومات والايام جمع وهو مذكر
فيكون بهذا احد الوجهين اما ان يكون المراد اذكروا الله في ساعات ايام معدودات
لان المراد ان يكبر في اليوم الواحد في ادبار الصلوات الخمس المكتوبة فحذف الساعات
واقيم المضاف اليه مقامها واما ان يكون الحق بما في واحده علامة التانيث
لاستوائهما في الجمع ودخولهما في الفرعية التي يكتسبان لفظ المونث فحمل
جرار مكسورة والجرة مونثة جاز ايضا كيزان مكسورات حملا على الجمع الذي
يساويه في التانيث الذي ليس بحقيقي واذا كان ذلك كذلك فمعدودة المذكورة
في الاية التي في سورة البقرة مستمرة في بابها وباب غيرها والجمع بالالف والتاء
ليس بمستمر وانما هو على ضرب من التشبيه بما اصله الالف والتاء فكان استعمالها
اولا اولى لجواز الالف والتاء على طريق الاستمرار استعمل في الثاني ليشمل الاصل
والجائز بالاستعمال فاما المعنى في العلة فيتبين في قوله معدودة ومعدودات وقد
يقال ايضا اياما معلومات على ان يكون الايام تسعة في الاصل فثلثة منها
ايام معلومة وثلثة اخرى مثلها وثلاثة ثالثة معلومة ثم تجمع الثلاثات

على الايام

وليس قولك كيزان مكسورة ح

ح يوم ح

على الايام المعلومات على ان واحدتها ايام معلومة والمعلومة تجمع على معلومات
الاية الثامنة في هذه السورة قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن
يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم وقال عز وجل في سورة الجمعة فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم وللسائل ان يقول هل في الاية الاولى
ما يقتضي ان الناصبة وفي الاية الثانية ما يوجب الاقتصار على لا ورفع الفعل
بعدها والجواب ان يقال ان الاية الاولى لما كانت مفتتحة بشرط علقت صحته
بتمني الموت ووقع هذا الشرط غاية ما يطلبه المطيع ولا مطلوب وراءه على ما ادعوه
لانفسهم وهو ان لهم الدار الاخرة خالصة من دون غيرهم وجب ان يكون ما
يبطل تمني الموت المؤدي الى بطلان شرطهم اقوى ما يستعمل في بابه وابلغه في نفي
ما ينتفي في شرطهم به فكان ذلك بلفظ ان التي هي للقطع والثبات ثم اكد
بقوله تعالى ابدا ليبطل تمني الموت الذي يبطل دعواهم بغاية ما يبطل به مثله
الا ترى انه ليس بعد حصول الدار الآخرة خالصة لانه من الامم متعرض لمعترض
ولا مطلب لمطالب وليس كذلك الشرط الذي علق به تمني الموت في سورة الجمعة
لانه قال قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس
فتمنوا الموت وليس زعمهم انهم اولياء لله من دون الناس المطلوب الذي
لا مطلوب وراءه لانهم يطلبون بعد ذلك اذا صح لهم هذا الوصف دار
الثواب فلما كان الشرط في هذا المكان حاصلا عن الشرط في المكان الاول
ولم يكن الدعوى دعوى غاية المطلوب لم يحتج في نفيه وابطاله الى ما
هو غاية في بابه فوقع الاقتصار على لا يتمنونه وليس في لفظه معنى
التابيد وانما حصل ذلك فيه بما قارنه من قوله ابدا فكان الاول اوكد
وابلغ لان لفظتي الفعل والاسم للتابيد فافترق الموضعان بهذا المعنى

٧ قام اه

الآية التاسعة في هذه السورة قوله عز وجل قل ان هدى الله هو الهدى ولئن
اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير وقال في هذه السورة
وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك
اذا لمن الظالمين وقال في سورة الرعد ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم
مالك من الله من ولي ولا واق للسائل ان يقول ما في هذه المواضع بمعنى الذي فما الفائدة
في اخراج بعضها على لفظ الذي وايقاع الآخر على لفظ ما وادخال من في بعد في قوله
من بعد ما جاءك من العلم وهل بين قولك من بعد ما جاءك من العلم وقولك بعد ما جاءك
من العلم فرق وهل بين الذي وما فرق والجواب عن ذلك ان يقال نبين اولا
الفرق بين الذي وبين ما ليصح الفصل ويظهر موقع كل واحد منهما والمعنى الذي
يليق بهم اعلم ان ما اذا كانت بمعنى الذي فانها توافقها بانها تبين بصلتها
وتخالفها باشياء كثيرة فيصير الذي متضمنة من البيان ما لا يتضمنه ما فمن ذلك
انك تدخل على الذي اسماء الاشارة فيكون الذي صفة لها كقوله تعالى امن
هذا الذي هو جند لكم وقوله امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه فيكون
الذي بيانا ان احدهما الاشارة قبلها والآخر الصلة بعدها ولا يكون
ذلك في ما لانها لا يوصف بها كما لا يوصف بالذي لا تقول امن هذا ما هو
جند لكم والثاني ان ما تنكر فيجيء ما كان صلة لها صفة فيها وليس ذلك
في الذي كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال
والثالث ان الذي تثنى وتجمع وتؤنث فتلحقها هذه العلامات بيانا
لهذه المعاني وما لا يلحقها ذلك بل هي على لفظة واحدة في التثنية والجمع
والتانيث والرابع ان الذي قد لزمتها امارة التعريف وهي الالف واللام وليس ذلك
ولا شيء مما ذكرنا في ما ولشدة ابهامها خص التعجب بها لان سبب العجب اذا استبهم كان ابلغ

في معناه

في معناه فاذا ثبت ان الذي وما التي بمعناها لم تحتمل التعجب [illegible] نقصان والذي
تزيد على ما في وجوه البيان التي ذكرنا رجعنا الى الآيات الثلث وبينا ما يليق
من الكلمتين بكل آية فكان قوله تتبع بعد الذي جاءك من العلم واقعا بعد خبر الله
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم اي لا ترضى عنك اليهود
حتى تتبع ملتها ولن ترضى عنك النصارى حتى تتبع ملتها واتباع الملتين في عصر
النبي صلى الله عليه وسلم كفر ولذلك قال الله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى
اي الايمان الذي بعثك به هو الطريق المؤدي الى ارضاء الله والى ثوابه ثم قال
ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا
نصير فمنعه من اتباع الفريقين بالعلم الذي حاصله صحة الايمان وبطلان
الكفر فالذي في هذا المكان واقعة على العلم الذي ثبت به الاسلام وصح الايمان
وكما ان هذا العلم مانع من الكفر الذي هو اكبر الذنوب فالعلم الذي يمنع منه افضل
العلوم فاذا عبر عنه باحد هذين الكلمتين المبهمين وجب ان تخص منهما بالاشهر
اذ كان للعلم المحيط بالاكثر وهو جملة الذين فاما الموضعان الآخران فليس القصد
فيما عبر بلفظة ما عنه فيهما مثل القصد في الآية الاولى وذلك ان قوله من بعد ما
جاءك من العلم جاء بعد خبر الله تعالى عن مخالفة اهل الكتاب للنبي صلى الله عليه
وسلم في القبلة لانه قال عز اسمه ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما
تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت
اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين فمنع عز وجل عن اتباع
اهوائهم في امر القبلة وهو بعض الشرع بما حصل له من العلم بان القبلة هي التي
امر عليه الصلوة والسلام بالتوجه اليها فاذا كان ذلك بعض الشرع كان العلم
بصحته بعض علم الشرع ولم يكن كالعلم في الآية الاولى الذي هو محيط بكل الشرع

وكل الايمان فلما كان لبعض العامل البعض ما وقع عليه الاول لم يشتهر شهرته فعبر عنه
بلفظ باللفظ الاقصر لما خص الاول باللفظ الاشهر وكذلك قوله تعالى في سورة
الرعد ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا
واق انما جاء بعد قوله والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك
ومن الاحزاب من ينكر بعضه فنهى الله عز وجل عن اتباع اهوائهم في البعض
مما انزل اليه وهو ينكره الاحزاب بما ثبت له من العلم بصحة هذا البعض الذي
ينكرونه كما ثبت له بباقيه فلما كان هذا العلم ببعض الذي عبر عنه بلفظ الذي
ما كان يقع في الابعاض هي مجموعة في الاول التي عبر عنه باللفظ الاشهر فكان
العلم المانع من اتباع اهوائهم فيه مثل العلم المانع من اتباع اهوائهم
في امر القبلة فعبر عنه بمثل ما عبر به عن ذلك فان قال فكيف خص ما في القبلة بلفظة
من وقال من بعد ما جاءك من العلم ولم يكن ذلك في قوله بعد الذي ولا في قوله في
سورة الرعد ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم وهل الاختصاص هذا
المكان بمن فائدة تخصه دون المكانين الاخرين قلت هنا فائدة تقتضي
من وليست في الايتين الاخريين وهي ان امر القبلة مخصوص بفرايض
مضيقة واتيان خمسة لها في اليوم والليلة موقتة فخص عن التي هي لابتداء
الغاية والقبلة يشرع كان يجوز نسخه كما نسخ ما هو مثله فكانه قال هناك ولئن
اتبعت اهواءهم من الوقت الذي جاءك العلم فيه بالقبلة التي وليتها وامرت بالتوجه
اليها صرت من الظالمين فلما تخصص بوقت مضيق محدود لم يكن بد من معنى
من العلم بالوقت الذي نقل فيه عن القبلة الاولى الى غيرها وليس كذلك ما بعد قوله
قل ان هدى الله هو الهدى لان العلم الذي وقع التوعد معه على اتباع اهواء
اهل الكتاب لم يتخصص وجوب العمل به بوقت دون وقت اذ كان واجبا

واقعا مع

تامل

من

في الاوقات

في الاوقات كلها ولم يكن مما يجوز ان ينسخ لانه علم بالايمان وصحته بالاسلام وبطلان
الشرك والكفر فلما لم يتخصص وجوبه بوقت دون اخر لم يحتج معه الى لفظة من
التي هي للحد وابتداء الغاية وكذلك الاية في سورة الرعد لما كان العلم المانع
من اتباع اهوائهم علما بان جميع ما انزل الله حق وان قول الاحزاب الذين
ينكرون بعضه باطل كان هذا ايضا من العلوم التي لا تتخصص الغرض فيها بوقت
يجب حده بحين بل هو واجب في الاوقات كلها فلم يكن لدخول من في الايتين مقتضى
كما كان له في الاية المتوسطة ومما يبين لك الاغراض التي اشرنا اليها في الايات الثلث
وانها يجوز ان يكون مقصودة والله اعلم ما اقترن من الوعيد بكل واحدة منها
فالموضع الذي منعه لعلمه من اتباع اهوائهم في قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا
النصارى حتى تتبع ملتهم هو منع عن الاعظم الذي هو الكفر فصار الوعيد فيه
اغلظ وهو قوله ما لك من الله من ولي ولا نصير والاية الاخرة ايضا لما كان العلم
بها مانعا من العمل بشطر من الدين وترك شطر منه كان مثل الاول في استحقاق
الوعيد فكان مثله في الغلظ وهو قوله ما لك من الله من ولي ولا واق واما اتباع
اهوائهم في امر القبلة فلانه مما يجوز نسخه فكان الوعيد عليه اخف من الوعيد على ما
هو الدين كله او بعضه مما لا يصح تبديله وتغييره فصار الوعيد المقارن له دون الوعيد
فكان مثله في الغلظة وهو قوله ما لك من الله من ولي ولا واق واما اتباع اهوائهم
في امر القبلة فلانه مما يجوز نسخه فكان الوعيد عليه اخف من الوعيد على ما هو الدين
فصار الوعيد المقارن له دون الوعيد المقرون بالموضعين الاخرين وهو قوله
ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين اي ان فعلت
ذلك وضعت الشيء غير موضعه ونقصت الدين في حقه فهذا الكلام في الفرق بين
المواضع الثلثة الاية العاشرة في هذه السورة قوله عز وجل واذ قال ابراهيم رب

اجعل هذا البلد آمنا وقال في سورة ابراهيم عليه الصلوة والسلام واذ قال
ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا فللسائل ان يسأل فيقول لم كان بلدا في سورة
البقرة نكرة وفي سورة ابراهيم معرفة الجواب عن ذلك من وجهين احدهما
ان يقال الدعوة الاولى وقعت فلم يكن المكان قد جعل بلدا فكانه قال اجعل هذا الوادي
بلدا آمنا لان الله تعالى حكى عنه انه قال ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي
زرع عند بيتك المحرم وقوله اجعل هذا الوادي بلدا آمنا وجه الكلام فيه بتنكير بلد
الذي هو مفعول ثان وهذا مفعول اول والدعوة الثانية وقعت وقد جعلت بلدا
فكانه قال اجعل هذا المكان الذي صيرته كما اردت ونصرته كما سالت ذا امن على
من اوى اليه ولاذ به فيكون البلد بعد هذا عطف بيان على مذهب سيبويه وصفة
على مذهب ابي العباس المبرد وآمنا مفعول ثان فعرف حيث عرف بالبلدية ونكر حيث
كان مكانا من الامكنة غير مشهور بالتميز عنها بخصوصية من عمارة وسكنى الجواب الثاني
ان يكون الدعوتان واقعتين بعد ما صار المكان بلدا وانما طلب الى الله تعالى
ان يجعله آمنا والقايل يقول اجعل ولدك هذا ولدا اديبا وهو ليس يامره ان يكون
رجلا وانما يامره بما جعله وصفا له من السخا فذكر الموصوف واتبعه الصفة وهو كما
يقول كان اليوم يوما حارا فيجعل يوما خبر كان وحارا صفة ولم يقصد ان يخبر عن
اليوم بانه كان يوما لانه يصير خبرا غير مفيد وانما القصد ان يخبر عن حر اليوم وكان
الاصل ان يقول كان اليوم حارا فاعرب لفظ يوم ليجمع بين الصفة والموصوف فكانك
قلت كان هذا اليوم من الايام الحارة وكذلك تقول كانت الليلة ليلة باردة فتنصب
ليلة على انها خبر كان وحكم الخبر ان يتم به الكلام ولو تخلت لو كانت الليلة ليلة لم يكن
كلاما تاما لان القصد الى الصفة الى الصفة دون الموصوف كذلك قوله اجعل هذا
البلد آمنا ويكون الدعوة واحدة قد اخبر الله تعالى عنها في موضعين واما من يقول

بلدا آمنا فتدعو له بالامن
بعد ما قد صار بلدا عامرا
مسكونا ويكون مثل قوله
اجعل هذا صح

انه جعل

انه جعل الاول نكرة فلما اعيد ذكرها اعيد بلفظ المعرفة كما تقول رايت رجلا
فاكرمت الرجل فليس بشيء وليس ما ذكر مثل هذا المكان مكانه والاية الحادية عشر في هذه
السورة مفارقة الآي التي شرطنا الفرق بينها وبين ما خالفها بلفظ يسير من الآية
التي بازائها غير انها مثلها في التكرير والحاجة الى ذكر الفائدة واعادتها وهي قوله تع
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون للسائل في
ذلك سؤالان احدهما ان تقول ما فائدة الآية وهي خبر يعلمه المخاطب قبل ان يخبر به فلا
يستفيد بذكره ما لم يكن علمه قبل لانه يعلم ان الامة التي وصاها يعقوب على نبينا وعليه
الصلوة والسلام قد مضت وانقضت ولها ما كسبت من اجر وعليها ما اكتسبت



من اثم وللمخاطبين ايضا ان يؤاخذوا بعملهم لا بعمل غيرهم ولا يسئلون عما عمله من
تقدمهم واذا كان معنى الآية هذا فهو معلوم لكل مميز لا يحتاج الى استفادة
باخبار مخبر والسؤال الثاني هو عن تكرار هذه الآية لانها ذكرت في صدر العشر المفتتحة
بقوله تعالى اذ قال له ربه اسلم ثم اعيدت في خاتمة هذا العشر التي تنقطع الى قوله
سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فاما الجواب عن السؤال الاول
فائدة الآية مع وضوح معناها لكل ذي معرفة فمن وجهين احدهما ان يكون
مثل هذا الكلام يقال وان كان معلوما للانسان على سبيل التنبيه على العصيان
والبراءة اليه من فعله وانه هو المؤاخذ به من دون غيره فيخرج الكلام على حد العداوة
والتصرف لا مذهب لاحد عنه ويكون ذلك ادعى له الى التامل والتدبر واقرب له من
التبصر كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون
مما اعمل وانا بريء مما تعملون فهذا ايضا معلوم الآية على سبيل تخليتهم مع النظر لانفسهم
والتبري مما يعود بسوء العاقبة عليهم وعلى هذا الحد لكم دينكم ولي دين وهذا كثير والقصد
به مفيد كما بينا والوجه الثاني من الجواب عن السؤال الاول ان يقال ان هذه الآية

تبكيت للمعاندين من اهل الكتاب ادّعوا ان لزوم دينهم وشريعتهم مما
اوجبه الانبياء عليهم السلام على سلفهم وخلفهم فاحتج عليهم فان ما يدّعونه لا يقدرون
فيه على ان يقولوا انهم سمعوا ذلك منهم مشاهدة لقوله تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر
يعقوب الموت على معنى لم يكونوا شهداء فاذا لم يثبت ذلك بمشاهدة تقطع المعذر
وتلزم الحجة لان تلك الامة قد خلت وانقضت وادّيت عن الله ما تحمّلت وهو ان
يكون التورية قد اخبرت بمجئ عيسى والنبي عليهما الصلوة والسلام بعده فلها الاكبر
في صحة ادائها واظهارها ما اخذ الله به الميثاق عليها في قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننّه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا ه
قليلا فهذا معنى قوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم يبين ذلك انه لم
يعلموا ما يدّعونه من طريق المشاهدة لم يبق الا ان يعلموه بخبر مخبر والخبر الذي لا
يكذب بنبيه على ذلك قوله عند الانتهاء ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل انتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم — هودا
شهادة عنده من الله اي اذا لم تعلموا ذلك من طريق مشاهدة لانقضاء تلك الامم
فالله تعالى منكم اعلم وقيله اصدق من قيلكم وانتم تعلمون فتكتمون ما عندكم من الشهادة حسدا
وبغيا وطلبا للرياسة والله تعالى قد ثبت ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وان هذا — انه رسوله صح
القرآن تنزيله بحجج لايحة وبراهين واضحة وهو عز وتعالى يخبر خبرا حقا وقولا صدقا
ان الذي يدعون نقله عنهم ليس بحق فاذا بطلتم علما من طريق الشهادة وطريق الخبر
لم يثبت لكم من الحجة ما ثبت عليكم ويكون معنى قوله تسئلون عما كانوا يعملون لا
يسئلون عن عملهم لانهم لا حجة لكم فيه بل الحجة عليكم به لان عليهم ابلاغهم الرسالة وبها
ما هو حجة عليكم وقد قاموا به حق القيام وثبت لهم صدق هذا المقام فلا تسئلون
عن عملهم الذي هذه صفته ولا يقال لكم هل ذلك اليكم لوضوح الحجة به عليكم وتجوز

ان يكون

ان يكون في هذه الآية وهي مسئولون عن عملكم تبكيتا لكم وتبيينا لحجتهم عليكم فيذكر احد
الضدين ويكتفى به عن الضد الذي ينافيه كما قال تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم
الحرّ ومعناه تقيكم الحر والبرد فكذلك قوله ولا تسئلون عما كانوا يعملون وهم
مسئولون عن عملكم كما قال الله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله فاخبر انه يسئل عيسى عن عمل القوم بعده وادّعائهم
عليه ما لم يقله تبكيتا للقوم وتبيينا للحجة عليهم فكذلك معنى المحذوف من الآية بازاء
المثبت فيها والنفي يذكر عنها ونفي الجواب عن فايدة تكرار الآية في اول هذه العشرة
وفي آخرها وهو انها ذكرت في الاول بعد قوله ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسحق الها — واسماعيل صح
واحدا ونحن له مسلمون تلك امة قد خلت ومعناه ان اسرائيل عليه الصلوة والسلام قرر
بنيه على عبادتهم التي ثبتت عندهم ووصاهم بها فقال الله تعالى لهؤلاء اتنفون ما
ثبت من وصية يعقوب عليه السلام وتقريره اياهم واقرارهم به والامة قد انقضت
وحالها في عبادتها قد ثبتت ومن نفى ما ثبت من الدين فقد دخل في الكفر بهذه الآية
الاولى عقيب ما ثبت من تقرير يعقوب عليه السلام لبنيه واقرارهم له وهذه الآية كررت
بعينها بعد قوله ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق الآية ام يثبتون ما هو
منتف ومن اثبت في الدين ما ليس فيه من هذا العظيم فهو الآثم كمن نفى عنه ما فيه ففي الاولى
نفي ما هو ثابت من اقرار بني اسرائيل وفي الثاني اثبات ما هو منفي من كون ابراهيم واسماعيل
كانوا هودا او نصارى وكل واحد من هذين يوجب من البراءة ويستحق به من غلظ
الوعيد والتخويف بالعقاب والتنبيه على الكبيرة التي تحبط الحسنات مثل ما يوجبه الاخر ه
فلذلك اعيد في الدعوى الثانية الباطلة ما قدم في الدعوى الاولى الكاذبة فكما استحقت
تلك براءة الذمة من قائلها وتنبيهه على فساد قوله كذلك استحقت هذه فصارت الثانية

في مكانها وحقها كما وقعت الاولى في محلها وبحقها ولم يكن ذلك تكرارا بل كان وعيدا
عقب كبيرة كما كان الاول وعيدا عقب كبيرة اخرى غير الثانية الاية الثالثة عشر
من هذه قوله عز وجل قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا
نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون وقال تعالى مشتبها لهذه الاية في سورة ال عمران
قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحاق والاسباط ويعقوب صح
وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون
للسائل ان يسأل عن موضعين في هاتين الايتين احدهما قوله انزل الينا وفي الثانية
علينا والموضع الثاني انه قال في الاية من سورة البقرة وما اوتي موسى وعيسى وما
اوتي النبيون من ربهم فاعاد اوتي مع ذكر النبيين ولم يعده في موضعين من سورة
آل عمران فقال وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم فنقول هل الاختيار اي في
قوله انزل في سورة البقرة فايدة توجب اختصاصها وهل الاختيار على مع انزل في
سورة ال عمران معنى يقتضيها ولم كرر اوتي هناك ولم يكررها هنا والجواب المختصر
المشار به الى الفرق بين الموضعين في الى وعلى ان اول الاية التي اختصت بها على قل آمنا اختصت صح
واول الاية التي بها الى قولوا امنا بالله وشرح ذلك ان على موضوعة لكون الشيء فوق وجهة
من علو فهي مختصة من الجهات الست بجهة واحدة والى المنتهى ويكون المنتهى من
الجهات كلها فان المتوجه نحو الشيء عن يمينه او عن شماله او من قدامه او من ورائه
او من فوقه او من تحته فانه اذا بلغه يقال انتهى اليه فلا تختص الى جهة واحدة كما
تختص على فقوله قولوا امنا بالله اختيرت فيها الى لانها مصدرة بخطاب المسلمين
وجب ان يختار له الى ثم جعل ما عطف عليه على لفظها نحو الاتباع وان خرج منه معنى
الانتهاء الموصوف فالمؤمنون لم ينزل الوحي في الحقيقة عليهم من السماء وانما انزل

على الانبياء

على الانبياء عليهم الصلوة والسلام ثم انتهى من عندهم اليهم فلما كان قولوا خطابا للغير لا الانبياء
وانما كان لاممهم كان اختيار الى اولى من اختيار على ولما كان في سورة ال عمران قد
صدرت الاية بما هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قل امنا بالله وما انزل علينا كانت
احق بهذا المكان لان الوحي انزل عليه وفي لفظة انزل دلالة انفصال الشيء من فوق الى
اسفل وان يقرن اليه ما يشاكله فيما يستحقه من المعنى اولى وان كان القران قد نطق بجميع
ذلك في الانبياء عليهم الصلوة والسلام وفي غيرهم لقوله نزل عليك الكتاب وقال في موضع
بالحق مصدقا لما بين يديه وقال بعده هو الذي انزل عليك الكتاب ~~بالحق~~ صح منه آيات محكمات صح
وانزلنا اليك الكتاب بالحق لتبين للناس ما نزل اليهم فالمنزل على الانبياء منته اليهم
فلذلك صلحت الى وصحت الان على اصلها اذ القصد الافصاح بالمعنى الا ان يستعمل فيمن نزل
الوحي عليه وشركه الامة في اللفظة لمجاز لا حقيقة والى في ذكر الانزال المتعلق بامم الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم اشبه بحقيقة معناه من على فلذلك خصتا في الموضعين باللفظين
المختلفين وجعل ما بعدهما يجري مجراهما كما يجب في حكم الاتباع واما الموضع الثاني
الذي اعيد فيه لفظة اوتي من سورة البقرة ولم يعد فيما بازايها من سورة ال عمران
فالجواب عنه اذا اختصر ان يقال ان العشر التي في سورة ال عمران مصدرة بقوله واذ اخذ
الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة فقدم ذكر ايتاء الكتاب واكتفى به عن التكرير
في الموضع الذي كرر فيه من سورة البقرة على سبيل التوكيد وبيان ذلك ان هذه العشرة
مبنية على ذكر عهد الله الى الانبياء وما اخذ من المواثيق عليهم في تبيين ما انزل اليهم للناس
فقوله وما اوتي النبيون من ربهم هو ما اوتي صح
بقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب في المعنى فلما تقدم هذا الذكر وجا
وما اوتي موسى وعيسى اكتفى عن اعادة وما اوتي النبيون بالذكر المتقدم ولما لم يتقدم في سورة
البقرة ذكر ايتاء النبيين ما اوتوا من الكتب في هذه العشر لم يكن فيه ما يغني عن التوكيد باعادة
اللفظ هذا الفرق بين الموضعين والله اعلم الاية الثالثة عشر من هذه السورة قوله
عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام

وانه الحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام

وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وقال بعده في هذه العشر ومن حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره للسائل ان يسأل
عن الفايدة في تكرير هذه الآي في هذه العشر مع ان في واحدة كفاية والجواب عنه
ان يقال ان قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام هو الامر الاول بالتوجه نحو
القبلة التي هي الكعبة واللفظ للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده ما هو خطاب له وللامة
وهو قوله وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره اما الآية الثانية وهو قوله ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام والخروج خروجان احدهما خروج المصلي
من مكان يرى فيه الكعبة وهو المسجد الحرام فكانه قال ومن اي باب من ابواب
المسجد خرجت فتوجه باستقبال الكعبة بالصلوة والخروج الثاني خروج من البلد
الذي فيه المسجد الحرام وهو الحرم فكانه قال فان خرجت من البلد من اي باب خرجت
فاجعل الكعبة قبلة لك تتوجه نحوها لصلاتك فعلى هذا تكون لكل آية فايدة فالاولى
ليس فيها خروج والثانية هي خروج من اقرب الاماكن الى الكعبة والثالثة خروج
ما عدا ذلك عام في البلاد وقد كان يتوهم ان للقرب حرمة لا يثبت مثلها للبعد فوقعت
مظاهرة بالامر بتولي القبلة في القرب والبعد ولفظ خرجت لفظة الماضي وهي في موضع
المستقبل لان المعنى معنى الشرط والجزاء وحيث وحدها وان تضمنت معنى الشرط فانه
لا تجزم به الفعل المستقبل بل تقول من حيث تخرج فترفع الفعل وان اردت من اي
موضع تخرج واي موضع تجزم الفعل وحيث لا تجزم الا قارنتها ما فتقول حيثما تنزل
انزل فان قلت حيث تنزل انزل وجب الرفع فقوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره وليس كذلك من حيث خرجت الا انه لا يخرج عن تضمن معنى الشرط يتبين ذلك
دخول الفاء في الجواب ولولا هذا المعنى ما احتيج اليها فلهذا قلنا ان الماضي بعدها معنى
المستقبل كما يكون في قولك ان خرجت خرجت الا ان المستقبل لا يجزم كما لا تجزم الفعل

في صلة

في صلة الذي وان دخله معنى الشرط اذا قلت الذي يزورني فله درهم فاوجبت الدرهم
بالزيارة وحيث في هذا الموضع على غير ما هي عليه في قوله قعدت اليوم حيث قعدت
بالامس لان تلك شايعة كشياع الاسماء التي بمعنى الشرط وتجازي بها الآية
الرابع عشرة في هذه السورة قوله عز وجل واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل
نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون في هذه الآية
موضعان متشابهان موضعين من آيتين اخريين الاول قوله ما الفينا عليه آباءنا
وبازائه قوله في سورة لقمان واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا
عليه آباءنا والموضع الثاني مشبهه لقوله في سورة المائدة اولو كان آباؤهم لا يعلمون
شيئا ولا يهتدون دون قوله لا يعلمون شيئا ولا يهتدون وللسائل ان يسأل فيقول
هل لتخصيص الموضع الذي في سورة البقرة بقوله الفينا دون قوله وجدنا فايدة تخصه
وهل لتخصيص المكان الثاني بقوله لا يعقلون شيئا ولا يهتدون دون قوله لا يعلمون
شيئا ولا يهتدون فايدة وهل في سورة المائدة لاختصاص لفظ يعلمون دون قوله
يعقلون المستعمل في سورة البقرة فايدة فالجواب عن الموضع الاول هو قوله الفينا
ان الفينا يقصد بها بعض الوجوه التي يشتمل عليها وجدنا لانه يقال وجدت الشيء فلا
يحتاج الى مفعول ثان اذا وجدته عن عدم ولوجدان الضالة تقول وجدت
الضالة وتقول وجدت زيدا عاقلا فيكون الوجود متعلقا بالجزء الذي هو الثاني
فلا بد له في هذا الوجه منه ولا يكتفي بالمفعول الاول واما قولهم الفيت فانها مخصوصة لهذا
الوجه منه ولا يكتفي بالمفعول واما قولهم الفيت فانها مخصوصة لهذا الوجه من وجوه
وجدت لا يقال الفيت درهما بمعنى وجدت درهما ولا الفيت الضالة بمعنى وجدتها وانما
يقال الفيت زيدا عاقلا والفيته على الهدى والضلالة فكان في الموضع الاول استعمال
اللفظ الاخص بالمكان اولى وتاخير اللفظ المشترك الى المكان الثاني اولى واما المسألة

الثالثة من هذه الاية في قوله اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون مع قوله
في سورة المائدة اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيا ولا يهتدون فالجواب عنها
ان يقال ان القول تعالى رتبة ليست لقوله يعقلون واذا وقفت على ما بينهما سهلت
عليك معرفة ما اوجب تخصيص كل مكان باللفظة المخصوصة له فقول القايل يعلم معناه
يدرك الشي على ما هو به مع سكون اليه وقوله يعقل معناه يحجزه بادراكه عما لا يدركه
ولذلك جاز ان يقول يعلم الله كذا ولا يجوز ان يقول يعقل الله كذا لان العقل شده
والعاقل الذي يحبس نفسه عما تدعو اليه الشهوات ولا شهوة لله فيحتبس عنها فلذلك لا
يقال في الله تعالى عاقل ويقال عقل فلان الشي وهو يعقله بمعنى حجزه بادراكه له عما
لا يدركه وشده بتمييزه له عن غيره مما لم تدركه وهذا لا يصح في الله تعالى فاذا كانت
رتبة يعلمون زايدة على رتبة يعقلون واخبر الله عز وجل عن الكفار في سورة
المائدة فقال واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا
عليه اباءنا ولفظة حسبنا تستعمل فيما يكفي في بابه ويغني عن غيره فالمدرك للشي كذا
ادركه على ما هو به وسكنت نفوسنا اليه بما وجدنا عليه اباءنا من الدين فنفي ما ادعوه
بغيته والعلم والموضع الاول في سورة البقرة لم يحك عنهم فيه انهم ادعوا تناهيهم
في معرفة ما اتبعوا فيه اباهم بل كان قوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا
بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا ولم يدعوا انهم الفوا عليه اباءهم كان كافيهم وحسبهم
فاكتفى بنفي ادنى منازل العلم ليكون كل دعوى متقابلة بما هو بازايها مما يبطلها
الاية الخامس عشرة من هذه السورة قوله عز وجل في هذه السورة يا ايها الذين امنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه وجاء
في ثلثة مواضع بشده وما اهل لغير الله به اولها في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة

والدم

والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به وفي اخر الانعام قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على
طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فجاء
في المواضع الثلثة به موخرة عن قوله لغير الله وفي الموضع الاول من سورة البقرة
مقدمة على قوله لغير الله وللسائل ان يقول لماذا اختلف الموضع الاول والمواضع
التي بعده والجواب ان يقال اما الموضع الاول فانه جاء على الاصل الذي يقتضيه حكم اللفظ
لان الباء التي يتعدى بها الفعل في هذا المكان من جملة ادات التي تجي بحرف من
نفس الفعل تقول ذهبت بزيد ثم تقول اذهبت زيدا فتصير الباء كالمزيدة في بنية
الفعل فيجب لذلك ان يكون احق بالتقديم وما يتعدى اليه الفعل باللام لا يتنزل
لامه منزلة الحرف من نفس الفعل فصار قوله اهل به لغير الله بمنزلة ذبح لغير الله
مسمى عليه اسم بعض الالهة فلما كان هذا الاصل الاول جرت الاية الاولى عليه ولما كان
الاهلال المذبوح لا يستنكر الا اذا كان لغير الله كان ما عدا الاكل بتقديم المستنكر
احق واولى الا ترى انهم يقدمون المفعول على الفاعل اذا كانوا ببيانه اعنى
فيقولون ضرب زيدا عمرو ويتقدمون المفعول على الفاعل لان الاهتمام بامره اتم
لان هذا ينفي به ما في وهم متوهم او قول قايل ضرب زيد محمدا فيقع الخلاف في المفعول
لا في الفاعل فيقول المنكر لذلك المثبت صحة ما عنده ضرب عمرا زيد لا لان محمدا او آخر
ترك قوله لا محمدا كان مكتفيا عنه بتقديم المفعول وكذلك لو كان ما ينكره من الفضلات
كالظرفين والحال فقال المخاطب لو توهم ضرب زيد عمرا اليوم فقال المنكر ضرب امس
زيد عمرا فقدم امس على الفاعل والمفعول به لانه هو الذي ينكره ويمتنع ان يكون على
توهمه والباقي من الكلام ليس فيه ما يستنكره فالعناية بتقديم ما يزيل الشك عنه اتم وهو
بالتقديم احق فكذلك قوله تعالى لغير الله في هذه الاي الثلث الاية السادسة عشرة في
هذه السورة قوله عز وجل فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم

فانه رجس او فسقا اهل لغيره به وفي سورة النحل فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير

وقال في سورة الانعام فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وقال
في سورة النحل فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم للسائل ان يسال
فيقول هل لاختلاف الالفاظ التي تلي قوله اضطر غير باغ ولا عاد معنى يخصص كل مكان
باللفظ الذي اختص به الجواب ان يقال قصد الله تعالى في المواضع الثلثة ان
يبين للمضطر ما له ان يتناول من المحرم الذي يمسك به رمقه فذكر في الموضعين
الاخيرين فان ربك غفور رحيم فان الله غفور رحيم فكان تعريضا بمغفرته لمن اضطر
الى تناول المحرم في حالته والموضع الاول بداء به بتصريح اللفظ واسقاط الاثم فقال
فلا اثم عليه ثم عقبه بما اتصف به من المغفرة والرحمة وفي هذه الاي الثلث سوال
آخر وهو انه قال في الاولى ان الله غفور رحيم وقال في الثانية فان ربك غفور رحيم
وقال في الثالثة فان الله غفور رحيم فهل لاختصاص الاول والاخر بذكر الله تعالى فائدة
ولاختصاص في الاية الثالثة فان ربك غفور رحيم وعدوله من الله الى ذكر ربك
فائدة تخصصه بمكانه فالجواب عن ذلك ان يقال لكل موضع معنى يوجب
اختصاص اللفظ الذي ذكر فيه فاما الاول فلانه لما قال يا ايها الذين آمنوا كلوا
من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم كذا
كان بما قدمه مثبتا عليهم الالهية لان الاله هو الذي تحق له العبادة بما له من النعمة
فلما قدم ذكر ما رزقهم الله منها وطالبهم بشكرها اتبعه بقوله ان كنتم اياه تعبدون
وختم الآية بان قال ان الله غفور رحيم اي ان من انعم عليكم ~~في حال الاختيار~~ غاية النعم
واستحق بها غاية التعبد والتذلل هو الذي يغفر لكم عند الضرورة تناول ما حرم
عليكم في حال الاختيار رحيم وكذلك الآية الثالثة مثلها على مثل هذا لان اولها
فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون فكان
مشبها لما قدمنا ذكره فقال فان الله غفور رحيم واما الثانية فلانه قدم عليها ذكر

ما خلق

ما خلق الله تعالى للتربية الاجسام فقال هو الذي انشا جنات معروشات فذكر الثمار
والحب واتبعه بذكر الحيوان من الابل والبقر والغنم خص هذا الموضع بذكر الرب لان
الرب هو القائم بمصالح المربوب فكان هذا اليق بهذا المكان والله اعلم الاية التاسعة
عشرة في هذه السورة قوله عز وجل ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون
به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم
ولهم عذاب اليم وقال في سورة آل عمران ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم
ولهم عذاب اليم للسائل ان يسال فيقول الاخبار في الموضعين عن اهل
الكتاب الذين كتموا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من كتابهم المنزل عليهم من التوراة والانجيل
والتوعد في الموضعين يختلف والكبيرة مواخذة فهل هناك معنى يوجب اختلاف الوعد
في المكانين الجواب ان يقال الوعد في كل مكان من المكلفين على حسب ما ذكر من
عظم الذنب وكبر الجرم فقال في سورة البقرة ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
فوضعهم انهم خالفوا الله في امره ونقضوا ما تقدم من عهده حيث قال واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فهولاء لم يبينوا وكتموا وخالفوا
بارتكاب ما نهى الله عن ارتكابه وترك ما امر الله ببيانه ثم قال ويشترون به ثمنا
قليلا اي نصيبا يسيرا من الدنيا فجاء على هذا اغلظ الوعيد وهو قوله اولئك ما ياكلون
في بطونهم الا النار اي هذا الحظ اليسير الذي نالوه من الدنيا المطعم والمشرب انما هو
نار في اجوافهم ثم قال ولا يكلمهم الله يوم القيامة اوليس ممن يرجى نجاتهم فيحييهم
من قبل الله كلام وسلام كما قال في اوليائه تحيتهم يوم يلقونه سلام ثم قال ولا
يزكيهم اي لا يطهرهم من ذنب الكفر بالعفو عنهم ولهم عذاب اليم ثم قال اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى وكرر الخبر اليهم بوعيدهم وانهم باعوا الاسلام بالكفر واشتروا العذاب بالغفران ٥

واتقوا عذاب النار فعل من يعجب من صبره عليها فهذه انواع كثيرة من التوعد واقترنت بما
فصل من الاثم العظيم في كتمان ما لم يجب كتمانه والاعراض عن تبيين ما اوجب بيانه والاية التي في
سورة آل عمران لم يذكر في اولها من الذنوب التي ارتكبوها مثل ما ذكر في اول هذه الاية قال الذين
يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فكان هاهنا ذكر بعض ما ذكر في اول هذه الاية الاولى
وهو يشترون به ثمنا قليلا وقرن به من الوعيد اقل ما قرنه بالاية الاولى وهو ان قال لا خلاق لهم في الآخرة
اي لا نصيب لهم من الخير ولا يكلمهم الله كما يكلم اولياءه ولا ينظر اليهم نظر رحمة ولا يزكيهم ولهم عذاب
اليم الاية الثامنة عشرة من هذه السورة قوله عز وجل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد
تلك حدود الله فلا تقربوها للسائل ان يقول كيف اختص الموضع الاول بقوله فلا تقربوها
والموضع الثاني فلا تعتدوها فالجواب ان يقال الاول خرج على اغلظ الوعيد كما قال ولا
تقربا هذه الشجرة وانما كان نهي عن اكلها لا عن الدنو منها فخرج مخرج قول القائل
اذا نهى عن الشيء وشدد الامر فيه لا تقرب هذا الشيء وما احسن قوله صلى الله عليه وسلم
في المنع من مقاربة الحرام من رعى حول الحمى اوشك ان يقع فيه او كما يروى عن بعض
الصالحين اني لاحب ان يكتنف الحاجز بيني وبين ما حرم الله فلما كان هذا الموضع
الاول نهيا عن مواقعة النساء في حال الاعتكاف في المساجد صار فيه تحذير
من دواعي المواقعة فاقتضى من المبالغة ما لم يقتضيه قوله فلا جناح عليهما
فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها فكانه قال لا تجاوزوها يعني المرأة
التي افتدت بمهرها او خالعت زوجها لم يكن عليها اثم وهذه حدود نهي عن
تعديها والحدود ضربان حد هو منع من ارتكاب المحظور وحد هو فاصل بين
الحلال والحرام فالاول ينهى عن مقاربته والثاني ينهى عن مجاوزته وهما المذكوران
في هذه السورة الاية التاسعة عشرة قوله تعالى عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين وقال في سورة الانفال

وقاتلوهم

وقال في موضع آخر من هذه السورة تلك حدود الله فلا تعتدوها

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون
بصير للسائل ان يسأل لاي فائدة قال في هذه السورة ويكون الدين لله ولم يؤكده
وعقبه بقوله فلا عدوان الا على القوم الظالمين وقال في سورة الانفال ويكون الدين
كله لله فوكده واتبعه قوله فان الله بما يعملون بصير والجواب عن ذلك ان الاية الاولى من
سورة البقرة جاءت في قتال اهل مكة الا ترى ما قبلها واقتلوهم حيث ثقفتموهم
واخرجوهم من حيث اخرجوكم ثم قال ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام وهذا مختص بقتال
قوم مخصوصين من اهل الشرك وهم نازلة الحرم فاقتصر على الدين من غير توكيد على معنى
حتى يكون الدين حيث هؤلاء لا في مكان آخر لانه لا تحصل بقتل مشركي مكة الذين
في كل البلاد وقوله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين اي ان انتهوا
من كفرهم فلا عدوان عليهم انما العدوان على من اقام على الضلالة وظلم نفسه
بلزوم الجهالة واما في سورة الانفال فالامر ورد على ما في قتال كل الكافرين الا ترى
قبل الاية قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وليس هذا في طائفة من
الكفار دون طائفة فاذا كان ذلك كذلك قال بعده وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة اي لا يكون شرك وكفر اقتضى هذا ان يكون بعده ويكون الدين كله لله
فامروا بابطال كل كفر عليه قدروا واتبعه قوله فان انتهوا فان الله بما يعملون
بصير اي ان انتهوا او انتقلوا الى الايمان وكفوكم عن قتالهم بما يظهرون من
اسلامهم فالله يعلم عملكم وعملهم فتكونون تعملون خطابا بالمقاتلين والمقاتلين جميعا
لانهم جميعا قد صاروا مؤمنين فضمهم خطاب واحد واعلمهم انه مجاز لهم على
عملهم مطلع على سرائرهم يعرف من كان انتهاؤه عن الكفر لرغبة من رغائب الدنيا
ومن انتهاؤه للتنصر فليستوي بين السر والجهر اللفظ في ضمنها اذا وردت
من القادر الحكيم غاية التخويف والوعيد وغاية الترغيب في الثواب العظيم لفريقي الطاعة والعصيان

الآية العشرون من هذه السورة قوله عز وجل أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب وقال في سورة آل عمران أم حسبتم
أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقال في سورة
التوبة أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من
دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون وللسائل أن يقول
كيف اختلف في المواضع وهي فيها كلها بعث على الجهاد وهل يصلح ما هو في الأول للآخر
أم اقتضاه مكانه بعينه دون غيره والجواب أن يقال بل لكل معنى تقتضي اللفظ
الذي خص به فالآية الأولى من سورة البقرة وردت عقيب قوله كان الناس أمة
واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ثم قال وما اختلف فيه إلا الذين
أوتوه يعني الكتاب من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فكانت هذه الحالة التي
أخبر الله تعالى عنها مشبهة حال النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه فيما دفعوا إليه
من بغي المشركين ومقاتلتهم لهم مجاهدين فقال أم حسبتم أن تشتروا الجنة لتسكنوها
خالدين فيها ولم تفعلوا أفعال الأمم الماضية فيما دفعت إليه هي وأنبياؤها صلوات
الله وسلامه على نبينا وعليهم أجمعين وما نالهم في قتال الكفار من الشدة والمضرة والإزعاج
عن المواطن حتى استعجلوا النصر لما استنفدوا الصبر وأعلم الله أن نصره قريب من أوليائه
غير بعيد عن حزبه فكذلك حالكم إذا عرضتم حالهم وعاقبة أمرهم ومآلهم ومعنى قوله
تدخلوا الجنة هو ما بينه في قوله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون فكان في ذكر ذلك تشحيذ لبصائرهم
في الجهاد وحملهم على الاقتداء الصلاح وأمم الأنبياء قبلهم صلوات الله وسلامه عليهم
وتأنيس لهم بالصبر على ما حل بهم حتى حمدوا عاقبة أمرهم وأما الآية الثانية في بقرة

آل عمران

في آل عمران أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
فهي خطاب للمسلمين الذين نالهم من قتال المشركين جراحات قال فيها إن يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله فقال أم حسبتم أن تنالوا الجنة ولما يجاهدوا الأعداء
من الكفار فيعلم الله ذلك منكم ولما تصبروا صبرا زائدا على صبرهم ويرى ذلك من فضلكم
عليهم أي الجنة لمن فعل ما أمره الله به في الوقت من قتال أهل الكفر وتوطين النفس
فيه على الصبر فيخف عليه ما يجد من الألم بما يتحقق من الفوز في الآجلة فالحالة التي وردفيها
هذه الآية اقتضت البعث على التشمر للقتال والصبر بعد ضر الأعداء فقيل لبعض العرب
ما كان سبب الظفر وأما الآية الثالثة في سورة براءة وهو قوله أم حسبتم أن تتركوا
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا
المؤمنين وليجة فإنها خطاب للمجاهدين من المؤمنين وتوعد لمن كان منهم سعى
على أقارب عند الظفر بهم لقوله بعده يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم
أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون فحذر
المنافقين الذين ضاموا المؤمنين في قتال المشركين أن يعلم الله مجاهدتهم أعداءهم
وقد اتخذوا معها وليجة بينهم وبين المشركين والوليجة هي المدخل الذي ذكره الله في هذه
الآية بعدها عند ذكر المنافقين فقال ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم
ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون
فهو كذلك ولج بمعنى دخل والوليجة هي المدخل وهي الوسيلة التي تدخل بها الإنسان
حريم الإنسان كالباب المفتوح له بفعل يفعله فكان كأن التوعد يقتضي أن يقال
لهم أظننتم أن تتركوا وما تظهرون من مجاهدتكم أعداءكم ولم يكن منكم جهاد خالص
لله لا إنما يكون فيها أبا ولا ابنا ولا ترعون حميما ولا قريبا ولا تبقون على ذي
معرفة إبقاء تتقربون به رجاء أن يجاوزكم عليهم فإن قدرتم أنكم تتركون ومضامة

[illegible]

المسلمين في القتال من غيران يعلم منكم باطنا عاريا من هذه الحال فقد اخطا منكم ه
واخلف تقديركم فانكم مطالبون بالموفقة بين سركم وجهركم الآية الحادية والعشرون
من هذه السورة قوله عز وجل ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر
ذلكم ازكى لكم واطهر وقال في سورة الطلاق ذلك يوعظ من كان منكم يؤمن بالله واليوم
الآخر للسايل ان يسئل فيقول اذا كانت الكاف في ذلك للمخاطب فتجيا ذاكثرو او يقال
ذلكما قال في الآية الاشرة من الآيتين وكما قال ذلكما ازكى لكم واطهر وكما قال في مخاطبة
الاثنين ذلكما مما علمني ربي وكما قال في مخاطبة النساء قالت فذلكن الذي لمتنني فيه وتثنى
وتجمع على حسب المخاطب كما تونث وتذكر كقوله تعالى قال كذلك قال ربك هو علي هين
فقال قوله ذلك يوعظ به من كان منكم يومن بالله في سورة البقرة موحد الكاف من ذلك
مع جمعها في نظيرها من سورة الطلاق والجواب عن ذلك ان يقال ان الكاف يجي في
الكلام اسما للمخاطب كقولك رايتك وغلامك والكاف هاهنا اسم للمخاطب وموضعها ه
نصب في رايتك وجر في غلامك وتجي متصلة في الاسماء المبهمة التي للاشارة
وليست باسم ولكنها للخطاب ويفاد بها معنى آخر وهو تبعيد المشار اليه نحو ذلك ه
واولئك والدليل على انها ليست باسم قوله تعالى فذانك برهانان من ربك لو كانت
اسما مجرورا لما اجتمعت مع نون التثنية في ذانك كما لا يجتمع معها في قولك غلاماك لا تقول
غلامانك فلا يجوز ان تكون الكاف بعد المبهمة اسما منصوبا لانه لا ناصب وشي آخر وهو
ان هذه المبهمة معارف ولا تصح اضافتها فالكاف بعدها ليست باسم مضاف اليه فاذا
عريت من الاسمية لم تعر من معنى الخطاب والمعنى الذي يفاد بها مع الخطاب في المبهم انك
تقول ذا فيكون اشارة الى قريب فاذ قلت ذاك صار بالكاف اشارة الى بعيد فلما
عريت الكاف من الاسمية وقصر بها على احد المعنيين اللذين وضعت لهما كذلك في
الاسماء المبهمة لما قصد بهما معنيان الخطاب والتبعيد جاز ان لا ترى من

احدهما

حالهم

فيهما

احدهما وهو الخطاب وتقتصر بها على معنى التبعيد حسب على حسب قصد القاصد وقد
جاءت مثناة اللفظ او مجموعة على حسب المخاطبين فدلت على المعنيين وتبين الموضع
الذي يقصد فيه التبعيد وحده بغرض من الاغراض دون الخطاب والتبعيد معا يمكن ه
استقرا كل لفظة في القران جاءت فيه ذلك والمخاطبون عدة وتامل موضعها مع تامل
المواضع الاخر التي تثنيت وجمعت واستنباط حكمه تقتضي في ذلك الموضع استعمالها
للتبعيد وحده دون الخطاب وسنتامل هذا على استمكان في كل مكان ان شاء الله تعالى
وجواب آخر عن المسئلة وهو ان كل موضع افردت فيه الكاف والخطاب لجماعة فانما
قصد بالكاف المفردة مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ثم العدول الى مخاطبة امته ه
كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فلم يمنعه قوله اذا طلقتم وهو خطاب للجماعة
عن ان يفرد للنبي صلى الله عليه وسلم خطابا له مخصوصا موحدا وهو قوله يا ايها النبي وكذلك
كل موضع جاءت الكاف فيه هذا المجي الآية الثانية والعشرون من هذه السورة قوله
عز وجل ولا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير وقال في
آخر هذه العشر فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف
والله عزيز حكيم للسايل ان يسال ما الفايدة التي اوجبت اختصاص المكان الاول بالتعريف
والباء والمكان الثاني بالتنكير ولفظة من والجواب عن ذلك ان يقال ان الاول تعلق
بقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا
فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليهم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف اي لا جناح عليكم
في ان يفعلن في انفسهن بامر الله وهو ما اباحه لهن من التزوج بعد انقضاء العدة
فالمعروف هاهنا امر الله المشهور وهو فعله او شرعه الذي شرعه وبعث عليه عباده
والموضع الثاني المراد به فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من جملة الافعال التي
لهن ان يفعلن من تزوج او قعود فالمعروف هاهنا فعل من افعالهن يعرف في

قوله ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن الكاف في ذلك لخطاب النبي صلى الله عليه والكاف في منكم لامته وكذلك غيره

الذين جمازه وهو بعض ما لهن ان يفعلنه في المعروف بني الاولى معرف اللفظ لان
المعنى فيما فعلن في انفسهن بالوجه المعروف من الشرع لهن وهو الذي دل الله عليه
وابانه فعرف اذ كان معروفة مقصورا نحوه والثاني كان وجها من الوجوه التي لهن
ان ياتينه واخرج مخرج النكرة لذلك الاية الثانية والعشرون من هذه السورة قوله
عز وجل يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم وقال في سورة النسا
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما وفي سورة
الحديد لكي لا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور للسايل ان
يسال فيقول ذكر في الآية الاولى الكفار والاثيم وفي الآية الثانية الخوان الاثيم وفي
الثالثة المختال الفخور فهل في كل مكان ما يوجب اختصاص اللفظ المستعمل وما ذكر
المعنى ام لا الجواب ان يقال ان الآية الاولى في الكفار الذين استحلوا ما حرم الله
وعارضوا ما انزل الله فقالوا انما البيع مثل الربا حتى قال فاوليك اصحاب النار هم فيها
خالدون فعظم كفرهم وسمي كل واحد منهم كفارا على لفظ المبالغة لان كفارا ابعد كافر
لمن هو مقيم على الكفر والكفر عادته كضارب وضراب وخايط وخياط ثم اتبعه
بقوله اثيم اي مبالغ في اكتساب الاثم واثيم ابلغ من آثم فاذا كفر كفرا بعد كفر واقام عليه
وهو وصف من اخبر عنه باستحلال الربا سمي كفارا وصار اثيما بذلك وساير سيئات
الافعال التي يلحقها بالكفر واما الموضع الثاني فانه ذكر فيه الذين يختانون انفسهم فاخبر
عن حالهم فاقتضى مقدم الذكر هذا الوصف والموضع الثالث ان الله لا يحب كل
مختال فخور جاء بعد نهيه عن تمكين الحزن من النفس على ما تفوت من احوال الدنيا وتفجع
به الانسان من سيقاد النعمى للعلم السابق بانها عوارض تجيء وكذلك اذا خول منها
الكثير لا يمدح نجبة ولا ينظر فيه كما قال ولا تمش في الارض مرحا اي فعل المختال قدم
الافراط في الجزع عند الفجيعة والغلو اي في الفرح والمدح عند العطية حتى تخرج عن

التواضع مما يحول الى الكبريا فيبطر ويمرح ويفخر فقال عقيب ذلك والله لا يحب كل
مختال فخور واختص كل مكان بالوصف الذي لاق به معنى الكلام فيما شابه من سورة
البقرة مكانا اخر منها او من غيرها عن احد وثلثين موضعا وقع فيها السوال

سورة ال عمران

من هذه السورة قوله عز وجل كداب آل
فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب
وقال في سورة الانفال كداب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله فاخذهم
الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب وبعدها باية كداب ال فرعون والذين
من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون وكل كانوا
ظالمين للسايل ان يسال في هذه الآي عن مسايل منها في الاية الاولى عن قوله كذبوا
باياتنا والعدول بعده عن الاخبار عن النفس بالاسم اي الاسم المظهر وقوله فاخذهم
الله فلم تعل فاخذناهم وهل هاهنا فايدة يوجب العدول عن اجرا الكلام الثاني
مجرى الكلام الاول في اسناد الفعل الى ما استند اليه فيما قبل والمسالة الثانية ان
يسال عن الكاف في كداب ووجه اتصالها بما قبلها وموضعها من الاعراب لانها
بمعنى مثل والكاف يصح مكانها مثل محكوم على موضعها برفع او نصب او جر والمسالة الثالثة
في الاية وتخالفها للاية الاولى في اجرا الجنس كله على لفظة واحدة وهي لفظة الله
لانه قال تعالى كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب
ولم يقل كفروا باياتنا كما قال في الاولى والمسالة الرابعة في الاية الثالثة وهي انه
قال كذبوا بايات ربهم ولم يقل كفروا باياتنا كما قال في الاولى ولا بايات الله كما
قال في الاية الثانية بل اتى بصفة من صفات الله تعالى وهو الرب والمسالة
الخامسة فايدة التكرار في سورة الانفال في موضع لا يحجز بينهما الا اية واحدة
المسالة الاولى قوله كذبوا باياتنا وقع الاخبار عن النفس كما يجب في مثله اذا اخبر المتكلم

من ٢ المظهر ٢ عل ٢

عن نفسه بفعل فعله فاتى بلفظ المضمر دون المظهر ثم خالف ذلك اللفظ
الى غيره فقال فاخذهم الله والجواب عن هذا ان يقال العدول
عن النهج الاول المستمر في الاخبار عن النفس الى لفظ ظاهر هو لفائدة
يتضمنها هذه اللفظة عن الاحتجاج الذي وقع من اجله العدول في
هذا المكان اليه هو قوله ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب ان الله
لا يخلف الميعاد فقوله ربنا يقتضي ان يكون بعده انك لا تخلف الميعاد
كما قال في آخر السورة ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك الى انك لا تخلف
الميعاد فلما قال تعالى في هذه الموضع ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب
فيه ان الله لا يخلف الميعاد فكان المعنى انك خلقت الدار الاولى للتكليف
ومكنت العباد فيها من الطاعة والعصيان ورغبت المطيع في الثواب
وخوفت العاصي من العقاب فوقع منك وعد ووعيد فرغب من الوفاء
بهما فانت تجمع الخلايق ليوم الجزاء لان من خلق وانعم نعمة حقت بها
العبادة ولزمت من اجلها الطاعة وهو معنى قولنا الله اذا وعد صدق
فلا خلف في قوله ولا تبديل لكلامه فلما كان معنى قولنا الله بمعنى الاله
والاله هو الذي حقت عبادته لما عظمت نعمته كان العدول الى هذه
اللفظة للاحتجاج بمعناها فائدة لم يكن لتحصل لو قال انك لا تخلف الميعاد
فلما تقدمت هذه الآية التي وقع العدول فيها عن لفظ الى لفظ قصد
من الاحتجاج بمعناه كذلك ثبتت هذه الاية التي تليها عليها في مثل هذه الحكم
لما ثبت من هذا المعنى فقال تعالى كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا
باياتنا انا عوضناهم للايمان ومكناهم من الاسلام وازحنا العلة ونصبنا
الادلة فكذبوا بها والذي حقت له العبادة وعظمت منه النعمة اخذهم

بذنوبهم

وليست هذه الفائدة في لفظة الاضمار وكانت الآية التي قبلها قد وقع فيها مثل هذه العدول الى هذه اللفظة الاحتجاج صح

ولا تخزنا يوم القيمة صح

والآلة مشتق من اله يأله الاهة اي عبد يعبد عبادة صح

بذنوبهم والله تعالى يعاقب الكفار عقوبة تشتد عليهم ولا تخفف عنهم كما قدموا
من العصيان ما استمروا عليه ولم ينتقل عنه قدم ولا عقبه بعد الاصرار عليه ندم
فهذه فائدة العدول الى لفظة الله في قوله فاخذهم الله بذنوبهم دون قوله
فاخذناهم المسئلة الثانية ان يسأل عن الكاف في كدأب ووجه اتصالها
بما قبلها وموضعها من الاعراب لانها بمعنى المثل والكاف التي يصح مكانها مثل صح
محكوم على موضعها برفع او نصب او جر والجواب عنها ان يقال يجوز ان
يكون الكاف متعلقة بقوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم فيكون موضع
الكاف نصبا على معنى المصدر كانه قال لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن آل فرعون
اي اذا جاء عقاب الله لم يدفع المال والولد كما لم يدفع ذلك عن آل فرعون والدأب
اصل الهجيري والعادة وما اجرى عليه قوم في معاملة ويجوز ان يكون الكاف متعلقة
بقوله وقود النار كانه قال اولئك يصلون النار كما اجرى الله حكمه عادة لآل فرعون وجه
ثالث وهو ان يكون موضع الكاف رفعا على انه مبتداء كانه قال حال هؤلاء مثل حال آل
فرعون ودأبهم كدأبهم والمسئلة الثالثة في الاية الثانية هي مخالفتها للاية الاولى في اجراء
الخبر كله على لفظة واحدة وهي لفظة الله لانه قال تعالى كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم
ان الله قوي شديد العقاب ولم يقل كفروا باياتنا كما قال في الاولى والجواب عن ذلك ان يقال
الآية التي تقدمت هذه وهي قوله تعالى اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر
هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم فجرى الخبر في هذه الاية على اللفظ الظاهر
وهو ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ثم جاء بعدها ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا
الملائكة فلم يكن فيها خبر عن الله تعالى وجاءت الاية التي فيها كدأب آل فرعون وفيها اخبار عنه
تعالى فكان بناؤها على الآية التي قبلها اولى كما كان في الآية التي في سورة آل عمران يقتضي بناؤها
على الآية التي قبلها العدول عن لفظ الاضمار الى لفظ الاظهار ثم كان اللفظ الصريح في معناه

احتجاج عليهم كما كان في اللفظ الذي علل اليه في الآيتين المتقدمتين من قوله
ان الله لا يخلف الميعاد وقوله فاخذهم الله بذنوبهم والمسئلة الرابعة
في الآية الثالثة هي انه قال كذبوا بايات ربهم ولم يقل باياتنا كما قال في
في الاولى ولم يقل بايات الله كما قال في الآية الثانية والجواب ان يقال
انه لما اخبر عن نعمته على عباده وان منهم من يغيرها بعصيانه فيستحق بذلك تغيير بك صح
النعمة عليه وهو معنى قوله ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى
يغيروا ما بانفسهم والمنعم على عباده ربهم لانهم مربوبون بنعمته كان القصد
في هذه الآية الى ذكر نعمهم في الدنيا وتغيير النعمة عليهم فيها اذا لم يقوموا
بحقها بعقاب من عقاب الدنيا مثله مما يفعله بعض الناس ببعض فلذلك قال
فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون فكانه قال كذبوا بايات من اقام
في انفسهم شواهد لربوبيته باحيائهم اياهم بصنوف نعمته ونقل الوليد عن اولى بتربيته صح
حالته الى غيرها مما يبلغ به غاية قوته ونشرح ذلك في جواب المسئلة الخامسة
وهي السؤال عن فائدة التكرار في سورة الانفال في موضع لا يحجز بينهما الا آية
واحدة وهذه المسئلة قد اجاب عنها بعض اهل النظر بان قال اخبر الله عن اجراء
العادة فيهم بنوعين من العذاب مختلفين واذا كان كذلك لم يكن تكرارا لانه
ذكر في الآية الاولى عقوبته اياهم عند الموت والاشارة التي اشتهم بعذاب
الحريق وانه فعل بهم ذلك كما فعله بال فرعون ومن كان قبلهم من الكفار
ثم ذكر في الثانية ما يفعله بهم من شدة عقابه بعد الموت كما فعله بال فرعون
ومن كان قبلهم من الكفار وما اجرى عليه العادة في تعذيبه اياهم بعد الموت
في القبور وغيرها والجواب عنه اذا اخبر في الاول عما عاقبهم به من العذاب
الذي يملك الناس ايقاعه ولم يكن بعضهم من ان يفعل ببعض وهو ضرب

الملائكة

الملائكة وجوههم وادبارهم عند نزع ارواحهم واخبارهم له اياهم بمصيرهم
الى عذاب يحرقهم وفي الثانية اخبر عما انزله فيهم من العذاب الذي يمكن الناس
من تشغل مثله وهو الهلاك والاغراق لان ذلك مما اقدر العباد عليه فالنوعان
هما فالعذاب الاول من احكام الآخرة بعد ظهور اشراط الساعة والعذاب
الثاني من احكام الدنيا والذي يبين ذلك انه قال في الاول كفروا بايات الله
فاخبر اعظم ما ارتكبوه وهو الكفر وذكر ايات الله وهو الاسم الذي يقبل استحقاق
العبادة التي هي مضادة للكفر كما قال في سورة آل عمران كذبوا باياتنا فاخذهم
الله بذنوبهم اي اخذهم من انعم عليهم ليشكروا فلما عصوا وكفروا بذنوبهم التي
ارتكبوا ثم قال والله شديد العقاب والمراد به عقاب الآخرة كما قال ولعذاب
الآخرة اشد ويشهد لذلك قوله في الثانية كذبوا بايات ربهم فذكر هذا الاسم دون
غيره لان فيه معنى انعمهم وبنيتهم وربتهم وتمام مصالحهم حتى بلغوا حد التكليف
والمبلغ الذي قدروا فيه على اداء حق الانعام فلما غيروا ما انعم الله عليهم من جهته
وحرفوه الى معصيته وتقووا بنعمته على مخالفته قابلهم ذلك في الدنيا بان عجل هلاكهم
فاغرقهم فالعقاب المؤخر ذكره في الآية الآخرة مما يفعله اهل الدنيا بعضهم ببعض
وذكر عقيب انعامه عليهم وتغيرهم له بوضع الكفر موضع الشكر فغير الله سابق الانعام
بعد الانتقام فلما غيروا غير عليهم فالعقاب الاول اولى ان يكون المراد به عقاب
الآخرة لان فيه الاخبار بالاحراق والثاني هو العذاب بالاغراق مثله قوله
ذوقوا عذاب الحريق والتعقيب بقوله كفروا بايات الله فاخذهم الله قوله
في سورة ال عمران واولئك هم وقود النار كداب ال فرعون والذين من
قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم فذكر انهم وقود النار وذلك في الآخرة
ثم قال فاخذهم الله بذنوبهم فذكر الاسم الذي يفيد انه حجة عليهم بما ذكرنا قبل

وجواب آخر وهو انه يجوز ان يكون الاول خبراً عن عادتهم في الاشر والبطر
والطغيان عند الاستغناء والمعنى جرت عادتهم بمقابلة الاحسان بقبيح
العصيان ويكون الاخير بعد ذكر الله معاقبتهم على فعلهم خبراً عما اجرى الله
به العادة في عقاب مثلهم فكان معنى الاول عودوا من انفسهم عادة ومعنى
الثاني عودوا اذا فعلوا ذلك عادة هي سلب نعمة الدنيا والنقل الى عذاب
الآخرة والله اعلم بالمراد الآية الثانية من سورة آل عمران قوله عز وجل
ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل قد جئتكم
بآية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن
الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما
تدخرون في بيوتكم وقال في سورة المائدة واذ تخلق من الطين كهيئة الطير
باذني فتنفخ فيها فيكون طيراً باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني للسائل ان
يسئل فيقول اذا كان المذكور في الموضعين كهيئة الطير وصلح ان يعود الضمير
الى مذكر والى مؤنث فيراد مثل هيئة الطير وهو مذكر او يراد هيئة كهيئة وهي
مؤنثة فما باله في آل عمران خص بالتذكير وما في سورة المائدة خص بالتانيث
والجواب ان يقال ان الاول الذي ذكر الضمير فيه انما هو فيما اخبر الله تعالى
به عن عيسى عليه السلام وقوله لبني اسرائيل اني قد جئتكم بهذه الآيات منها اني
آخذ من الطين ما اصور منه صورة على هيئة في تركيبه فانفخ فيه فينقلب
حيواناً لحماً قد ركب عظماً وخالط دماً واكتسى ريشاً وجناحاً كالطائر الحي
فالقصد في هذا المكان الذي ذكر ما يقوم له حجة عليهم وذاك اول ما يصور
الطين على هيئة الطير ويكون واحداً يلزم به الحجة فالتذكير اولى به والآية
في سورة المائدة المخصوصة بتانيث الضمير العائد الى ما تخلقه هي في ذكر

ما عدّ الله

ما عدّ الله من النعم على عيسى عليه السلام وما حباه اياه من المعجزات واظهر على يده من
الآيات وابتداؤها اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر الكتاب والحكمة والتوراة
والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني
والاشارة في هذه الآية ليست الى اول ما بدأ به لبني اسرائيل من ذلك محتجا
محتجاً به عليهم وانما هي الى جميع ما اذن الله في كونه دلالة على صدقه من قلب الصور
التي تصورها من الطين على هيئة الطير وذكر جمع والتانيث له اولى مسئلة في
ذلك وقد قال بعض اهل النظر في هذه الآية انما قال فيصير طيرا باذن الله وابرئ
الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله فذكر اذن الله في هذين الموضعين
ولم يذكر اذن الله في قوله اني اخلق لكم من الطين كهيئة ولا في قوله فانفخ
فيه ولا في قوله انبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم لان ما وصفه من هذه
الافعال انما هي افعاله ولم يكن افعال الله فلهذا لم يذكر ان ذلك كان باذن الله
كما ذكر الاذن فيما وصفناه مما فعله الله دونه وذكر انه لم يعن بالاذن فصلاً
بين فعله وفعل الله انتهى كلامه وهو سهو منه لان الذي ذكر انه لم يذكر معه اذن
الله لانه من فعل عيسى قد نطقت سورة المائدة بخلافه وهو قوله واذ تخلق من
الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فيكون طيرا باذني فسوى بين الفعلين
اللذين ذكر من حكينا كلامه انهما مختلفان وان احدهما فعل عيسى وقد رأيت
ما اعتدّ الله به عليه في سورة المائدة ينطق ما ذكر انه بغير اذنه هو باذنه واذا
كان كذلك وجب ان يكون المعنى في الآية من آل عمران اني اخلق لكم من الطين
كهيئة الطير اقلبه بعد التركيب على مثال الطائر لحماً ودماً وعظماً ثم بالنفخ فيه
اجعله حيواناً وذلك باذن الله ويكون معنى قوله فيكون طيرا باذن الله
راجعا الى ما ذكره انه يفعله من مبتدأ قوله اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير

امر له بانه يطيعه في ذلك وانما عنى به ان الله هو الذي فعله فلهذا جعل ذكر الاذن صح

فجميع تلك الافعال واقع باذن الله واذن الله عبارة عن ارادته فيسهل
ذلك على عيسى عند الاحتجاج به وابرا الاكمه والابرص واحياء الموتى ثلثة
افعال لا يكون الا باذن الله وقوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم
هذا وان اخبارا من عيسى عليه السلام وفعلا من افعاله فلا يصح ان يكون الا
باذن الله للملائكة في اطلاعه عليه الاية الثالثة من سورة ال عمران قوله
عز وجل ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم وقال في سورة مريم وان
الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم وقال في حم الزخرف حكاية عمن حكى عنه في
السورتين وان الله هو ربي وربكم فزاد هو في هذه الاية من هذه السورة
للسايل ان يسئل عما اوجب اختصاصها بهذا التوكيد دون الموضعين الاولين
وهي كلها فيما اخبر الله به عن عيسى عليه السلام والجواب ان يقال لم يجب في الاولين
من التوكيد ما اوجبه اختبار الكلام في الموضع الثالث وذلك ان قوله تعالى ان الله
ربي وربكم حكاية عن عيسى بعد ما مضت ايات كثيرة في ذكره وابتدا امره من مبتداء
الاية التي نزلت في شان مريم وهي واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك
واصطفاك على نساء العالمين الى اخر هذه العشر فلما تناصرت هذه الايات
المتقدمة في ذكره ودلت على احداثه وخلقه كانت فيها دلالة على انه مربوب
مصنوع بكثرة الافعال التي اسندت اليه وجعلت ايات له وانه عبد من عبيده
والله ربه ومالكه والقايم بمصالحه وانه اصحبه معجزات تدل على صدقه في نبوته وكذب
من قال بربوبيته فصرفتهم تلك الافعال التي تقدم ذكرها الى العلم بانه عبد ربه وكذلك
في سورة مريم جاء قوله وان الله ربي وربكم بعد ما مضت ايات كثيرة ابتداؤها
واذكر في الكتاب مريم وبعد عشرين اية مرت في قصتها قال وان الله ربي وربكم فكان
تلك العشرين اية ناطقة بان الله ربه فاكتفى بما طال من الكلام المؤكد لحاله على حقيقتها

عن التوكيد

عن التوكيد الذي جاء في سورة الزخرف لانه لم يذكر هذه الاية الا بعد قوله ولما جاء
عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله
واطيعون ان الله ربي وربكم فالموضع الذي خلا من الايات الكثيرة الدالة على
ان الله ربه وهو عبده لا ابنه حسن تاكيد الكلام فيه صرفا للناس عما ادعوه من
انه ابن الله الى انه عبده الا ترى الى قوله في سورة مريم ما كان لله ان يتخذ من ولد
سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه واعلم
ان التوكيد بقولك هو في مثل هذا الموضع يكون لاحد وجهين اما ان يريد انه على
الصفة التي جعلها خبرا عنه لا غيرها واما ان يريد ان صاحب هذه الصفة
التي جعلت خبرا انما هو فلان لا غيره اذا قال القايل ان زيدا هو اخوك اي هو
صديقك لا عدوك او يريد ان يقول انه اخوك لا عمرو وكذلك قوله تعالى ان الله ربي
وربكم فاعبدوه وكذلك قوله تعالى ان الله هو ربي وربكم يحتمل التوكيدين ان يريد به
انه هو خالقي والقايم بمصالحي لا غيره من الالهة التي يدعون عبادتها وان يريد
انه هو ربي لا ابي كما زعمت النصارى تعالى الله عن ان يكون له ولد الاية
الرابعة من سورة ال عمران قوله عز وجل فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري
الى الله قال الحواريون نحن انصار الله امنا بالله واشهد بانا مسلمون فحذف
من انا ان وقال في سورة المائدة واوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي
قالوا امنا واشهد باننا مسلمون باثبات النونات الثلث وللسايل ان يسئل
فيقول لم خص ما في سورة ما في سورة آل عمران بانا وما في سورة المائدة باننا
والحرفان سواء والتخفيف جائز في الموضعين كما يجوز الاتيان به على الاصل فيهما
والجواب ان يقال ان الذي في سورة المائدة جاء على الاصل غير مخفف بالحذف
لانه اول كلام الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد باننا مسلمون

واذ اوحيت

والذي هو في سورة آل عمران هو حكاية عن عيسى انه سالهم عما اقروا به لله تعالى
فقال من انصاري الى الله تعالى قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا
مسلمون فكان ذكر منهم اقرارا بانا لرسوله عليه السلام مثل ما اقروا به لله تعالى
والثاني يختار فيه من التخفيف ما لا يختار فيه في الاول لان الاول قد وفى العبارة
حقها ولان الثانية معتمدة على قبلها ولانها مكررة والعرب تستثقل المعاد ما لا تستثقل
غيره فاختير في سورة آل عمران ما لم يختر في سورة المائدة لذلك واعلم ان النون
المحذوفة من انني غير محذوفة من انا وقد جاء في القران انّي آنست نارا ونودي
يا موسى انّي انا ربك وجاء على الاصل بعده فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا
انا فاعبدني وقال انا رادوه اليك وانا الفاعلون وقال وانّنا لفي شك مما
تدعونا اليه مريب في قصة صالح ومن لم يرتض بهذا العلم يتوهم ان النون
التي خففت تحذف انّي هي التي خفف تحذفها من نظايرها اذا قلت لعلي
في لعلني وانا النون التي هي انا من قولك اننا فانها مع الالف اسم المخبر عن
نفسهم ولا تسقط سقوط التي تجيء مع الياء فاذا قلت انا فالساقطة النون
الاخيرة من انّ دون اللاحقة مع الضمير بها فاعرفه الآية الخامسة من آل عمران
قوله تعالى وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمين قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز
الحكيم وقال في سورة الانفال وما جعله الله الا بشرى ولتطمين به قلوبكم وما النصر الا
من عند الله ان الله عزيز حكيم للسائل ان يسأل فيقول في الآية الاولى ما اوجب
ان يأتي فيها بقوله لكم وليس في الآية الثانية وما بال قوله به قد اخر في الآية الاولى
عن قوله قلوبكم وقدم في الآية الثانية عليه والجواب ان يقال اما قوله لكم في هذه وحذفه
من الآية الثانية مع العلم بان الله تعالى جعل اخباره بانزال الملائكة لنصرتهم بشارة
لهم وان لكم مضمرة في سورة الانفال كما هي مظهرة في سورة آل عمران فلان الاولى

على الاصل

على الاصل والثانية قد تقدمها ما لكم فاغنت عن اعادتها بلفظها ومعناها
في قوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين
فلما قال استجاب لكم علم انه جعل بشرى لكم فاغنت لكم الاولى بلفظها ومعناها
عن الثانية وفي الآية الاولى لم يتقدم ما يقوم هذا المقام فاتى بقوله لكم على
الاصل واما ما تاخر به بعد قوله قلوبكم فلانه لما اخر الجار والمجرور من الكلام الاول
وهو قوله وما جعله الله الا بشرى لكم وعطف الكلام الثاني عليه وقد وقع فيه
جار ومجرور وجب تاخيره هما في احتبار الكلام ليكون الثاني كالاول في تقديم
ما في الكلام احوج اليه وتاخير ما قد يستغنى عنه واما تقديم به في الآية الثانية
فان الاصل في كل خبر تصدّر بفعل ان يكون الفاعل بعده ثم المفعول والجار
والمجرور وقد يقدم المفعول على الفاعل اذا كان اللبس واقعا واريد ازالته
عنه كانك تقول ضرب عمرا زيد لا محمد الا ان المخاطب عنده ان المضروب محمد فلا
خلاف بين المخاطبين في ان الضارب زيد فهو يبدا بما هو اهم وعنايته
اتم وكذلك الجار والمجرور بمنزلة المفعول به في التقديم والتاخير وسبيلهما في
هذا الموضع اذا لم يعرض في اللفظ من التوقعة ما يوجب اجراء الكلام على
الاصل كما كان في سورة آل عمران فان المعتمد تحقيقه عند المخاطبين انما هو
الامداد بالملائكة وهو المضمر بعد الباء في قوله به على الفاعل فقال تعالى ولتطمين
به قلوبكم وفي هذه الآية مسئلة اخرى وهي ان يقال كيف اختلف الاخبار عن الله
تعالى بالعزيز والحكيم فجاء في آل عمران مجيء الصفة فقال وما النصر الا من عند الله
العزيز الحكيم والجواب ان يقال القصد اعلام المخاطبين ان النصر ليس من قبل
الملائكة ولا من جهة العدد والعدة وفضل القوة ولكنه من عند القادر الذي
لا يغلب ولا يمنع عما يريد فعله والحكيم الذي يضع النصر موضعه والآية التي في سورة

وهو الذي اخره عنه انه
لم يحصل الا في الاخرى فوجب ان
يتقدم في الكلام من الثاني
صح

الانفال انما هي في قصة يوم بدر ويكن الله تعالى ذلك فيه بلفظ جعله كالعلة
ليكون النصر بيده فكانه قال في المعنى النصر ليس الا من عنده لانه العزيز الذي
لا يمنع عما يريد فعله والحكيم الذي يضع في موضعه نصره ففعل ذلك في خبرين على
الاصل الواجب في توفية كل معنى حقه من البيان والاية التي في سورة ال عمران
هي في قصة يوم احد وهو بعد يوم بدر وكان هذا البيان قد حصل فيما جعل
خبرا عن النصر في اليوم الاول فاقتصر من ذكر مثله في اليوم الثاني على خبر واحد
تجري عليه معنى الجزا الثاني مجرى الوصف للاختصار المعني عن البسط اعتمادا
على ما فعل في الجزء عن الاول فكان الاختصار بالثاني اليق وكان الثاني له احق
فخص كل موضع مما رايت لما ذكرنا والله اعلم الاية السادسة قوله تعالى فان
كذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب
المنير للسائل ان يسئل عن اختلاف الايتين في ادخال الباء في قوله بالزبر في
موضع وحذفها منها في سورة ال عمران في قراءة الاكثرين والجواب عن ذلك
ان يقال ان الزبور والكتاب في سورة ال عمران وقعا في كلام بني على الاختصار
والاكتفاء منه بالقليل عن الكثير مع وضوح المعنى فكان اول ذلك قوله فان
يكذبوك والتقدير وان يكذبوك فوضع الماضي الذي هو اخف موضع المستقبل
الذي هو اثقل بدلالة التي للشرط وحصول الحقيقة في اللفظ ثم ان الفعل الذي جاء
في جواب الشرط بني للمفعول ولم يسم فاعله فكان الاختيار ان يجعل اخر الكلام
كاوله في الاكتفاء بما قل عما كثر منه مع وضوح المعنى والاية التي في سورة الملائكة
صدرت بما يخالف ذلك في الموضعين لان الشرط جاء فيها على الاصل بلفظ المستقبل
وهو وان يكذبوك وجاء الجزا ايضا مبنيا للفاعل ولم يحذف منه ما حذف من
الاول فلما قصد منه توفية اللفظ حقه اتبع اخر الكلام اوله في توفية كل معمول

فيه عامله

فيه عامله وهو حرف الجر التي استوفاها المجرور فلذلك اختلفت الايتان مضت سورة
ال عمران عن ست ايات واحد عشرة مسئلة سورة النساء الاية الاولى منها قوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما
وقال في هذه السورة في الثلث الاخير منها ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا للسائل ان يسال عن فائدة تكرار
هذه الاية وله ان يسال فيقول لم جواب من يشرك بالله في الاية الاولى فقد افترى اثما
عظيما وجواب من يشرك بالله في الثانية فقد ضل ضلالا بعيدا فاما الجواب عن التكرار فلان
هذه السورة لما اشتمل صدرها على ذلك الاحكام وانتهى الى ذكر التيمم ثم انقطع ذلك بقوله الم
تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب وهم اليهود الذين اوتوا التوراة فحرفوا ما فيه دلالة
على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الى ما تدعوا الى ترك الايمان به ثم توعدهم ان اقاموا
على الكفر بقوله يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان
نطمس وجوها اتبع ذلك ما دل به على عظم الكفر الذي هو شرك وذلك في امر اليهود
والموضع الثاني تقدمت فيه اية قوله ومن يشاقق الرسول من بعد ما ظهرت اياته
وتظاهرت دلالته ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ومعناه من عادى الرسول
من بعد ما ظهرت اياته وتظاهرت دلالته ويتبع سبيل الكفار فان الله يوليه ما تولى
من الاصنام التي عبدها بان يكله اليها ليستنصرها ولا نصر عندها وهؤلاء مشركة
العرب فدل على ان من تقدم ذكرهم وان كانوا اوتوا الكتاب كهؤلاء الذين لا كتاب
لهم كفرهم ككفرهم وهؤلاء المشركون سبيلهم كسبيلهم فاعاد ذكر عظم الشرك ثم عدا
لصنف اخر من الكفار لم يدخلوا في جملة من تقدم ذكرهم ليعلم انهم وان خالفوهم
دينا فقد وافقوهم كفرا فهذه فائدة التكرار فاما ابتداع الاول فقد افترى اثما عظيما
والثاني فقد ضل ضلالا بعيدا فلان من اريد بالاية الاول هم عرفوا صحة نبوة النبي

كان

صلى الله عليه وسلم من الكتاب بالذي معهم فكذبوا او افقوا ما لم يكن عندهم فكان كفرهم
من هذا الوجه الذين اضلوا به اتباعهم واما اتباع الثاني فقد ضل ضلالا بعيدا
فلان من اريد به مشركوا العرب وهو ان تتعلقوا ابما يهديهم ولا كتاب في ايديهم
فيرجعوا اليه فيما يشكون فيه فقد بعدوا عن الرشد وضلوا اتم الضلال فتبقى
المعنيون بالاول ما ذكره تعالى والمعنيون بالثاني ما اتبعه اياه وان كان
الفريقان مفترقين انما عظما وضالين ضلالا بعيدا الآية الثانية من هذه
السورة قوله عز وجل وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا
جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان
تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا وقال بعده ولن تستطيعوا ان
تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان
تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما للسائل ان يسئل عن مسئلتين
في ذلك احدهما قوله تعالى في الآية الاولى وان تحسنوا وتتقوا وفي الثانية وان تصلحوا
وتتقوا والمسئلة الثانية ان ختمت الآية الاولى بقوله فان الله كان بما تعملون
خبيرا والثانية بقوله فان الله كان غفورا رحيما والجواب عن الاول معناها
ان خافت امرأة من زوجها ترفعا وبنزا الملل او اعراضا لموجدة او بدل فلا
اثم في ان يتصالحا على ان تترك له من مهرها وبعض ايامها ما يترضيان به والصلح
خير من ان يقيما على التباعد او يصيرا الى القطيعة وتفر كل واحد منهما شح
بمالها قبل صاحبها وقيل المراد شحهن على النقصان من اموالهن والضنا لكن
من ازواجهن وهذا يقتضي مخاطبة الازواج بمجانبة القبح وايثار الحسنى
في معاملتهن فبعث الله تعالى في هذا المكان على فعل الاحسان فاما الثانية
فانه جاء بعد قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء في محبتهن والشهوة

لهن

لهن لان ذلك ليس اليكم وان حرصتم على التسوية بينهن فلا تميلوا كل الميل بان
تجعلوا الكل ميلكم وخلوتكم وجميل عشرتكم وبسعة نفقتكم عند التي تشتهونها دون
التي لا تشتهونها فتبقى تلك معلقة لا ذات زوج ولا مطلقة فاقتضى
هذا الموضع ان يحث الازواج على اصلاح ما كان منه من الانصباب الى
المواحدة دون ضراتها بالتوبة مما سلف واستيناف ما يقدرون عليه من
التسوية ويملكونه من الخلوة وسعة النفقة وحسن العشرة فقال وان تصلحوا
وتتقوا واما جواب المسئلة الثانية فقد بان ووضح بما ذكرنا انه لما قال ان
جانبتم القبح وآثرتم الاحسان فالله به عالم وعليه مجاز وهذا قوله فان الله
كان بما تعملون خبيرا ولما عدد الازواج في بعض الميل وهو الذي لا يملكون خلافه
حثهم على ما يطيقون فعله بما ذكرنا وعلى اصلاح ما سلف منهم بما بينا فان الله
يغفر لمن يقلع عن قبائحه ويوثر بعدها الحسنى من افعاله وهذا قوله فان الله
كان غفورا رحيما الآية الثالثة من سورة النساء قوله عز وجل وان يتفرقا
يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله ما في السموات وما في الارض
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا
فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما
في الارض وكفى بالله وكيلا للسائل ان يسئل في هذه الآية عن مسئلتين عن تكرار
قوله ما في السموات وما في الارض ثلث مرات والثانية عما اتبع المكرر في انه من
قوله وكان الله غنيا حميدا وفي اخرى وكفى بالله وكيلا والاولى لم يتبعها مثل ما اتبع
الوسطى والاخرة والجواب عن المسئلة الاولى وهي التكرار انه اذا اعيد الكلام
لاسباب مختلفة لم يسم تكرارا فالاول بعد الاذن للرجل وامرأته في ان تفرقا
بطلاق وتسليتها عن الوصلة بانه هو الذي يغني المحتاج منهما وان كان قبل

ذاك اغنى كل واحد منهما بصاحبه فانهما بعد الفرقة يرجوان الغنى من عنده
لانه واسع الرزق وواسع المقدرة فان له ما في السموات وما في الارض وارزاق
العباد من جملتها واما الثاني فانه بعد قوله ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم واياكم ان اتقوا الله اي الله واسع النعمة والفضل والرحمة وقد اوصيكم
منها ووصاكم ومن قبلكم بتقواه والاستجارة بطاعته من عقوبته فانكم ان عصيتم وكفرتم
لم يكن بالله حاجة الى طاعتكم وانما انتم محتاجون اليها والله غني حميد فوجبت عليهم
طاعته لان له ما في السموات وما في الارض وهو غني بنفسه حميد لانه جاد بما استحمد به
الى خلقه من الاحسان اليهم والانعام عليهم فالمقتضي لذكر له ما في السموات وما في
الارض في الثاني غير المقتضي له في الاول واما الثالث فلانه لما ذكر انه اوجب طاعته على
من قبلهم وعليهم لانه ملك ما في السموات وما في الارض فانعم عليهم من ذاك ما حقت به العبادة
اقتضى ذلك عن دوام هذه القدرة فكانه قال وله ذلك دايما وكفى بالله حافظا اي
لا زيادة على كفايته في حفظ ما هو موكول الى تدبيره وللوكيل القيم بمصالح الشيء
وقيل هو الحافظ وما قام الله بمصالحه فهو حافظه فقد بان ان ذلك ليس بتكرار
واما الجواب عن المسئلة الثانية من اتباعه قوله وان تكفروا فان لله ما في السموات
وما في الارض وكان الله غنيا حميدا فقد تضمنه الجواب عما ذكرنا من التكرار وهو
كقوله ان تكفروا فان الله غني عنكم اي محتاجون الى طاعته ولم يتعقب ما تقدم غير هذا
الوصف فلما اتصف تعالى بالغنى وكان الغني اذا لم يجد من غناه مذموما والله قد حكم
بعطايه المستحق وغيره من الكفار كان الغني الحميد واما قوله بعد الثالث وكفى بالله
وكيلا فلانه لما كان المعنى انه دايم القدرة اجزا ان ما يحفظه مما في السموات وما في الارض
يكتفى به حافظا ان ملكه دايم وتدبيره فيه قايم الآية الرابعة من سورة النساء قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين

والاقربين

والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا
وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا وقال في سورة المايدة يا ايها
الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا
تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون للسايل ان
يسال ما الفايدة في تقديم قوله بالقسط على شهداء في الآية الاولى وتاخيره عنه في
الآية الثانية والجواب ان يقال ان الآية الاولى في الشهادة امر عز وجل من عنده
ان يقوم بالحق فيها ويشهد لله على كل من عنده حق لغيره يمنعه اياه حتى يصل اليه فقال
قوموا بالقسط اي بالعدل في حال شهادتكم لله على كل ظالم حتى يوخذ الحق منه فقدم
القسط لانه من تمام قوامين اذ فعله يتعدى الى مفعوله بالباء واما شهداء فانها اذا
حالا من الضمير في قوامين فان حقها ان يجي بعد تمام قوامين وكذلك ان كانت خبرا
ثانيا وان كانت صفة لقوامين فان حقها ان يجي بعده واما قوله لله بعد شهداء
فلتعلقه بالشهادة كانه قال كونوا شهداء لله لا للهوى والميل الى ذوي العشرة
والدليل على ذلك انه قال ولو على انفسكم وشهادة الانسان على نفسه ان يقر بالحق
لخصمه اي افعلوا ذلك لله وان كان عليكم او على الوالدين وذوي القربى منكم وقوله ان
يكن غنيا او فقيرا اي ان يكن من عليه الحق على احد هذين الوصفين فانتهوا في
امره الى امر الله به ولا تحملنكم الاشفاق من فقره على محاباته ولا يدعونكم غنى الغني الى
مداراته فان الله اولى بالنظر لهما وطمع عباده عنهم لانفسهم ولغيرهم وقوله فلا
تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا السنتكم بالشهادة ولم تفصحوا بها ولم تقوموا بما
يجب عليكم فيها او تتركوا اما يلزمكم منها فان الله عليم بعملكم وهو مجازيكم على فعلكم وقيل
تلووا بمعنى تمتطلوا من توليت الغريم اذا دفعته كانه قال ان تدفعوا الشهادة
ولم تودوها وقت الحاجة اليها وقرئ بضم اللام وواو واحدة بمعنى ان وليتم امر

الناس او تركتموه ويجوز ايضا ان يبدل من الواو المضمومة همزة ثم تخفف بالقاء حركتها
على اللام وحذفها وان كان مستضعفا في الهمزة العارضة واما الاية التي في سورة المائدة
فان فحواها يدل على انها للولاة فقال كونوا قوامين لله لا للنفع ويكون بالقسط
متعلقا بقوامين اي كونوا قوامين لاجل طاعة الله بالعدل به والحكم به في حال
كونكم شهداء اي وسايط بين الخالق والخلق او بين النبي صلى الله عليه وسلم
وامته كما قال ثم بتنفيذ احكام الله بين خلقه اذا وفى بما عليه من حقه فهو شهيد
عليهم شهيدا فالقايم بتنفيذ احكام على من وليه والرسول عليه الصلوة والسلام
شهيد عليه بما نقله اليه والدليل على ان الخطاب لولاة الاحكام قوله بعده ولا
يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى وذلك عام في
المخالفين من اهل الاديان والموافقين ممن حصلت لهم بغضة وعداوة اي
اعدلوا على الولي والعدوي عدلا واحدا وقيل في هذه الاية انها ايضا في الشهادة
بالحقوق وقيل في الشهادة عن المنكر وتجنبه الاية الخامسة من سورة النساء قوله
عز وجل ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا وقال
في سورة الاحزاب ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما للسائل ان
يسال عن الاية الاولى لم خص فيها خير وعن الثانية لم عم بلفظ شيء والجواب ان يقال
انما خص في الموضع الخير بالابداء لانه بازاء السوء الذي قال فيه لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول الا من ظلم والمعنى لا يحب الله ان يجهر بالقول السيء غير المظلوم وهو ان يدعو
على من ظلمه او ان يخبر بظلمه له او ينتصر منه بسوء مقالة فيه فقال ان تبدوا ثناء وذكرا
جميلا لمن يستحقها او اخفيتموه او اساتم عمن اساء اليكم بالعفو منكم فان الله مع قدرته
كثير العفو عن خليقته فاقتضت في هذا المكان المقابلة ان يجعل بازاء السوء الخير
واما في الاية التي في الاحزاب فلان قبلها تحذيرا من اضمار ما لا يحسن اضماره في قوله والله

يعلم ما

يعلم ما في قلوبكم وقوله واذا سالتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر
لقلوبكم وقلوبهن فاقتضى هذا المكان العموم فقال تعالى ان تبدوا مما حذركم شيئا
او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما لم يزل عليما بما يكون كعلمه بما كان ٥ انقضت
سورة النساء عن خمس آيات فيها سبع مسائل **سورة المائدة** الاية الاولى من سورة
المائدة قوله عز وجل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم وقال في سورة الفتح آخر صح
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما للسائل ان يسال
فيقول لم رفع مغفرة واجر عظيم في الاية الاولى ونصبا في الثانية والجواب ان يقال
بقوله لهم في الاولى وقوله منهم في الثانية وذلك انه لما قال وعد الله الذين امنوا وعملوا مغفرة صح
الصالحات علموا انهم وعدوا ما هو حق لهم فعدل عن ذكر المفعول الى جملة تضمنت معناه
من الجملة ابتداء وخبره وهو في موضع مفرد منصوب كانه قال وعد الله الذين آمنوا مغفرة
ومثله قول الشاعر ٥ وجدنا الصالحين لهم جزاء ٥ وجنات وعينا سلسبيلا ٥ كانه قال وجدنا ٥
للصالحين جزاء وجنات وعينا فاللام في لهم داخلة على ضمير الصالحين فكانها داخلة عليهم
فكانه قال وجدنا للصالحين جزاء وعطف على موضع الجملة التي هي لهم جزاء منصوبا اذ كان موضع
الجملة موضع نصب واما الاية الاخرى فان منهم متعلقة بالذين امنوا وعملوا الصالحات فيها صح
ومن تمامها ولم يكن هناك ما ترتفع مغفرة به فتعدى اليها الفعل الذي هو وعد فجرى على الاصل
في نصب المفعول به فان قال كيف يحتمل ان يبعض القوم الذين اخبر عنهم محمد رسول الله والذين
معه اشداء على الكفار مع ساير ما وصفهم الله به فاثنى عليهم بذكره كلهم وعدوا مغفرة واجرا
عظيما فالجواب عن ذلك من وجهين احدهما ان يقال ان من في هذا المكان ليست للتبعيض
انما هي لتبيين الجنس كانه قال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين هم كما قال ٥
فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي الرجس الذي هو الاوثان والجواب الثاني ان يكون التقييد
للتحذير لانهم وان علم الله منهم الثبات على ما هم عليه من العمل الصالح فانه لا يخليهم من الامر والنهي

والوعد والوعيد على معنى قوموا على ما انتم عليه فان من دام منكم عليه فقد وعده الله مغفرة واجرا
عظيما فان قال قايل فلم اختصت الآية الاولى بان جعل مفعولها الثاني جملة والآية الثانية مفعولها
مفرد قلت لان الاولى خطاب لقوم حثهم على توخي العدل فيما يحكمون به وهم اعم من نخب من
الصحابة الذين ذكرهم في آخر سورة الفتح واثنى عليهم بالشدة على الكفار والرحمة للمؤمنين
وملازمة الركوع والسجود وابتغاء رضوان الله وان مثلهم كزرع اخرج شطأه الى آخر الآية
فخص هولاء بصريح المغفرة وذكر انه وعدهم ذلك وقال في الاولى وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فكان اخبارا عن وعده اياهم ثم اتى بخبر ان فقال لهم مغفرة على معنى ان وافوا
بذلك وان لم يحبطوه بالسيئات تجوزا منهم هذا ولم يعلق المغفرة بوعد فيعديه اليها وفي الآية
الثانية حقق المغفرة لهم وعدّى الفعل اليها وكان الحكم بانهم يوافون الآخرة باعمالهم الصالحة
وقد وعدهم الله عنها المغفرة والاجر العظيم خلاف تلك الآية ما خصت به فاعرفه ان شاء الله
الآية الثانية من سورة المائدة قوله عز وجل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم
قاسية يحرفون الكلام عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به وقال بعده في هذه السورة سماعون
للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم مواضعه للسائل ان يسأل فيقول من بعده
لما قال في الاولى يحرفون الكلم عن مواضعه وقال في الثانية من بعد مواضعه وما الفرق
بين اللفظين وبين الموضعين حتى اختص كل واحد منهما باللفظ الذي خصه والجواب
ان يقال ان الاولى في اليهود الذين حرفوا ما انزل الله من كلامه عما عليه تاويلا للآية
فيكون هذا تحريفا من جهة التاويل وحرفوا ايضا من جهة التنزيل كما قال فان منهم
لفريقا يلوون السنتهم بالكذب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون بالكتاب ص
هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون فقولك
عن في كلام العرب موضوع لما عدا الشيء يقول اطعمه عن جوع وكساه بعد العري الا
ان الاصل في هذا المكان ان يستعمل عن لان بعد قد يكون لما تاخر زمانه لزمنة والمراد

اذاقال

اذا قال اطعمه عن جوع وسقاه عن عطش ليس يراد به الا انه لما عطش سقاه واطعمه
وقت حاجته الى الاطعام واما الآية الثانية فهي في قوم من اليهود فاخبر الله عنهم بانهم
سماعون لما يقوله ليكذبوا عليك واخبروا بخلاف ما تقوله عنك ويتقولوا الكلام الى قوم
آخرين لم يأتوك ومعنى يحرفون الكلم من بعد مواضعه يحتمل ان يكون المراد من بعد مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم ليحملوه على خلاف ما سمعوه منه وهذا موضع بعد لا موضع عن
لانه ليس يعدوه الى المحرف اليه فينفصل عما جاء عليه الى الكذب مقارنا له وانما ذلك
بعده بازمنة كثيرة يتوقعون مضيها ليسهل كذبهم بعدها بعدها ويكون التقدير
سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي ناوين تحريفه من
بعد وقوعه مواقعه وحصوله مواضعه محرفين بمعنى ناوين التحريف كقوله وخروا له سجدا
اي ناوين السجود وكذلك ادخلوها خالدين اي ناوين الخلود ومقدرين له هذا ظاهر
في هذا المكان لا يصلح فيه الا ما نطق القرآن به ويحتمل ان يكون المراد ما ذهب اليه اكثر
اهل التفسير وهو ان قوما ارسلوا هولاء النبي صلى الله عليه وسلم في قصة زان محصن فقالوا الى ص
لهم ان افتاكم محمد بالجلد فخذوه وان افتاكم بالرجم فلا تقبلوه وقال قتادة كان هذا
في قتيل منهم قالوا ان افتاكم محمد بالدية فاقبلوه وان افتاكم بالقود فاحذروه وكانوا
حرفوا اي القولين حكم الله الذي في التوراة بعد ان عمل بها في مواضعه ولم يحرفوه ساعة
نزوله ووجوب العمل به وهذا معنى قوله يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه
فاحذروا وقيل ان هذا اشارة الى دين اليهود اي ان حكم محمد بدينكم فاقبلوه وان
لم ياتكم به فاحذروه فقد بان بين الموضعين بما بيناه والله اعلم الآية الثالثة من سورة المائدة الفرق ص
قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا
عن كثير وقال بعده يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا
ما جاءنا من بشير ولا نذير للسائل ان يسأل فيقول فيه اهل الكتاب بمجيء الرسول صلى الله عليه وسلم

في الآية الاولى واجرائه يبين لهم كثيرا مما تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير وقال في
الآية الثانية ان جاء يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير
وهل ما ذكر من التبيين في الثانية كما تجوز ان تعتبر بالتبيينة الاول ام وجب لكل ما تبعه
من الكلام فالجواب ان قوله في الآية الاولى يبين لكم كثيرا مما تخفون معناه يبين كثيرا
مما في التوراة والانجيل من وصف الرسول صلى الله عليه وسلم وساير ما يدعوا الى الدخول
في الاسلام ويترك كثيرا مما تخفونه فلا يبينه لانه ليس في ذكره ما يلزمكم حجة وتجدد لكم ملة
فهذا التبيين حقه التقديم والاحتجاج به ولذلك وافقه قوله قد جاءكم من الله نور اي
منافع دينكم واما الآية الثانية التي بعدها فمعناه جاءكم رسولنا يبين لكم على حين
دروس مما كان الرسل اتوا به مما يلزمكم في دينكم احتجاجا عليكم وقطعا لعذركم لئلا
تحتجوا بانه لم يجيئكم بشير يبشركم بالثواب وينذركم من العقاب فالاول احتجاج لنبوة
النبي صلى الله عليه وسلم وبعد تثبيته بتبيين الداعي الى بعثته وما ذكر في الآية الثالثة
الآية الرابعة من سورة المائدة قوله عز وجل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان
يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما
يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير وقال بعدها وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء
الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير للسائل ان يسال
عن شيئين في هاتين الآيتين المتصل احدهما بالاخرى احدهما عن تكرار قوله
ولله ملك السموات والارض وما بينهما والثاني صلة الاول بقوله يخلق ما يشاء والله
على كل شيء قدير وصلة الثاني بقوله واليه المصير والجواب عن التكرار ان يقال ان
الآية الاولى في النصارى خاصة وهم الذين قالوا في عيسى عليه السلام
انه اله والاله واحد صاروا كانهم قالوا الله هو المسيح ابن مريم فرد الله ذلك عليهم

بما دل

بما دل به على ان المسيح عبد مخلوق مملوك ليس هو بابن لله ولا باله لان احدا لا
يملك ان يدفع عن المسيح وامه وعن سائر من في الارض من الخلق ما يريد الله ايقاعه
بهم من موت وهلاك ولا المسيح يملك ذلك فدل هذا على انه مخلوق وان الله له
ملك السموات والارض فالقصد بذكر ملك السموات والارض وما بينهما في الآية الاولى
ان يبين ان المسيح مخلوق مملوك ليس بابن ولا باله اذ لو كان الها كما زعموا لم يكن الله
مالكا لجميع السموات والارض وما بينهما ولما تهيا اهلاك المسيح فكان احتجاجا عليهم حاصة
بانه مخلوق وان الله يخلق ما يشاء من امثاله بدلالة انه قادر على اهلاكه وفي ذلك
جواب على المسألة الثانية وهي صلة الاولى بقوله يخلق ما يشاء واما الآية الثانية
وهي وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه فيروى عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان جماعة من اليهود حين حذرهم النبي صلى الله عليه وسلم نقمات الله
وعقوبته قالوا لا تخوفنا فانا ابناء الله واحباؤه وقيل ان اليهود تزعم ان الله
اوحى الى اسرائيل ان ولدك بكري من الولد وقال الحسن انما قالوا ذلك على معنى
قرب الولد من الوالد والنصارى تأولوا ما في الانجيل من قوله اذهب الى ابي وابيكم
وقيل بل لما قال المسيح ابن الله اجرى على القائلين بذلك مثل ما يجري على الواحد من
هذيل اذا قال نحن الشعراء والمراد منا وكما يجري رهط مسيلمة هذا الاطلاق في
قبيلتهم فيقولون نحن الانبياء كما قال واحد منهم ذلك وتابعه الباقون عليه فلما
كان هذا مقال الفريقين رد الله عليهم قولهم مع اعترافهم بانهم يعذبون على
ذنوبهم اذ لو لم يقولوا ذلك لاباحوا ارتكاب الفواحش فقال فلم يعذبكم بذنوبكم
والاب المشفق على ولده لا يعذبه وكذلك الحبيب لا يعذب من احبه فكان هذا احتجاجا
عليهم بما يعتقدون صحته من عذاب الآخرة وانكم لستم لله تعالى ابناء ولا احباء
ثم قال وهو المنفرد بملك السموات والارض وما بينهما وانه لا ولد له ولا نظير ولا شريك

من ص

العرب ص

[illegible] السموات والارض

اذ لو ثبت له عنه لما كان مالكا لجميع ذلك فلما احتج على ابطال قولهم بما يعتقدون صحته
من عذاب المذنب منهم وذلك من احوال الآخرة ثم احتج بملكه للسموات والارض
على ذلك صرف اليه قوله واليه المصير اي مآل الخلق اي مآل الخلق الى من لا يملك لهم احد
نفعا ولا ضرا غيره تعالى وفي هذا جواب المسألة الثانية من اقتران ما اقترن
بذكر ملك السموات والارض وما بينهما في الآيتين الآية الخامسة من سورة المائدة
قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم
ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقال في سورة ابراهيم عليه السلام واذ قال
موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون وللسائل ان يسأل
فيقول هل للتنبيه في الآية الاولى من سورة المائدة بقوله يا قوم فائدة لم يكن مثلها في
الخطاب الواقع في سورة ابراهيم عليه السلام لم يقل فيه يا قوم والجواب ان يقال الكلمة
المخاطب بندائه مع الاقبال عليه بعد مبالغة في التنبيه له فاذا قال القائل افعل كذا
يا فلان فكانه قال اعنيك بخطابي لا غيرك ممن يصح ان يصرف الخطاب اليه الا ترى انه اذا ~~من~~
عري النداء صلح لكل مخاطب فاذا قارن النداء والمبالغة في التنبيه حقها ان يكون في الامر ~~الامر~~
الاعم نفعا وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا يصح ان يجاب عنه بجوابين احدهما
ان يقال لما نبههم على ما خصهم به من الاكرام ليشكروا على هذه النعم العظام بان جعل فيهم انبياء
مقيمين بين اظهرهم فدعوهم الى طاعة ربهم ويثنون اعينهم عن المحظور من شهواتهم
وان جعلهم ملوكا حيث اغناهم بما انزله عليهم من المن والسلوى من الحاجة الى الناس
والتماس الرزق من امثالهم وتكلف خدمتهم واعمالهم ومما ملكهم من المال والعبيد
والاماء الذين كانوا يخدمونهم ويكفونهم ما يحتاجون الى مباشرته بانفسهم فالمنة
عليهم في هذا المكان اشرف ما يخوله الانسان من النبوة التي لها اشرف منازل الثواب
والملك الذي هو غاية ما تسمو اليه هممهم في دار التكليف فنبهوا بابلغ الالفاظ ليقوموا

بشكر

(تنبيه صح)

بشكر ما عليهم من الانعام واما الآية التي في سورة ابراهيم عليه السلام على صرف غيرهم من البلاء
وليس هو كالتنبيه على تخويل اشرف العطايا مع صرف البلاء وجواب ثان وهو ان المن والسلوى
مما لم ينعم به على احد قبلهم ولا بعدهم فلذلك قال وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين فاذا نبهوا على صح
شكر نعمة خصوا بها دون الناس كلهم كانت المبالغة في ذلك اولى وجواب ثالث وهو ان
يقال لما جعل الخطاب بعد قوله يا اهل الكتاب في آيتين وحذر المخاطبات بنفيها الى قبول
بمناداتهم فيما حكى من اقوالهم كقوله تعالى بعده يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي
كتب الله لكم وقوله يا موسى ان فيها قوما جبارين وبعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها
ابدا ما داموا فيها وقوله اني لا املك الا نفسي واخي كان الاختيار ان تجري مجرى نظايره ربه صح
المتقدمة والمتاخرة ولم يكن شيء من ذلك في الآية التي في سورة ابراهيم فلم يذكر فيها
يا قوم لهذا وقد اختلف الناس فيمن يسمى ملكا الدار والمراة والخادم وقال غيرهم الملك
الذي له ما يستغني عن تكلف الاعمال وتحمل المشاق للمعاش وبنوا اسرائيل سموا ملوكا لما
من الله به عليهم من المن والسلوى والحجر والغمام عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
وغيره وقال الحسن لانهم ملكوا انفسهم بالتخلص من القبط الذين كانوا يستعبدونهم وقال
السدي ملك كل واحد منهم نفسه واهله وماله وقال قتادة كانوا اول من ملك الخدم
فاما قوله وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين فيحتمل وجهين احدهما ان يريد من
عالمي زمانكم كما قال واني فضلتكم على العالمين اي على زمانكم ويجوز ان يراد هنا عالمي صح
آتاكم المن والسلوى وهو ما لم يؤت احدا من العالمين وقد ذكرناه قبل الآية
السادسة من سورة المائدة قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
وبعده فاولئك هم الظالمون وبعده فاولئك هم الفاسقون للسائل ان يسأل
فيقول الموضع الذي وصف فيه من لم يحكم بكتاب الله بالكفر هل باين الموضع الذي
وصف فيه تارك حكم الله بالظلم والفسق والجواب ان يقال ان الآية الاولى

قوله انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا
والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا
الناس واخشوني ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الكافرون قال فيها بعض اهل النظر ان من ليست ههنا كمن في المجازاة وانما هي بمعنى الذي
ويصح دخول الفاء في جوابها كما تدخل في جواب الشرط لتضمنها ذلك المعنى وان كان لا يجازى
بها وهو كقولك الذي يزورني فله درهم اذا اوجبت له الدرهم بالزيارة وان لم ترد من
يزرني فله درهم فقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله في هذه الآية المراد به اليهود والذين
كانوا يبيعون حكم الله بما يشترونه من ثمن قليل يرتشونه فيبدلون حكم الله بالذي
ياخذونه فهم يكفرون بذلك واما ان يكون الحكم بخلاف ما انزل الله كفرا فهو مذهب الخوارج
يذهبون من هنا الى الشارع الذي يراد في المجازاة وهذا مخصوص به اليهود الذين
تقدم ذكرهم وتبديلهم حكم الله ليكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك كفر واما
الآية الثانية فهي فيهم ايضا لقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس ومعناه كتبنا
على هولاء في التوراة فرد الذكر الى الذين هادوا وهم الذين كفرهم بتركهم دين
الله والحكم بما انزله ووصفهم بعد خروجهم عن حكم الله في القصاص بين عباده في
قتل النفس وقطع اعضائها بانهم مع كفرهم الذي تقدم ذكره ظالمون وكل كافر هو
ظالم لنفسه الا انه قد يكون كافرا غير ظالم لغيره فكانه وصف في هذه الآية المراد بها الذين
لا يحكمون من اليهود واما الثالثة فانه بعد قوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه
ومعناه قيل لهم في ذلك الزمان وامروا ان يحكموا به ومن لم يحكم بما انزل الله قال
فيه حكينا قوله في المتقدمين انه بمعنى الذين والذي اذهب اليه انه بمعنى المجازاة
كما يقول فيمن لم يحكم بما انزل الله منا انه لا يبلغ منزلة الكفر وانما يوصف بالفسق فلذلك
قال فاولئك هم الفاسقون فتعدبان لك ان لكل موضع من الآيات الثلاثة اخبر فيه

فيه صح

بصفة زايدة على صفة الكفر بالله وهو ظلم العباد بخروجهم في القصاص عن حكم الله ومن لم يحكم في هذه الآية صح

الكفر

المذكورين

المذكورين قبل بالكفر والظلم والفسق انما وجب فيه ذاك ولم يحسن غيره هناك
فاعلمه الآية السابعة من سورة المائدة قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه
ذلك الفوز العظيم وقال في سورة البراءة والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله
واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وقال في سورة
المجادلة ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ~~ابدا ذلك الفوز العظيم~~
عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وقال في سورة الطلاق ومن
يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فللسائل
ان يسال فيقول قال في سورة المائدة لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
وقال في سورة براءة تجري تحتها الانهار ولم يدخل عليها من وقال في سورة المجادلة
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ولم يذكر ابدا كما ذكره في الآيتين
المتقدمتين والجواب ان يقال ان الآية الاولى وهي قوله هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم وان كانت عامة في كل صادق مؤمن فانها خرجت على ما يكبت الله به النصارى
من دعاويهم الباطلة ومقالاتهم الكاذبة المنسوبة الى عيسى وقوله اذ قال الله يا عيسى بن
مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فانكشف هذا صدقه عليه
السلام وكذب القوم لما اجاب وقال ما قلت لهم الا ما امرتني به فانتفع الصادقين
بقوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم اي الذين صدقوا في الدنيا ينفعهم اليوم صدقهم
والصادقون يجوز ان يكون منصرفا الى عيسى وامثاله من الانبياء صلوات الله عليهم لقوله
عز وجل بل جاء بالحق وصدق المرسلين اي قال لهم صادقون فيكون الاشارة بالالف

٧ ابدا

رضي الله عنهم ورضوا عنه

واللام اليهم صلوات الله عليهم وان كل من صادق داخلا في حكمهم من الانتفاع بصدقهم
وكذلك الآية التي في اخر المجادلة خرجت على ذكر الرسل لقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا
ورسلي ان الله قوي عزيز ثم قال اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار الانبياء وغيرهم ومن لابتداء الغاية والانهار مباديها
اشرف الجنات التي مبادي الانهار من تحتها اشرف من غيرها والموضع الذي لم يدخل
عليه من اغناهم في قوم ليس فيهم الانبياء الا ترى الى قوله والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري
من تحتها الانهار فجعل المبادي تحت جنات اخبر انها للصادقين والمؤمنين والذين عملوا
الصالحات وفيهم الانبياء بل هم اولهم والمعتاد انها اشرف الانهار والآية التي في سورة
البراءة قد خرج الانبياء عنها لان اللفظ لم يشتمل عليهم فلم يخبر عن جناتهم بان اشرف
الانهار على مجرى العادة في الدنيا تحتها كما اخبر به عن الجنات التي جعلها لجماعة خيارهم
الانبياء اذ لا موضع في القران ذكرت فيها الجنات التي جعل الانهار تحتها الا وقد خلتها
من سوى هذا الموضع في الكلام ينطوي ذكر الموعودين فيه على الانبياء عليهم السلام في
تحتها والحذف قوله ابدا من آخر سورة المجادلة فلان في خالدين ما يدل على التابيد ثم
قد نزل منزلة اخبار في مدحهم وهي قوله رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله
الا ان حزب الله هم المفلحون فلما تظاهرت هذه الاخبار التي هي ثناء من الله عليهم ومدح
لهم وطال الكلام بها واستغنى بذكر خالدين عن ذكر قوله ابدا احسن حذفه ما لم يحسن في
المواضع الأخر التي لم يتظاهر فيها مثل عدة هذه الاخبار لهم دار الخلود ودار النعيم
سورة الانعام الآية الاولى في سورة الانعام قوله عز وجل فقد كذبوا فسيأتيهم
انباء ما كانوا به يستهزؤون للسائل ان يسأل فيقول قد ذكر في الآية التي في الانعام ما كذبوا
به وهو الحق لما جاءهم وقال سوف يأتيهم وفي سورة الشعراء لم يذكره بما كذبوا به وجعل

بدل السين

ثم قال اولئك حزب الله الا ان حزب الله ... تجري من تحتها الانهار

وجري الانهار

الذي

الموجبة صح

من

فهذا



كان صح

بدل السوف السين فهل يجوز احدهما مكان الآخر والجواب ان يقال ان الآية الاولى توفر في
المعنى فيها حق من اللفظ لانها سابقة للثانية اذ سورة الانعام مكية وان كا
وان كانت سورة الشعراء مثلها في انها نزلت حيث انزلت فاشبعت الفاظ الاولى
مستوفية لمعناها والثانية اعتمد فيها على اختصار لما سبق في الاولى من البيان واقتصر على
قوله كذبوا وهذا اللفظ اذا اطلق كان لمن كذب بالحق الا ترى قوله ويل يومئذ للمكذبين
فاذا قيل جاز ان يقول كذب الكذب وكذب الصدق وكذب مسيلمة وكذب النبي صلى الله عليه
وسلم الا انه اذا عري من التقييد لم يصح الا كذب بالحق فصار قوله في الشعراء من هذا القبيل
بعد البيان الذي سبق في سورة الانعام ولما بنيت هذه الثانية على الاختصار
والاكتفاء بالقليل من الكثير جعل فيها بدل سوف السين وحدها وهي مؤدية معناها
ومن النحويين من ذهب الى انها مأخوذة من سوف وان كان ذلك عندنا غير صحيح
الآية الثانية من سورة الانعام قوله عز وجل متصلا بالآية التي تقدم ذكرها الم يروا
كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وقال في سورة الشعراء قبل
الآية التي اشبهت هذه اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم
وللسائل ان يسأل فيقول ما بال الالف في الآية الاولى دخلت على لم وفي الثانية
دخلت على اولم فكان بين الالف ولم واو عطف ولم يكن في سورة الانعام ما الفصل
بين لم وبين اولم وهل يصلح ما في الشعراء مكان ما في سورة الانعام والجواب
ان يقال ان الالف تدخل على واو العطف في الاستخبار والانكار والتقريع على تقدير
ان تكون الجملة التي فيها الواو معطوفة على كلام مثلها تقتضيها وذلك كقول القائل
تقول هل رايت زيدا ثمة او زيد ممن يكون ثمة بصورته بصورة من ثبت ذلك
عنده او قال فاستفهمه وعطفت عليها توهمت انه في علمه او وهمه في الاستخبار فكل موضع
فيه بعد الف الانكار واو ففيه تبكيت على ما سهل الطريق الى ما بعد الواو والاعتبار به

اولم يروا الى الطير مسخرات في جو السما وقال هذا من القسم الذي يشاهد وحقه ان يكون ملحقا بقوله اولم كان صح

لكثرة امثاله كقوله تعالى اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم كان
كان قائلا كذبوا الرسل وغفلوا عن الذكر والتدبر فقال فعلوا ذلك ولم ينظروا الى
المشاهدات التي تنبه الفكر فيها من الغفلة وكذلك قوله ولقد كذب الذين من
قبلهم فكيف كان نكير اولم يروا الى الطير فوقهم صافات كانه قال كذبوا ولم ينظروا الى ما يردع
عن الغفلة من الفكر والمشاهدات وكذلك قوله اولم يروا الى ما خلق الله من شيء
تتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله ذلك مشاهد فكل ما فيه اولم مثل
اولم فهو تنبيه على ما تقدمه في التقدير امثاله منبهة لكثرتها فالتبكيت فيه اعظم
فهذا كله في المشاهد وما في حكمه وما ليس فيه او مثل الم يروا فهو مما يقدر قبله ما يعطف
عليه ما بعده لانه من باب ما لا يكثر مثله وذلك فيما يؤدي الى الاستدلالات كقوله
عز وجل في سورة الانعام الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض
ما لم نمكن لكم الى قوله فاهلكناهم بذنوبهم وهذا مما لم يشاهدوه وانما علموه وكذلك
قوله الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون هو مما الطريق به الاستدلال
لا المشاهدة فهذا ونحوه مما لم يكثر في معلومهم اشباهه فهم ينبهون عليه ابتداء
من تقدير تنبيه على شيء مثل ما قبله فان عارض معارض بقوله تعالى اولم يروا الى
الطير فوقهم صافات ويقبضن وهما واحد فما بالهما اختلفا من حيث وجب ان يتفقا
فالفصل ان يقال انا علقنا موضع الم يوجب ان يكون هذا الموضع من اماكنها الا
ترى انا قلنا هو كل موضع ينبهون عليه ابتداء من غير تنبيه على شيء مثله مما قبله فعللنا
المشاهدات بما يخرج هذا عنها لان قبل هذه الاية والله اخرجكم من بطون امهاتكم
لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون الم يروا الى الطير
فبنيت هذه الاية على الاية التي اخبر الله فيها عن اول احوال الانسان وانه اخرجهم
اطفالا صغارا من بطون امهاتهم لا يعلمون منافعهم فيقصدوها ولا مضارهم فيجتنبوها

لم ح

الى الطير

ثم نبهم

ثم نبههم حتى عرفوا ونبههم على ما يشاهدونه لكنه في من يصرف الطير في الهواء وعجزه
عن مثل ذلك فكان هذا مقرونا باول الاحوال ولم يتقدمه امثال لم يقع التنبيه عليها
قبله فيكون في حكم ما يعطف على ما تقدمه فان عارض بقوله فانا اذا اذقنا الناس
رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اولم يروا ان
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال ذلك مما يعلم ولا يشاهد وحكمه ان يكون
بالم قيل له التوسعة في الرزق والتقتير فيه لما كانت لهما امارات ترى وتشاهد
من احوال الغني والفقير صار امرهما كالمشاهدات فكانها مما شوهدت امثالها
فعطف عليها فان سأل عما جاء بالفاء في قوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم
من السماء والارض وقال ما الفرق بين هذا المكان الذي جاءت فيه الفاء وبين الاماكن
التي جاءت فيها الواو وهل كان يصح في اختيار الكلام الواو مكان الفاء ههنا
فالجواب ان يقال الفاء ههنا اولى لان قبلها وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل
ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين
لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد افلم يروا الى ما بين ايديهم الاية فكانه
قيل فهم انهم كذبوا الله ورسوله فيما انكروه من البعث فلم يذكروا ولم يخشوا
افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض اي لا يتفكرون في ارض تقلهم
وسماء تظلهم والذي جعلها تحتهم وفوقهم قادر على ان يخسف الارض بهم او يسقط
السماء عليهم فهذا موضع الفاء لا موضع غيرها لما بينا الاية الثانية من سورة الانعام
قوله عز وجل قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال في سورة
النمل قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين وقال في سورة
العنكبوت قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة
الاخرة وقال في سورة الروم قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين



العذاب و ح

سيروا

من قبل كان اكثرهم مشركين وللسائل ان يسال فيقول التي في سورة الانعام جعل ما بين
السير والنظر فيهما مهلة متراخية يخبر عنها بثم وسائر الآي جعلت المهلة بينهما فيهما على
فعبر عنهما بالفاء فما الذي خصص الاول بثم والثانية بالفاء والجواب عن ذلك ان
يقال ان قوله سيروا في الارض فانظروا يدل على ان السير يؤدي الى النظر فيقع بوقوعه
وليس كذلك ثم الا ترى ان الفاء وقعت في الجزاء ولم يقع فيه ثم فقوله في سورة الانعام
قل سيروا في الارض ثم انظروا لم يجعل النظر فيه واقعا عقيب السير متعلقا وجوده بوجوده
لانه يبعث على سير بعد سير لما قدم من الآية التي تدل على انه تعالى تحداهم على استقراء
البلاد ومنازل اهل الفساد وان يستكثروا من ذلك ليروا اثرا بعد اثر في ديار قد
عمر اهلها بدمار لقوله تعالى الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض
ما لم نمكن لكم ثم قال فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين فقد كرر
قوله كم اهلكنا من قبلهم من قرن ان قرونا كثيرة قبلهم اهلكهم ثم قال وانشأنا من بعدهم
قرنا آخرين فدعا الى العلم بذلك بالسير في البلاد ومشاهدة هذه الآثار وفي ذلك
ذهاب ازمنة كثيرة ومدة طويلة تمنع النظر من ملاصقة السير كما كان في المواضع
الاخر التي دخلتها الفاء لما قصد من معنى التعقيب واتصال النظر بالسير اذ ليس في
شيء من الاماكن التي استعملت فيها الفاء ما في هذا المكان من البعث على استقراء الديار
وتأمل الآثار فجعل السير في الارض في الموضع مامورا به على حدة والنظر بعده مامورا به
على حدة وفي سائر الاماكن التي دخلت بها الفاء علق فيها وقوع بوقوع السير لانه لم
يتقدم لانه لم يتقدم الآية تحد على السير الذي تحدى عليه فيما قبل هذه الآية فلذلك خصت
بثم التي تفيد تراخي المهلة بين الفعلين الآية الرابعة من سورة الانعام قوله تعالى وان
يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وقال في سورة
يونس وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله للسائل

ان يسأل

ان يسأل فيقول ما الذي اوجب ان يقال ان جملتي الشرط والجزاء في الآية الاولى الشرط الثاني
وجوابه فهو على كل شيء قدير قرن في الآية الاخرى الى جملة الشرط والجزاء وان يردك بخير فلا
راد لفضله فخالف الاول والجواب ان يقال ان السورتين المكيتين وقعت فيهما الآيتان
مكيتان والاولى منهما قبل الثانية فاما التي في الانعام وهي وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
له الا هو فمعناه ان يمسسك الله ضرا وهو سوء الحال فلا مزيل له غير الله ويملكه ما يعبد من دونه
كشفه ومعنى يمسسك ينلك لان المماسة في الاعراض مجاز وتوسع في اللغة فمعنى مسه الله بضر
اناله واوصله اليه وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير اي ان ينلك خيرا يرج الاكثر
منه لانه قادر عليه وعلى امثاله والدليل على ان المعنى هو الجزاء اذا كان جملة ابتداء وخبر
فان المعنى الخبر يكون جزاء ومقدرا في مكان الفاء كقولك فان زرتني فانا مكرم لك وان
احسنت الي فانا قادر على مقابلتك ضامن المقابلة وانت اذا قدرت قوله وان يمسسك
بخير فهو على كل شيء قدير ان ينلك خيرا يقدر عليه لم يستقم الكلام لان الجزاء حقه ان يكون
بعد الشرط والقدرة على الفعل لا يكون بعده والمعنى ان ينلك خيرا يرج لامثاله لانه
قادر عليها وعلى كل شيء وكونه تعالى قادرا من صفات النفس وانالة الخير فعل من افعاله
فلا يصح ان يكون كونه قادرا متاخرا عنها فالمعنى ان تعلك الى سوء حال لم يملك
كشفه عنك غيره وذلك كشدائد الدنيا من الامراض والآلام والنقصان في الاموال وان
نقلك الى حسن حال كان بعده قادرا على امثاله وما لك الا اضعافه لانه قادر على كل ما
يصح ان يكون مقدورا عليه فهذا وصفه بالقدرة على النفع والضر واما الآية الثانية
ففيها نفي وان يغالبه مغالبة ويمنعه عما يريد فعله مانع لان معناها اذا انزل بك
مكروها لم يقدر احد على دفع ما يريد ايقاعه وان اراد احلال ضر بك لم يرده احد
عنك وهو معنى لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ورتبة هذا الوصف بعد رتبة
الوصف الاول لانه يوصف الفاعل بقدرته على الضدين وليس كل من كان كذلك ممتنعا

عن ان يقهره قاهر فيحول بينه وبين ما يريد فعله فاذا وصفه بانه قادر كان وصفه
بانه قادر غالب للقادرين لا يدفعه عن مراد له دافع وصفا ثانيا فلائق بكل
موضع ما ورد فيه نطق القران به فالذي اقتضى هذا الوصف قوله تعالى قبل الاولى
قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين اي لا اعبد الها معه
فاشرك به وقوله قبل الثانية ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية صح
فان فعلت فانك اذا من الظالمين ومثلهما قوله قل افرايتم ما تدعون من دون الله
ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات
رحمته الاية الخامسة من سورة الانعام قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
او كذب باياته انه لا يفلح الظالمون وفي سورة يونس فمن اظلم ممن افترى على
الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون للسائل ان يسال عن موضعين في الايتين
احدهما الواو في الاية الاولى وهو ومن اظلم والفاء في اول الاية الثانية وهو فمن اول صح
اظلم والثاني اختصاص اخر الاية بقوله انه لا يفلح الظالمون واختصاص الاية الثانية
بقوله انه لا يفلح المجرمون والجواب عن الاول ان عطفه بالواو ان ما تقدم من قوله قل
اي شيء اكبر شهادة الى قوله ومن اظلم جمل عطف صدور بعضها على بعض بالواو ولم
يتعلق الثانية بالاولى تعليق ما يكون من سببها فاجرى قوله ومن اظلم مجراها وعطف
بالواو عليها الا ترى قوله واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ وبعده وانني
بريء مما تشركون واما الثانية فان ما قبلها عطف بعضها على بعض بالفاء كقوله قل
لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون فتعلق الله صح
كل ما بعد الفاء بما قبله تعلق المسبب بسببه لان المعنى لو اراد الله ان لا يوحي الي
هذا القران لما تلوته عليكم ولما عرفتكم اياه في هذا الوقت الذي اخبرتكم ان الله بعثني
به اليكم وهدايته ذكم الى ان تعلموا اني طويت فيكم قبل هذا اكثر من ايام عمري ولم

يتهيا لي ذلك

ولم يتهيا لي ذلك ولا تلوت عليكم شيئا مما تلوته الان فهو ذيكم الى ان تعرفوا صحة ما اقول
انه من عند الله لا من فعلي وقولي فعطف بعض هذا الكلام على بعض بالفاء وقوله بعده
فمن اظلم اي اذا عرفتم انه ليس من قولي لظهوره من بعد ما لم يكن فيما مضى من عمري فليس
احد اشد اضرارا بنفسه منكم في قولكم على الله ما لم يقله فهذا موضع الفاء والجواب عن
السؤال الثاني انه لما قال في الاية الاولى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وكان المعنى
انه لا احد اظلم لنفسه ممن وصف الله بخلاف وصفه فاوردها العذاب الدايم كان
قوله انه لا يفلح الظالمون عائدا الى من فعل هذا الفعل اي لا يظفر برحمة الله ولا يفوز
بنجاة نفسه من كان ——— فاذكر من فعله فبناء الاخر على الاول اقتضى انه لا يفلح الظالمون
واما الاية الثانية في سورة يونس وتعقيبها بقوله انه لا يفلح المجرمون دون قوله لا يفلح
الظالمون وان كان الوصفان لفريق واحد فلانه تقدمتها الاية التي تضمنت
وصف هؤلاء القوم بما عاقبتهم به فقال ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم
رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين فوصفهم بانهم مجرمون
١٧ بطل فيهم صح عند تعليق الجزاء بهم وقال بعده ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف
تعملون واذا تتلى عليهم اياتنا بينات الى الموضع الذي حكى فيه سؤالهم وهو
ائت بقران غير هذا او بدله فقال تعالى انه لا يفلح المجرمون ليعلم ان هؤلاء سبيلهم في
الضلال سبيل القوم الذين اخبر عن اهلاكهم وقال كذلك نجزي القوم المجرمين لموقع
التسوية بينهم في الوصف التسوية بينهم في الوعيد الاية السادسة في سورة الانعام
يونس صح قوله عز وجل ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم
وقرا وان يروا كل اية لا يؤمنوا وقال في سورة ومنهم من يستمعون اليك افانت
العمي صح تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون
للسائل ان يسال عن قوله من يستمع في الاية الاولى وتوحيد الضمير العائد الى من خلاف

علي لفظها وعن قوله من يستمعون اليك في الآية الثانية وجمع الضمير العايد الى من حملا على معناها ولماذا اختص الاول بالتوحيد والثاني بالجمع هل كان يجوز في الاختيار عكس ذلك في المكانين فالجواب ان يقال لكل من الموضعين ما يوجب اختصاصه باللفظ الذي جاء فيه فاما قوله ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا فقد قيل انه في قوم من الكفار كانوا يستمعون الى النبي صلى الله عليه وسلم والى قراءته بالليل فاذا عرفوا بها مكانه رجموه وآذوه ومنعوه من الصلوة خوفا من ان يسمعه منهم من يدعوه دواعي الحق فيسلم وهو في قوم قليلي العدد يرصدونه صلى الله عليه وسلم بالليل وكان الله يمنعهم عنه بنوم يلقيه عليهم وحجاب تحجبه عنهم لقوله تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فصار ذلك كالران على قلوبهم وكالوقر في آذانهم واما قوله في الآية التي في سورة يونس ع ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم الى آخر الآيتين فهو في كل الكفار الذين يستمعون القران سموعا هو حجة عليهم وهو القران ولا ينتفعون بسماعه فكانهم صم عنه فلما كانت من تصلح للواحد عما فوقه وان يعود الضمير الى لفظه الواحد والى معناه وهو ما يراد به من واحد او اثنين او ثلثة او جماعة واختلف هذان المكانان في الثلثة والقلة والكثرة حملت في موضع القلة على حكم اللفظ وعاد الضمير اليها بلفظ الواحد فقال ومنهم من يستمع اليك وفي موضع الكثرة على حكم المعنى وعاد الضمير بلفظ الجمع فقال ومنهم من يستمعون اليك ليفاد بالاختلاف هذا المعنى فلم يصح في كل مكان الا اللفظ الذي خص مع القصد الذي ذكرناه فان قال قايل فعل هذا وجب في الاختيار ومنهم من ينظرون اليك لانهم هم الاكثرون كالمستمعين لما كانوا محجوبين بما يسمعونه من القران كانوا الاكثرين في الخارج وليس كذلك المنظور اليه لان الآيات التي رويت بالعين لم تكثر كثرة آيات القران التي سمعت بالاذان فتباين

الثامون

وهو لفظ صح

السامعون الناظرين في الكثرة عند الخارج فلذلك عاد الضمير اليهم بلفظ الواحد الآية السابعة من سورة الانعام قوله تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون وقال بعدها قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون فقال في هذين الموضعين ارايتكم وقال في سورة يونس قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون وللسايل ان يسال فيقول لاي معنى قال في الموضعين الاخيرين ارايتم وهل كان في الاختيار ان يكون احداهما مذهب اهل البصرة وهو ان الكاف في ارايتك زيدا عاقلا للخطاب كالكاف في ذلك وليست باسم ويقولون للاثنين ارايتكما زيدا عاقلا او ارايتك زيدا عاقلا بمعنى اعلمته عاقلا والتاء لا تتغير عن الفتح وعلامة الضمير دون الكاف واكتفى بتثنية الكاف وجمعها عن تثنية التاء ومن مذهب اهل الكوفة في الآيتين ان التاء اسم والكاف اسم مضمر والتقدير ارايتم انفسكم ان اتاكم عذاب الله والتاء موحدة اللفظ مع الكاف التي تختلف باختلاف المخاطبين اكتفاء باختلافها عن اختلاف التاء ولا خلاف في ترادف الخطاب بين التاء والكاف على المذهبين والترادف لا يكون الا عند المبالغة في التنبيه والمبالغة فيه هو ان يعلم المخاطب انه لا تنبيه بعده وما يتصل بقوله ارايتكم في الموضعين كلام يدل على انه اذا وقع لم ينفع عنده الزجر والتنبيه الا ترى انه يقول ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين اغير الله تدعون وعند اتيان العذاب وقيام الساعة لا ينفع التنبيه وارايتكم فعل يتعدى الى مفعولين والجملة التي هي ان اتتكم عذاب الله متضمنة مفعولية وكذلك قوله قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون معناه اعلمتم ان اتاكم العذاب مفاجاة من حيث لا يعلم او عيانا من حيث يشاهد هل يهلك الا القوم الظالمون معناه اعلمتم انه ان اتاكم العذاب عنده غير الظالمين وهم المخاطبون اي يهلك غيركم فلم علق بارايتكم جملة

وقال في هذه السورة قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به انظر صح

تتضمن مفعوليها ومعنى الجملة تنبيههم الامر في تخويفهم بالخشونة حيث ينقطع التنبيه
كان هذا الموضع احوج المواضع بالمبالغة فيه مرادفة التنبيه فلذلك اتى بالكاف
اللتين لا تخلوان من الخطاب على المذهبين على ان مذهب الكوفيين في الآيتين صحيح محتمل
فالآية الاولى تقديرها ارايتكم انفسكم داعية غير الله ان اتاكم عذابه والآية الثانية تقديرها
ارايتم انفسكم غير هالكة ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة وارايتم انفسكم هل يهلك غيرها
لانهم هم الظالمون فاما الآيتان الاخريان اقتصر فيها على ارايتم ولم يترادف في كل واحدة
منهما الخطابان الدالان على التناهي في التنبيه الى حيث لا تنبيه بعده بذكر غاية ما يُدعون
به ويُنذرون قرب حلوله فلان الجملتين بعدهما لم يتضمنا من المبالغة فيما يحذرون
ما ينقطع التنبيه عنده اما الاولى فقوله ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم
من اله غير الله يأتيكم به اي اعلمتم ان سلبكم الله صحة ما يحسون به المشاهدات ويعلمون
به المغيبات الها غير الله يردها عليكم وليس هذا استيصالا كما في الآيتين المتقدمتين فاما
قوله ارايتكم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون فلان قبله يقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فخبر انهم استعجلوا العذاب وقيام الساعة نزلوا منزلة
من لا يخافون ما اوعدوا به ولذلك قال ماذا يستعجل منه المجرمون فلم يكن فيه صريح الاستيصال
والافصاح بالهلاك فكان كانه لم يبلغ حد الامر بعد للتنبيه فيه بل هم في تلك الحال احوج ما
كانوا الى الزجر اذ لم يبلغ منتهاه كما بلغ في الآيتين الاخريين وصار التقدير اعلمتم اي شيء
يستعجل المجرمون من عذاب الله اي انهم يستعجلون هلاكهم ولا يعلمون ومعناه اعلموا انهم
طالبين هلاكهم بما يستعجلونه من نزول عذاب الله بهم فقد بان لك الفرق بين الآيات
وما ترادف فيه علامتا الخطاب دون غيره بما جرى على اصل الكلام والعلم عند الله تعالى
الآية الثامنة من سورة الانعام قوله وذروا الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم
الحيوة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت وقال في سورة الاعراف قالوا ان الله

حرمهما

حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا فقدم اللهو على اللعب وقال
في سورة العنكبوت وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وجاء في سورة الحديد اعلموا
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة فقدم اللعب على اللهو كما في سورة الانعام وللسائل
ان يسأل فيقول اذا كانت الواو للجمع بين شيئين والاشياء بلا ترتيب فهل لتقديم احد
الاسمين على الآخر في موضع دون موضع وتقديم الآخر عليه في غير ذلك الموضع فائدة تخصه
ام كان جائزا في كل مكان تقديم ايهما شاء المتكلم لا لغرض يخصه والجواب ان يقال اما
الآية التي في سورة الانعام فانها في قوم من الكفار وكانوا اذا سمعوا آيات الله هزلوا عندها
واستهزؤا بها فهذا اتخاذهم دين الله لعبا ولهوا وهو كما قال في آية اخرى وقد نزل عليكم
في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره انكم اذا مثلهم وقوله تعالى وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا كقوله فلا تقعد
معهم فهولاء قوم حضروا النبي صلى الله عليه وسلم وسمعوا القران وعبثوا عند سماعه ولعبوا
بآياته واجروها مجرى افعال يستروح اليها ولا نفع في عقباها ثم شغلوا بدنياهم عن
تدبرها والهتهم بحلاوتها عن الفكر في صحتها فاول افعالهم وثانيها اللهو واللعب فعل لعب صح
في طاعة الجهل يتعجل منه مسرة واللهو قال فيه صاحب العين ما شغل الانسان من هوى وطرب
وهؤلاء لما فعلوا عند سماع القران من الاستهزاء والعبث اطلق على فعلهم اسم اللعب
وكان اول دينهم لعبا وما بعده لهوا فلذلك قدم اللعب على اللهو في هذه الآية
واما قوله في سورة الاعراف ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء
او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا
وتقديم اللهو على اللعب في هذه الآية فلان الكافرين هنا العامة الكفار غير مختص بمن
سمع الآيات فقدم فعل اكثرهم على فعل اقلهم وهم الذين شغلتهم الدنيا وحلاوتها
والولادة وعادتها واستحلاء ما مرنت عليه طباعها وهذا هو اللهو ثم كانت افعالهم التي

اقتدوا فيها بآبائهم لمّا طابت لهم ولم تجد في العافية نفعا عليهم كاللعب الذي

ينطوي على فعال تبطل في الآجل وان سرّت في العاجل وهذا بعد الاول والكبر دائم

اللهو وهو ان شغلتهم الحال التي استصحبوها في الكبر فيما يطرأ عليها فوجب هنا تقديم ذكر

اللهو للوجهين لتقدّمه على ما هو كاللعب ولانه فعل اكثرهم واللعب الذي اريد في الآية الاخرى

فعل اقلّهم وهو اول ما ورد به ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم واما قوله تعالى في سورة

الحديد اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد

وتقديم اللعب فيه فلان معناه الحيوة الدنيا لمن اشتغل بها ولم يتعب لغيرها مقسومة بين

الصبا وهو وقت اللعب وبعده اللهو وهو الترويح عن النفس بملاعبة النساء ويتبع

ذلك اخذ الزينة لهن ولغيرهن ومن اخذ الزينة تنشأ مباهاة الاكفاء ومفاخرة الاشكال

والنظراء ثم بعده المكاثرة بالاموال والاولاد فترتيب الحيوة على هذه الاحوال يوجب

تقديم حال اللعب على حال اللهو واذا اطلق في كلامهم اللهو اختلاف المسرة بمخالطة النساء

وكذلك قال امرئ القيس ؞ الا زعمت بسباسة اليوم انني كبرت ؞ وان لا يحسن اللهو امثالي ؞

وقال الآخر ؞ لهونا بمنخول البواقع حقبة ؞ فما بال دهر لزّنا بالوصاحي ؞ وقيل في قوله

تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه

من لدنا ان كنا فاعلين قيل في تفسيره اللهو المراءة وقال قتادة اللهو بلغة اليمن

المراءة اي لفعلناه من حيث نختص بعلمنا ولا يطلع عليه غيرنا تعالى الله عن الصاحبة

والولد فعلى هذا تسمية المراءة لهوا باسم الفعل لكثرة ما يقع بها ذلك واما قوله تعالى

في سورة العنكبوت وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان

لو كانوا يعلمون فليس المراد به ان الحيوة الدنيا كلها لهو ولعب وليست شيئا غيرهما

لقوله ما هي الا هما لانه لو كان المراد هذا لكان لقائل ان يقول ما هذه الحيوة الدنيا

الا خوف وحزن فالخوف الم القلب لتوقع مكروه والحزن المه لفقد محبوب ثم ان هذه الحيوة

الدنيطوي

الدنيا طوي على عبادة الله وعلى تلاوة كتابه وعلى ما يكتسب رضى الله ويوجب ثوابه

٤٧ بهو — الدائم فكيف يقال فيما يتضمن كل هذه الخيرات ليس الا لهوا ولعبا بل المبالغة في وصف

قصر مدّة الدنيا بالاضافة الى مدة الاخرى فكانه قال ما امد الحيوة الدنيا الا كامد ازمنة

اللهو واللعب وهي ازمنة تستقصر لشغل النفس بحلاوة ما تتعجل كما قال الآخر ؞ شهور

ينقضين وما شعرنا ؞ بانصاف لهن ولا سرار ؞ وكما قال الآخر ؞ وليلة اجنتني الليال

الدهر ؞ لم تك غير شفق وفجر ؞ والدليل ان المراد هذا ما ذكرنا قبل ما ذكره الله تعالى

بعد قوله وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي حياتها تبقى ابدا ولا تعرف امدا وانما

قدم اللهو هنا على اللعب لان الازمنة التي يقصرها اللهو اكثر من الازمنة التي تقصرها

اللعب لان التشاغل به اكثر فلما كانت معظم ما يستقصر وجب تقديم ما يكثر على ما هو

دونه في الكثرة لان ذلك اخذ بالشرف والبلغ في وصف المثبة ولا خلاف ان ازمنتهم

المشغولة باللهو اكثر من ازمنتهم المشغولة باللعب وان طيبها لهم تخيل اليهم قصرها

ويتفاوت طيبها على حسب تفاوت ميل النفوس الى محبوبها فمعظم ما يرى الزمان

الطويل قصيرا زمان اللهو بالنساء وهو الذي شاءت منهن فتنة الرجال وهلاك

اهل الحب فهذا الكلام في هذه الآي الآية التاسعة من سورة الانعام قوله تعالى

قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر

ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذي انزل من السماء ماء الى قوله

ابشال — ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون للسائل ان يقول ما الذي اوجب في اختيار الكلام

ان يقال في الاول فصلنا الآيات لقوم يعلمون وفي الثاني لقوم يفقهون وفي الثالث

ذلك — ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وهل يصلح بعض مكان بعض او في كل معنى يخص

اللفظ الذي جاء عليه والجواب ان يقال ان قوله قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون

جاء بعد آيات تنبه على معرفة الله وهي من قوله ان الله فالق الحب والنوى يخرج

يخرج الحيّ من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانّى يؤفكون فالق الاصباح
وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل
لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر فكان جميع ذلك دالًّا على العلم بالله ووحدانيته
وهو اشرف معلوم ولا لفظ من امثال يعلمون ويعقلون ويفقهون ويشعرون اوقع
يعلمون اعلى منه ولكن صحته في الخبر عن الله تعالى ولم يصح فيه غيرها من الالفاظ التي ذكرنا
فلما كان المعلوم اشرف المعلومات عبّر عن الآيات التي نصبت للدلالة عليه باللفظ
الاشرف واما ما استعمل فيه يفقهون فهو بعد قوله وهو الذي انشاكم من نفس واحدة
فمستقر ومستودع فاخبر عن ابتدائه الانسان وانشائه اياه ثم تنبيهه بما ادى من
تنقله من حال الى حال ومن عدم الى وجود ومن مكان الى مكان ومن صلب الى رحم
ومن وجه الارض الى بطنها على انه كما نقل من موت الى حياة ومن حياة الى موت
كذلك ينقل من الموت الى الحيوة ومن القبر الى الحشر ومنه الى احد الدارين فنطقت تلك
الاحوال الحادثة لمن يفهمها ويفطن لها ويستدل بشاهدها على مغيبها ان بعد الموت
بعثا وحشرا وثوابا وعقابا وهذا ما يفطن له فيفقهون اولى به واما قوله ان في
ذلكم لآيات لقوم يؤمنون بعدما عدّد نعمه على خلقه وما وسعه من رزقه من الحب
المؤدي للاقوات ومن ضروب الشجر وصنوف الثمار وكان هذا مستدعيا للايمان بمن تفضل
على شكر نعمته والقيام بما فرض من طاعته واوجب من عبادته كانت الآيات في ذلك
معرضة لمن آمن بالله فلذلك قال في الاخير ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون الآية
العاشرة من سورة الانعام قوله عز وجل ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فاعبدوه
ثم يكون للسائل ان يسأل فيقول لماذا قدّم في سورة الانعام لا اله الا هو خالق كل
شيء وقدّم في سورة المؤمن خالق كل شيء على قوله لا اله الا هو والجواب ان يقال لان
هذا جاء بعد قوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات فلما قال ذلكم الله

ربكم

لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل وقال في سورة المؤمن ذلكم الله ربكم

ربكم الى بعده بما يدفع قول من جعل له شركاء فقال لا اله الا هو ثم قال خالق كل شيء وفي
سورة المؤمن جاء هذا بعد قوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر
الناس لا يعلمون فكان الكلام على تثبيت الناس لا على نفي الشريك عليه كما كان في الآية الاولى
فكان تقديم خالق كل شيء هاهنا اولى الآية الحادية عشرة قوله عز وجل ولو شاء ربك
ما فعلوه فذرهم وما يفترون للسائل ان يسأل كيف قال في الاولى ولو شاء ربك
وفي الثانية ولو شاء الله وهل في المكانين ما يوجب اختلاف الاسمين والجواب ان
يقال ان الاولى قبلها وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن
يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اي كان للانبياء قبلك اذى
من قبل العدو من الانس والجن ولو شاء من رباك وربّك وقام بمصالحك
لالجائهم الى موافقتك وترك مخالفتك وان كان من يقوى برّ باتّبك تحجّهم عن
مضرّتك وان يظفروا بمرادهم من عداوتك فقد تضمّن قوله ربك هذا المعنى
فقوله في الآية الاخرى ولو شاء الله بعد قوله تعالى وجعلوا لله شركاء مما
ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الآية فاخبر انهم اقاموا لله افراده بالعبادة
شريكا ولو شاء الله اي شاء من نعمته عليهم نعمة توجب ان لا يعبدوا
سواه ما مكّنوا من فعله فهذا موضع لم يليق به الا الاسم الذي يفيد معنى فيه
حجة عليهم دون غيره من الاسماء فان كل اسم من الاسمين في مكانه ما لم يكن
يستفاد بغيره الآية الثانية عشرة قوله تعالى ان ربك هو اعلم من يضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وفي سورة القلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن
سبيله للسائل ان يسأل عن الفرق بين اللفظين وحذف الباء واثباتها وهل يجوز
ما في سورة القلم ان يكون في سورة الانعام وما في سورة الانعام ان يكون
مكانها والجواب ان يقال ان مكان كل واحد نقيض ما وقع بين اللفظتين فرق في

فقوله ان ربك هو

المعنى يوجب اختصاص اللفظ الذي جاء في قوله ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله معناه اعلم اي المامورين يضل عن سبيله ازيد ام عمرو وهذا المعنى يقتضيه ما تقدم هذه الآية وما جاء بعدها مما تعلق بها فالذي قبلها وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله اي ان تطع الكفار يضلوك عن طاعة الله وعبادته ثم اخبر انه يعلم من الذي يغوونه ويضلونه ومن الذي يتمكن من اضلاله وبعد هذه الآية وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين واما قوله في الآية الاولى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله فمعناه غير ما في الآية اي الله اعلم باحوال من ضل كيف كان ابتداء ضلاله وما يكون من مآله ايصر على باطل او يرجع عنه الى الحق وقبلها فستبصر ويبصرون بايكم المفتون فمن جعل المفتون بمعنى الفتون كالمعقول بمعنى العقل كان معناه وستعلم ويعلمون بايهم الفتون وخبال الراي وفساد العقل ومن جعل المفتون المبتلى بفساد التمييز وهو حكاية معنى قولهم انه صلى الله عليه وسلم مجنون كان كما يقال في اي الفريقين المجنون افي فرقة الاسلام ام في الفرقة الاخرى والباء تقارب معنى في تقول فيه عيب وبه عيب فيعين كل واحد من الحرفين مناب الآخر في اداء المعنى ويجوز ان يكون الباء بمعناها على ما يقال فلان بالله وبك اي ثباته بك اي ستعلم باي الطائفتين ثبات المجنون وقوام المفتون واذا كان مدار الكلام على انه سيبصر بايكم الخبال كان قوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي هو اعلم بابتداء ضلاله وانتهاء امره وهل يقيم على كفره ام يقلع عن غيه الى رشده فقد بان لك ان كل موضع الى فيه مما اقتضاه المعنى من اللفظ الآية الثالثة عشرة قوله عز وجل كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وقال في سورة يونس كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون للسائل ان يسال فيقول ما فائدة اختصاص المكان الاول بالكافرين والمكان الثاني بالمسرفين والجواب ان يقال ان الاول قبله او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا

له نورا

الناس

له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات كذلك زين للكافرين والمراد بالميت هاهنا الكافر والنور الايمان وحياته به ومن في الظلمات من استمر به الكفر ولم ينقل عنه فكان ذكر الكافرين بعده اولى واما المكان الثاني فقبله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وهذا صفة كفار نعموا ابدانهم ونسوا ادبانهم واقتصروا على عمارة الحيوة الدنيا ولم يتعبوا الطلب الاخرى وهم المسرفون الذين قال الله فيهم وان المسرفين هم اصحاب النار لانهم غلوا في ايثار الدنيا وتعجل تنعيمها وتجاوز الحد في عمارتها والاعراض عما هو اهم منها ويجوز ان يكون الكفار سموا مسرفين لمجاوزتهم الحد في العصيان اذ كان يقال لهم مسرفون على وجهين احدهما المبالغة في تنعيم النفوس وجعلهم الدنيا حظهم مما عرضوا له من النعيم والثاني وتجاوزهم الحد في معصية الله فلما قال فنذر الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها ثم وصف حال الانسان في الشدة والرخاء وانقطاعه في الشدة الى الدعاء ونسيانه له في الرخاء فسمى الذين هذه صفتهم على احد الوجهين اللذين ذكرنا الاسرافهم في الحالين الآية الرابعة عشرة قوله عز وجل ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون وقال في سورة هود وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون للسائل ان يسال فيقول لم قال في الاول غافلون وفي الآخر مصلحون والجواب ان ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من العقاب في قوله قال النار مثواكم وبعده يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون والمعنى ذلك العقاب لانه لم يكن ربك ليفعله من قبل ان يحتج عليهم برسل ينهونهم وينذرونهم ما وراءهم فاقتضى هذا المكان ان يقال لم يواخذوا وهم غافلون بل كانوا منتبهين بالاعذار والانذار على السنة الرسل عليهم الصلوة والسلام واما الموضع الثاني الذي ذكر فيه واهلها مصلحون فللمعنى ما تقدم وهو قوله فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن

انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين فدل على ان القوم
كانوا مفسدين حتى نهاهم اولوا بقية عن الفساد في الارض فكان بعيض الفساد
الصلاح فقال لم يكن الله ليهلكهم وهم مصلحون فاقتضى ما تقدم في كل آية ما تبعت
من المصلحين الاية الخامسة تخرج من سورة الانعام قوله عز وجل قل يا قوم
اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون وقال في هود في قصة شعيب ويا قوم
اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون للسائل ان يسأل عن الآية التي
في سورة هود لم جاءت بحذف الفاء من سوف وجاءت الآيتان الاخريان
باثباتها فقال فسوف تعلمون وهل يصلح ما فيه الفاء مكان ما لا فاء فيه فالجواب ان يقال
امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في سورة الانعام بان يخاطب الكفار على سبيل الوعيد اعملوا على
مكانتكم على طريقتكم وجهتكم او على تمكنكم فسوف تعلمون انكم اسأتم الى انفسكم بسبيل الجزاء
الذي عبر عنه بقوله فسوف تعلمون فالفاء متعلقة بقوله اعملوا والتقدير اعملوا فسوف تعلمون
اني عامل فسوف اعلم فحذف العلم به وكذلك ما في سورة الزمر خطاب من الله للنبي صلى الله عليه
وسلم على هذا الوجه واما ما في هود فانه حكاية عن شعيب عليه السلام لما تجاهل قومه عليه فقالوا له
يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا
بعزيز فقال لهم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون وتعرفون عملي وان قلتم لنا
لا نفقه اكثر ما تقوله [illegible] فجعل سوف تعلمون مكان الوصف لقوله عامل فلم يصح على هذا المعنى
دخول الفاء وقصد هذا المعنى لما ظهر من جهلهم بر وانهم لا يعرفون ما يقوله لهم فقال اني عامل
سوف تعلمون عملي وتعرفون بعد ما انكرتموه الاية السادسة عشرة قوله عز وجل سيقول الذين اشركوا
لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا [illegible] ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم وقال في سورة
النحل وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من
دونه من شيء ولم يذكر في الاولى وهل كان يجوز لو وصلت احداهما بما وصلت به الاخرى الثانية

الغافلين صح

اتم صح

كذلك فعل الذين من قبلهم
لقائل ان يسأل ههنا عن
مسئلتين احداهما انه
ذكر في الثانية من دونه
من شيء صح

توكيد الضمير

توكيد الضمير في سورة النحل والعطف عليه وفي سورة الانعام لم يؤكد وعطف عليه ولا اباؤنا
والفصل الذي يقوم مقام التوكيد في المكانين حاصل والجواب ان يقال ان قوله ما اشركنا مستغن
عن ذكر المفعول به وان كان في الاصل متعديا اليه لقوله ان لا تشركوا به شيئا وانما لم يحتج الى المفعول به
كما احتاج اليه عبدنا لان الاشراك يدل على اثبات شريك لا يجوز اثباته والعبادة لا يدل على اثبات
معبود لا يجوز اثباته لانها تدل على معبود هو مثبت لا يصح نفيه فقوله ما عبدنا غير مستنكر ان يعبدوا
وانما المستنكر ان يعبدوا غير الله شيئا فكان المعنى بذكر قوله من دونه من شيء وكذلك ولا حرمنا
من دونه شيء لا بد مع حرمنا من قوله من دونه من شيء ولم يحتج اليه بعد قوله ما اشركنا لان
الاشراك دال على ان صاحبه يحرم شيئا من دون الله ولا يدل على ذلك فوفى اللفظان حقهما
من التمام والجواب عن السؤال الثاني وهو توكيد علامة الاضمار في سورة النحل بنحن وترك
ذلك في سورة الانعام مع ان بعدوا والعطف لا في الموضعين هو ان كل ما اكد معنى الفعل
الذي ضمير الفاعل كالجزء منه اذا وليه ولم يكثر الحواجز بينهما قام مقام التوكيد بعلامة الاضمار
مثل انا ونحن وقوله ما اشركنا ولا اباؤنا اشركنا منه منفي بما ولا بعد الواو مؤكد معنى ما الداخل
على الفعل فكانها مؤكدة للفعل واذا اكدت الفعل وعلامة الاضمار جزء منه فكانه اكدتها ومثله
فاستقم كما امرت ومن تاب معك عطف في موضع المصدر والمصدر توكيد الفعل لغة فصار
مثل توكيد ما هو كجزء منه فكان هذا المؤكد للفعل يليه في هذا المكان وفي قوله ما اشركنا ولا
اباؤنا فاما قوله ما عبدنا من دونه من شيء لم يكن الفصل مؤكدا لنفس الفعل كما كان المصدر
في قوله فاستقم وكما كان لا بعد الواو والعطف في قوله ولا اباؤنا مؤكدة معنى ما التي تنفي الفعل
فتصير كانها مؤكدة ما هو كبعض الفعل لان الفصل ههنا بالمفعول به وهو شيء وبقوله من دونه
ومعناه ما عبدنا غيره شيئا فيكون بمعنى الاستثناء وليس شيء من هذين مؤكدا لنفس الفعل فلما
لم يؤكداها وجاءت ولا اباؤنا وكانت لا مؤكدة الا انها لم تك علامة الضمير المعطوف عليها
لحجز بينهما بقوله من دونه من شيء والحواجز اذا كثرت وبعدت ما بين الكلمتين اختير اعادة

في سورة النحل صح

على الضمير في قوله فاستقم
وصح الآن
قوله كما امرت بمعنى استقامة
مثلك ما امرت به فكما
امرت صح

من صح

العامل مع ان في المتقدم كفاية كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا
لا نضيع اجر من احسن عملا وكقوله ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون وكقوله ايعدكم
انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون فلما جعل الخبر وهو مخرجون
من انكم الاولى اعيدت فاذا كان الاختيار ما ذكرنا فيما طال الفصل فيه في قوله ما عبدنا من
دونه شيء قد طال بجارين ومجرورين بين علامة الضمير في عبدنا وبين لا المؤكدة بما
التي تنفي الفعل الذي علامة الضمير في تضاعيفه لجزء من اجزائه وكحرف من حروفه احتاج
الضمير في العطف عليه الى ما يؤكده فلذلك ادخل نحن هنا ولم يدخل في قوله ما اشركنا ولا اباؤنا
فافهم فانه من دقيق النحو وفقنا الله لمعرفته الاية السابعة عشرة قوله عز وجل قل تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق
نحن نرزقكم واياهم وقال في سورة بني اسرائيل ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن
نرزقهم واياكم للسائل ان يسأل فيقول قوله نحن نرزقكم واياهم هو على ما عليه الاختيار في
كلام العرب من تقديم ضمير المخاطب على ضمير الغايب بناء على قولك اعطيتكه والاية في سورة بني اسرائيل
تقدم فيهما ضمير الغايب على ضمير المخاطب لانها بنيت على قولك اعطيتهوك وهذا ليس بالمختار
فما الذي اوجب اختصاص الثاني بتقديم ضمير الغايب والجواب ان يقال اولا ليس الضميران
اذا اتصلا بالفعل كالضميرين اذا انفصل احدهما وعطف على الاخر لان قولهم الكرمتك واياه
مثل قولهم اكرمتك واياه في ان كل واحد منهما مختار في مكانه الذي يوجب تقديم ما تقدم
وتاخير ما اخر بخلاف ما يختار اذا اتصلا بالفعل في اعطيتكه فاما قوله في سورة الانعام
نحن نرزقكم واياهم فلان قبله ولا تقتلوا اولادكم من املاق اي من اجل املاق وانقطاع
مال وزاد وهذا نهي عن قتلهم مع فقرهم وخوفهم على انفسهم اذا لزمتهم مؤنة غيرهم
فكانه قال الذي يدعوكم اليه من حالكم في انفسكم ثم في غيركم لا يجب ان تشفقوا منه فاني
ارزقكم واياهم واما الاية الثانية فانه قال فيها خشية املاق والاملاق غير واقع فكانه

قال خوف الفقر

قال خوف الفقر على الاولاد وكان عقيب هذا ازالة الخوف عنهم ثم من القائمين اي لا
تقتلوهم لما تخشون عليهم من الفقر فالله يرزقهم واياكم فقدم في كل موضع من
الموضعين ما اقتضى تقديمه واخر ما اقتضى تاخيره الاية الثامنة عشرة قوله عز وجل في
الوصية الاولى من هذه الاية ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون وفي الثانية ذلكم وصاكم به
لعلكم تذكرون وفي الثالثة تتقون للسائل ان يسأل فيقول ما الذي اقتضى في الاولى تعقلون
وفي الثانية يذكرون وفي الثالثة يتقون وهل صلحت الثانية مكان الاولى في اختيار
الكلام الجواب ان يقال قدم الله الوصية بالاشرف الاعظم وهو الايمان بدل الشرك
وفيه حق اداء المنعمين ثم الاحسان الى الاولاد بتربيتها وترك ما كانت عليه العرب
في جاهليتها من قتل البنات للفقر والاملاق ثم ان لا تقربوا ما يعلمان يكون بسبب
ولد لا يصح نسبه وهذا في النهي عن سبب الاحداث كالاول في النهي عن سبب الاهلاك
ثم ان تحقنوا الدماء الا بسفكوها الا بحقها وهو ان تقتلوها للقصاص والزنا
بعد الاحصان والكفر بعد الايمان فهذه خمسة تتعلق باكثر الحقوق واوكد الاصول
فالشرك اعتقاد مذهب باطل بهوى وترك الاحسان الى الوالدين يكون اما لمحبة مال لا
يسمح به لهما او اتباع هوى يدعو الى مخالفتهما ووأد البنات خوف الفقر والعار
والزنا وما يقبح جدا من المعاصي تحمل عليها الشهوة وقتل النفس بغير حق يدعو اليه تشفي
غيظ والنفس الامارة بالسوء وكل ذلك قبيح في العقول يحتاج في ذم عنها الى زاجر من
عقل يدفع الهوى فلهذا قال لعلكم تعقلون اي تستعملون العقل الذي يحبس النفوس
عن قبيح الارادات وفواحش الشهوات وبعد هذه الخمسة خمسة اخر هي متعلقة بالحقوق
في الاموال دون النفوس فاولها حفظ مال اليتيم عليه لانه لا يقوى على حفظه والاطماع
تمتد الى ماله وذو الولد يفكر في حاله وما يكرهه لولده لا يستجيزه لولد غيره وبعده التعديل
في الكيل وهو الذي توعده الله تعالى في قوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس

تراباً صح

فيه وكان الفصل صح

ربكم

المخاطب على صح

مثل صح

النفس صح

يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ثم الموزون مثله ومعنى قوله لا نكلف
نفسا الا وسعها اي اذا اجتهدت في التحري وتوخي القسط فقد اسقط عنها ما يتعذر
تجنبه من اقل القليل فيما يكاله ويوزنه والرابع القول بالعدل وهو في الحكم
والشهادة والخامس الوفاء بعهد الله وهو ان يحلف بالله في معصية وكل هذه قد
دعي فيها الانسان الى تذكر حاله ورضاه في نفسه لو كان هو المعامل بما يعامل هو بغيره
اي ولو كان ولده اليتيم او كان الذي يكال له ويوزن او كان الذي يحكم عليه او تقام
الشهادة بما لا يلزمه او يحلف بالله على اذهاب حق له او يحلوله بما يلزم الوفاء به فلا
يرضين من ذلك لغيره الا ما يرضاه لنفسه فذكرهم حالا امرت لهم لو يخافونه مروحها
عليهم فلذلك قال لعلكم تذكرون واما الاية الاخرة وهي ان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله المودي الى نعيمكم الدائم فاسلكوه
ولا تتبعوا الديانات المخالفة له فتبعدكم عن سبيله المودي الى نعمه لعلكم تجتنبون
بلزومه معصيته وتتقون بطاعته عقوبته فاتبع كل صنف من الوصية ما اقتضاه
معناها وبالله التوفيق تمت المسائل في سورة الانعام وانقضت عن ثمان عشرة اية

سورة الاعراف

وعشرين مسئلة الاية الاولى منها قوله عز وجل قال ما منعك الا تسجد اذ
امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر
فيها فاخرج انك من الصاغرين وقال في سورة الحجر قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين
قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم للسايل
ان يسال فيقول اذا كان هذا في قصة واحدة ووقع في كلام الله حكاية عما قال ابليس
وعما قال له عند ما كان يظهر من عصيانه فلما اذا اختلف الحكايتان والمحكي شيء واحد
والجواب ما قلناه فيما قبله وبقوله فيما بعده من اقتصاص ما مضى اذا لم يقصد به اذا الالفاظ
باعيانها وانما المقصود ذكر المعاني فان الالفاظ اذا اختلفت وادت المعنى المقصود

كان

ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون اي الذي شرع عليكم ... نعيمكم الدائم

كان اختلافها واتفاقها سواء وقول الله ما منعك الا تسجد اذ امرتك وقوله في سورة
الحجر يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقال في سورة ص قال يا ابليس ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين فاول ثلثة في بعض الفاظها اختلاف وفي
المعنى اتفاق وهي ما منعك ان تسجد وما منعك الا تسجد وما لك الا تكون مع الساجدين
واما قوله لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين ففيه زيادة اخبار عن الحال
لم يكن في الايتين المتقدمتين ولم يقل عندهما ان لم يكن هناك خطاب لما حكيناه
فيهما فتكون الزيادة معدودة في الاختلاف واما قوله وهو حكاية ما كان من جواب
ابليس في سورة الاعراف وفي سورة ص انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
وفي سورة الحجر لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون وفي سورة
بني اسرائيل قال ااسجد لمن خلقت طينا فانه يحصل للسامع من الايات الاربع معنى واحد
وهو ذكر احتجاجه على ترك السجود لادم عليه السلام لما كان مخلوقا من النار وادم مخلوقا
من الطين ورأى اصله اشرف من اصله وان كان في ذكر احداهما ذكر ما دعاه الى ما
فعل وفي الاخريين ذكر كله من مقابلة اصله باصله وتوهمه انه اشرف وان سجود
الاشرف لما دونه لا يجوز وكذلك ما حكاه من قوله في سورة الاعراف قال فاهبط منها
فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين لا يخالف قوله في سورة الحجر
قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين لانه اذا امره بالخروج
من الجنة او من السماء فقد امره بالهبوط الى الارض وقوله ان عليك اللعنة ولعنتي
واحد لان اللعن في الحقيقة ابعاد الله من يعصيه من الخير ثم لعن الملايكة والناس
من التبع للعنه نعوذ بالله منه الاية الثانية منها قوله تعالى قال انظرني الى
يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم للسايل ان يسال عن
الفاء في سورة الحجر وص وحذفها منه في سورة الاعراف والجواب ان يقال ان قوله
في قوله رب فانظرني في سورة الحجر

وان عليك اللعنة الى
يوم الدين قوله لا يخالف
ايضا قوله في ص قال
فاخرج منها فانك رجيم
صح

في قوله رب فانظرني

النظرني في سورة الاعراف وقع مستأنفا غير مقصود به عطف على ما يقع بهذا السؤال
عقيبه فلم يحتج الى الفاء والجواب ايضا لما لم يكن اجابة له الى ما طلب لم يكن ايضا
معطوفا عليه بالفاء وانما سال تاخير اجله فقال انك في حكم من أخر اجله لا الاجل سالتك
واما في الآيتين في سورة الحجر وص فانه قال رب فانظرني وجاء بعد اخبار الله بلعنه الاماتة انما هو بيوم صح
له فكانه قال يا رب ان لعنتني واستثنى من الخير فاخر اجلي الى يوم يبعثون ويوم يبعثون
هو يوم القيامة فليس يوم [struck] البعث والاحياء الى ما طلب لانه قال فانك فلم يقع الاجابة صح
من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم اي وقت الذي هو آخر اوقات الاحياء فيقتضي
اضمار ان لعنتني يا رب انا بالفاء فيقول فانظرني ويأتي في جوابه وهو فانك من المنظرين ٦ حيا الى صح
لان التقدير ان طلبت تقدير الاجل وتنفيس المهل من اجل ان لعنته فانك موخر الموت
بما حكمت به لا باجابتك الى مسئلتك فهو معطوف على السؤال عطف الكلام على الكلام
الذي تقتضيه لا عطف لايجاب على السؤال لان الله تعالى ان يجيب عاصيا مثله الى
مسئالته بدخول الفاء في الموضعين لتقدم ذكر اللعن وان المعنى لان ابتليتني من رحمتك
فاخر اجلي لانال من عدوي الذي كان سبب ذلك ما اقدر عليه من الاغوال ولمن
يكون من نسله واستشفي ذلك بجهله نعوذ بالله من طاعة الهوى المؤدي الى
سبيل الردى الاية الثالثة منها قوله عز وجل وقال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك
المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا
تجد اكثرهم شاكرين وقال في سورة الحجر رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض
ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين للسائل ان يسال في هذه الاي عن
شيئين احدهما اختلاف المحكيات ففي موضع فبما اغويتني وفي موضع رب بما اغويتني
وفي آخر فبعزتك لاغوينهم اجمعين والثاني حذف الفاء في سورة الحجر قال رب بما
اغويتني واثباتها في الآيتين الاخريين والجواب عن اختلاف الالفاظ المحكية

ان يقال

ان يقال متى حملت الفاء على القسم في قوله بما اغويتني في الآيتين بشهادة الآية الثالثة ٧ باناك صح
وهي فبعزتك لم يكن اختلاف في المعنى لان المراد في قوله بما اغويتني باغوائك اياي
وهو يحتمل وجوها من المعنى احدها ان يكون المراد بتخييبك اياي لاجهدن في تخييبهم
وهذا ظاهر الكلام لان القسم متعلق باللام ولان قوله فبعزتك في مقابلتها من الآية
الاخرى وتخييب الله هو بعزته ومنه قوله ومن يغو لا يعدم على الغي لائما اي من ٧ اياه
تخيبه لم ينل خيرا ويشهد بذلك صدر بيت وهو فمن يلق خيرا يحمد الناس امره
والثاني ان يكون المراد باهلاكك اياي بان لعنتني وهذا الفعل ايضا عزة من الله
وكذلك ان حمل على معنى الحكم بغوايته فهو عزة من الله واذا كانت كذلك تساوت
في المعنى وكل قسم والاغواء الذي هو التخييب او الاهلاك او الحكم بالغواية كل ذلك عزة
من الله تعالى فالقسم كالقسم بعزته والجواب عن السؤال الثاني وهو حذف الفاء
مع قوله رب بما اغويتني فلان الدعاء في الصدر يستانف بعده الكلام والقصة
غير مقتضاه لما قبلها كما اقتضاها قوله رب فانظرني والفاء توجب ايصال ما بعدها
بما قبلها والنداء اولا يوجب القطع واستيناف الكلام لا سيما في قصة لا يقتضيها
ما قبلها فلم تجر الفاء مع قوله رب بما اغويتني والموضعان الاخران لم يدخل
الكلام فيهما نداء يؤخر استيناف ما بعده فلذلك وصل القسم فيهما بالاولى بدخول
الفاء الاية الرابعة منها قوله عز وجل فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على
الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون
وبينهما حجاب وقال في سورة هود ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون
على ربهم ويقول الاشهاد هولاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ليس
الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون للسائل
ان يسال عن اعادة هم في قوله وهم بالآخرة هم كافرون في سورة هود وترك ذلك في

سورة الاعراف جاء على اصله غير مزيد فيه ما يجرى مجرى التوكيد والذي في سورة
هود جاء بعد قوله ويقول الاشهاد هولاء الذين كذبوا على ربهم فاشير اليهم
ثم قال الا لعنة الله على الظالمين فاظهر ذكر الظالمين في موضع [illegible] اجري
على الحكم في اضمار الاسم عقيب الذكر فكان الا لعنة الله عليهم لان المراد [illegible] الظالمين
هم المشار اليهم بقوله هولاء الذين كذبوا على ربهم واشير بالكلام المتقدم اليهم فلما
استمر الكلام على الاضمار بعد ذكر الظالمين صار الظاهر كانهم غير المشار اليهم بقوله
هولاء الذين كذبوا على ربهم فاعيد هم في قوله وهم بالاخرة هم الكافرون لتحقق
الكفر عليهم بنسبة الاوصاف المتقدمة اليهم واولها كذبهم على ربهم ثم ظلمهم لانفسهم
وصدهم عن سبيل الله ووصفهم لها بدل الاستقامة باعوجاج وكفرهم في هذه الخصال
بالله واستحقاقهم عقوبة الله في الاية فلما لم يصرف الجزء الثاني في سورة هود عن اعادة
الضمير الى الاول ووضع مكانه ظاهر احتمل ان يكون غير الاول وعنى بهم انهم هم
كان الموضع موضع توكيد لتحقيق الخبر عنهم بالكفر وتنبيه عليهم باوكد لفظ كانا قلنا
هم هم فهم المعادي في قوله وهم بالاخرة هم كافرون الا بنيين بذلك ان المكان مكان
توكيد ليفرق بينه وبين الاول الاية الخامسة منها قوله عز وجل وهو الذي يرسل
الرياح نشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت وقال
في سورة الفرقان وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وانزلنا من
السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا وقال في
سورة الروم الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء
ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله وقال في سورة الملائكة والله الذي ارسل
الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور للسائل
ان يسال فيقول هذه الاي الاربع قد خصت ايتان منها بقوله يرسل على لفظ المستقبل

الاضمار ولو صح

بالظا

في سورة الاعراف معروفي ليس هو بالاول لم يحتج الى توكيد ولما عدل صح

عن صح

انام

وايتان

وايتان بقوله ارسل على لفظ الماضي فهل في كل مكان ما يقتضي اللفظ الذي خص به ام
كل جائز لو جاء عليه والجواب ان يقال بل لكل ما يوجب في الاختيار اللفظ الذي جاء
عليه وان كان الله وصف بانه ارسل الرياح فيبسط بها السحاب فسقى منه الامطار
واحيى بها البلاد لو وصفه بانه يفعل ذلك في المستقبل لانه قادر كما كان وقد عود فعل
ذلك واعلمناه مشاهدة الا ان الاية الاولى في سورة الاعراف جاء فيها يرسل بلفظ
المستقبل لان قبلها ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض
بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين فكان ذلك بعث
على الدعاء والتضرع وبتعليق الخوف بما يكون من الرحمة وصنوف ما رزق للخلق من
النعمة فكان لفظ المستقبل اشبه بموضع الخوف [illegible] الى الدعاء واما في
الفرقان ومجيء هذه اللفظة فيها بلفظ الماضي فلان قبل الاية الم تر الى ربك كيف مد
الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذي ارسل
الرياح بشرا بين يدي رحمته فلما عدد انواع ما انعم به وكان ارسال الرياح بشرا
ولنذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره فبني قوله الله الذي يرسل على البناء الذي جعل
عليه ما هو من اياته تحث على الاعتبار بما يعتاد من فعله تبارك ربنا وسبحانه واما في
سورة الملائكة واختيار لفظ الماضي فيها على المستقبل فلان اولها الحمد لله فاطر السموات
والارض جاعل الملائكة رسلا بمعنى فطر وجعل وخاتمة هذا العشر من مبتدا السورة
الله الذي ارسل الرياح فلما افتتح العشر من اول السورة بالتمدح بما صنع اتبعه
ما كان من جنسه مما فعل فكان الاختيار لفظ الماضي ههنا لذلك فافهمه فانه
يفتح عليك ما يشبهه ان شاء الله الاية السادسة منها قوله عز وجل لقد ارسلنا نوحا
الى قومه وقال في سورة هود ولقد ارسلنا نوحا الى قومه وقال في سورة المومنين

والطمع الداعيين صح

فلما عدد انواع ما انعم به وكان ارسال الرياح في جملة نعمه بعد ما تقدمه واخبر فيه عما فعله واوجده واما في سورة الروم ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات صح

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه للسائل ان يسال عن حذف الواو من لقد في سورة الاعراف
واثباتها في سورتي هود والمؤمنين والجواب ان يقال ان الايات التي تقدمت
قوله لقد ارسلنا نوحا في سورة الاعراف الى ان اتصلت به في وصف ما اختص
الله به من احداث خلقه والبدايع من فعله من حيث قال ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام الى ان ذكر الشمس والقمر والرياح والامطار والنبات
والسهل من الارض الطيبة والحزن منها الخبيث ولم يكن فيها ذكر بعثة نبي ومخالفة
من كان له من عدو وغيره فصار كالاجنبي من الاول فلم يعطف عليه واستانف ابتداء
كلام البدل على انه في حكم المنقطع من الاول وليس كذلك الاية التي في سورة هود لان هود ٧
اولها افتتح الى ان انتهى الى قصة نوح عليه السلام بما هو احتجاج على الكفار
بايات الله التي اظهرها على انبيائه والسنتهم صلوات الله عليهم اجمعين وتوعد
لهم على كفرهم وذكر قصة كقصص من تقدمهم من الانبياء الذين جحدوا اياتهم فعطفت
هذه الاية على ما قبلها اذ كانت مثلها الا ترى اول السورة الر كتاب احكمت اياته ثم
فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وبعد العشر منها
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضايق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز الى
قوله قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ثم وصف حال من امن بالله ورسله واخبت
الى ربه وحال من افترى على ربه وحصل على خسران ربه وشبههما في قوله بحال من انطوى
على ذكره مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع والبصير هل يستويان مثلا فاقتضى
تشابه القصتين عطف الثانية على الاولى واما في سورة المؤمنين فان قبل هذه الاية
منها ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم قوله ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق
وما كنا عن الخلق غافلين ثم انقطعت الاي الى قوله وعليها وعلى الفلك تحملون لكان
ما تقدم في هذا المكان مثل ما تقدم في سورة الاعراف الا انه باينه بان كان فيه ولقد

خلقنا

جعله ص ٧ خلقنا الانسان وقوله ولقد خلقنا فوقكم ثم انقطعت الى قوله وعليها وعلى الفلك
تحملون والفلك التي تحمل عليها بما اتخذه نوح عليه السلام فدخلت واو العطف في
قصة نوح للفظتين المتقدمتين وهما ولقد في رؤوس الايتين وللمعنى المقتضي
من ذكر الفلك الذي نجى الله عليه من اصل الخلق فبذر هذا السبيل الاية السابعة
منها قوله تعالى متصلا بقوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما
لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقال في سورة هود ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه اني لكم نذير مبين الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم
وقال في سورة المؤمنين ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره افلا تتقون للسائل ان يسال عن اختلاف المحكيات كقوله بعد ما لكم من اله
غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وفي هود اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم
قصه ٧ وفي المؤمنين ما لكم من اله غيره افلا تتقون والقصة واحدة والجواب ان يقال
ان للانبياء صلوات الله عليهم مقامات مع اممهم تتكرر فيها الاعذار والانذار
ويرجع فيها عودا على بدء الوعد والوعيد ولا يكون دعاؤهم الى الايمان بالله
ورفض عبادة ما سوى دينه في موقف واحد بلفظ واحد لا يتغير عن حاله مثل
الواعظ يعيش في مقاله والجاحد تختلف اجوبته في مواقعه فاذا جاءت المحكيات
على اختلافها لم تتطالب وقد اختلفت في الاصل باتفاقها لانه قال لهم مرة باللفظ
الذي حكى مرة ومرة اخرى بلفظ اخر في معناه كما ذكر وكذلك الجواب برد من اقوام
يكثر عددهم وتختلف كلامهم ومقصدهم وصدق الخبر يتناول الشيء على ما كان عليه
فلا وجه اذا للاعتراض بهذا ونحوه الاية الثامنة متصلة بهذه الاية من سورة
الاعراف قوله تعالى قال الملا من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة
ولكني رسول من رب العالمين وقال في سورة هود فقال الملا الذين كفروا من قومه

ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا وقال في سورة المومنين
فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم للسائل
ان يسال فيقول لا معنى خلت قال في سورة الاعراف من الفاء وقد جاء مثلها
في السورتين بالفاء وهو فقال فالجواب ان يقال ان الموضع اللذين دخلتهما
الفاء ما بعدها مما اقتضاه فكلام النبي عليه السلام مما راه الكفار جوابا له فكان بناء
الجواب على الابتداء يوجب دخول الفاء وليس كذلك الاية التي في سورة الاعراف
لانهم في جوابهم صاروا كالمبتدين له بالخطاب بخير سالكين طريق الجواب لانهم
قالوا انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة فكان كلامهم له كالكلام
الذي يبتدا به الانسان صاحبه فلذلك جاء بغير فاء مخالفا طريقة ما الكلام بعده مبني
بناء الجواب ومما اخرج من الاجوبة مخرج الابتداء بالكلام وان كان في ضمنه الجواب قوله
ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها
كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من
الغابرين فلم يات بالفاء في اللفظتين اللذين كان ما بعد كل واحد منها كالجواب
لما قبله ومما يؤكد صحة هذا قوله تعالى فما كان جواب عاد لهود والى عاد اخاهم
هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملاء الذين كفروا
من قومه انا لنراك في سفاهة ولم يقل فقال الملاء لان ما بعد قال هنا مسلوك
به طريق الابتداء بالخطاب اذ رمي بالسفاهة كما رمي نوح بالضلالة فلم يدخل
على واحد منهما الفاء التي يجعل الثاني متعلقا بالاول تعلق الجواب بالابتداء الاية
التاسعة منها قوله تعالى ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون
وقال في قصة هود ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين للسائل ان يسال
عن الفرق بين قوله وانصح لكم وقوله وانا لكم ناصح امين وما الذي اقتضى الاسم في الاخر

وليس كذلك آية التي هي
[illegible]

والفعل

والفعل في الاول وهل كان يصح احدهما مكان صاحبه والجواب عن ذلك من وجهين
احدهما ان يقال ان معنى كلام نوح ما نطق به القران ومعنى كلام هود ما ذكره الله
حاكيا عنه وليس لقائل ان يقول اذا كان القولان صحيحين في موضعهما هلا قال احدهما
قول الاخر والوجه الثاني ان يقال ان قول نوح عليه السلام جواب من ضلاله لانه قيل له انا
لنراك في ضلال مبين وهود عليه السلام قيل له انا لنراك في سفاهة والضلال من صفات
الفعل يقال ضل فهو ضال والسفاهة من صفات النفس وهي ضد الحلم وهو معنى ثابت
يولد الخفة والعجلة المذمومتين والحلم معنى ثابت يولد الاناة المحمودة فكان جوابا
من عيب بفعل مذموم نفيه بفعل محمود لا بل افعال تنفي ما ادعوه عليه وهي ان قال لست
ضالا ولكني رسول من رب العالمين اودي اليكم ما تحملت من اوامره وادعوكم باخلاص
الى صلاح امركم واعلم من سوء عاقبة ما انتم عليه ما لا تعلمون فنفى الضلال بهذه الافعال
التي ينتقل الانسان عنها الى اضدادها في الزمن القصير مرارا كثيرة كان نفيها بصفات
ثابتة تبطلها اولى كما كان نفي المذموم بالفعل المحمود اولى فقوله ناصح اي انا ثابت لكم
على النصح ثقة في النفس لا ينتقل لكم عن النصح اي الغش ولا يتبدل خيانة بالامانة وكان كل
من الكلامين ما لاق به اقتضاه الاية العاشرة منها قوله تعالى فكذبوه فانجيناه ومن معه
في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا والجواب ان يقال السورتان
مكيتان جميعا الاية في سورة الاعراف وقوله انجيناه اصل في هذا الباب لان افعلت
في باب النقل اصل لفعلت وهو اكثر تقول نجا وانجيته كما تقول ذهب واذهبته ودخل
وادخلته وخرج واخرجته واما فعلته فمن القلة بحيث يعكس عليه نحو فزع وفزعته
وخاف وخوفته وقد جاء معه الهمزة فيقال افزعته واخفته ولا تجامع تشديد العين
الهمزة لا يقول ذهبته ودخلته في اذهبته وادخلته فالاية الاولى جاءت على الاصل
الاكثر ولهذا اكثر ما جاء في القران جاء على انجينا كقوله فانجيناه والذين معه برحمة منا

الذين
اغرقنا
والذين معه في الفلك واغرقنا
كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما
عمين وقال في سورة يونس
فكذبوه فنجيناه ومن معه

وكقوله وانجينا موسى ومن معه اجمعين وقوله فانجاه الله من النار وليست الجيم المزيدة في
نجينا للكثرة وانما هي المعاقبة للهمزة بدلالة قوله في ذي النون عليه السلام فاستجبنا له
ونجيناه من الغم ولا كثرة هناك واما قوله الذين معه في الفلك فهو في الاصل ومن نجي معنا لما
ويكون مشتركة في معان والذين خالصة للجنس محشوة بالصلة فاستعمل الاصل في اللفظتين
انجينا والذين ولما كثر هذا الذكر كان العدول الى اللفظين الآخرين الذين هما معناهما
وهما نجينا ومن اشبه بطريقة الفصحى وعادة البلغا ثم الواو في قوله وجعلناهم خلايف في
الآية الثانية فانه زيادة في الخبر عن احوال الذين نجوا من الغرق فصاروا خلفا
للهالكين وقيل كانوا ثمانين نفسا وهلك ساير اهل الارض فان قال في الاعراف
قبل ان جعلوا خلايف فكيف قدم عليه قبل ان يكون معنى وجعلناهم خلايف انما
قدم لانه من صفة الذين انجاهم فلما اخبر عنهم بذلك ضم اليه الخبر الثاني ويجوز ان يكون
معنى وجعلناهم خلايف لهم لما ان الاغراق بعده على ان الواو لا ترتيب
فيها ولا يمتنع ان يكون المذكور بعدها المتقدم على ما قبلها الآية الحادية عشرة منها
قوله عز وجل في قصة صالح قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها
تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم وقال في سورة هود ويا قوم
هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم
عذاب قريب وقال في سورة الشعراء قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم
ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم للسايل ان يسال عن اختلاف
الخبر الواحد في الاماكن الثلثة وهو حكاية ما قاله صالح عليه السلام لقومه لما حذرهم
التعرض للناقة الجواب ان يقال ان هؤلاء سالوا ان تخرج لهم من هضبة ملسا
ناقة فسال الله تعالى صالح عليه السلام ذلك في حجر بانهم بدا لهم في هذه الآية عن حبلة
كانت منهم فانفرجت عن ناقة بعد ما تمخضت تمخض المرأة والناقة عشراء ه

عشراء فنتجت

بذلك بهم صح

فنتجت بعد ذلك فصيلا وكانت ترد ماء لهم بين جبلين يوما فتشرب ما هم كلهم
وتسقيهم اللبن بدله للقوم شرب يوم تخصهم فيثقل عليهم امر شربها وانقطاع الماء
عن مواشيهم بسببها وحذرهم صالح عليه السلام التعرض لها الى ان عقرها احمر ثمود
فصار سبب هلاكهم فالآية الاولى في الاعراف عامة في جملة ما كان من وعظه لهم لانه
قال قد جاءتكم بينة من ربي تشهد لكم بصحتها انها من قدرة الله تعالى المختصة بفعله الذي لا
يفعله غيره ثم قال هذه ناقة الله لكم آية اي هي ناقة ليست ملك احد منكم وانما هي
لله استخرجها من الصخرة او الهضبة امارة لصدق نبيه عليه السلام لتؤمنوا عندها ه
واتركوها ترعى في الصحارى التي هي ارض الله من الكلا الذي هو نعمة الله ولا تتعرضوا
لها بسوء فياخذكم عذاب ينال منكم ويولمكم وهذه المعاني المجملة في الآية الاولى زيدت
بيانا في الآيتين فالاولى تحذيره على طريق العموم فاما قوله في الثانية فياخذكم عذاب
قريب بعد ما قال المنذر في الاولى اليم فانه اختص هذا المكان بتقريب لما بعده ومن قوله
فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلثة ايام فقال المدة التي بينهم وبين هلاكهم وقرب ما
يوعدهم به من عذاب الله لهم والقريب لا ينافي الاليم بل اشد الما اذا لم يكن بعد امل
فالاختصاص بالآية الثانية بتقريب دون اليم لما ذكرنا من قرب الميعاد المقرون ه
ذكره الى ما ذكره واما الآية الثالثة واختصاصها بقوله فياخذكم عذاب يوم عظيم فلان قبلها
ذكر اليومين المقسومين بين الناقة وبينهم كانه قال لهم ان منعتموها يومها بعقر ولا تتركونه
لها اخذكم عذاب يوم عظيم عليكم وكل ذلك بمعنى واحد وانهم ان عقروها عوقبوا صح
فالالفاظ المختلفة دايرة على هذا المعنى واختلافها لاختلاف مواضعها المقتضية لتغير الالفاظ
الآية الثانية عشرة منها قوله عز وجل في قصة صالح فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم
جاثمين وقال فيهم في سورة هود فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد
غير مكذوب وقال فيهم في هذه السورة بعد هذه الآية فاخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا

في دارهم جاثمين وقال في الاعراف ايضا في قصة شعيب وقومه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا
في دارهم جاثمين وقال في هذه القصة في سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة
فاصبحوا في ديارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت
ثمود للسائل ان يسال عن قوله فاصبحوا في دارهم فتوحد الدار في موضع وهل هناك
فرقان بين موضع الواحد وموضع الجمع والجواب ان يقال اذا كان التوحيد والجمع
جائزين وكان وجه التوحيد على طريقين احدهما ان يراد بدارهم بلدهم فتوحد
ذهابا الى معنى الدار وهو موحدا ويذهب به مذهب الجنس كما تقول دينارهم اشر من درهمهم
كما قال دينار آل سليمن ودرهمهم كما بليين حقا بالعقاريب فبقي الكلام في اختصاص
موضع بالتوحيد وموضع بالجمع وان يقال هل ذاك لفائدة تخصصه به فيقول انه وحد في
في كل مكان ذكر في ابتدائه والى ثمود اخاهم صالحا والى مدين اخاهم شعيبا ولم يذكره
اخراج النبي ومن آمن معه من بينهم بني اب واحد وكذلك اهل دار واحدة ورجي ايضا
ان يصيروا بالايمان فرقة واحدة وكل موضع اخبر عن تفرقة بينهم واخراج النبي
ومن آمن منهم اخبر عنهم الاخبار الدال على تفرقة شملهم وتشتت امرهم وذهاب
المعنى الذي كان يجمعهم لان واحد ودار واحدة وان يصيروا مع المؤمنين فرقة واحدة
فقال فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذ الذين ظلموا الصيحة
فاصبحوا في ديارهم جاثمين فان قال فقد قال في قصة شعيب في سورة الاعراف فاخذتهم
الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين فوحد الدار وقد خرج شعيب من بين اظهرهم ووقع الحكم
بتفرق شملهم فكان ما ذهبت اليه يقتضي ان يجمع الدار فقال ديارهم في هذا المكان والجواب
ان يقال انه لم يتقدم في هذا الموضع ذكر اخراجه من بينهم مع الذين آمنوا معه كما ذكر في
الموضعين الآخرين في قصة هود وفي قصة شعيب فيها الا ترى انه قال في قصة صالح في سورة
الاعراف وسورة هود قبل ان اخبر انه نجاه ومن آمن معه لما جاء امره مرتين فوحد

فيحكلهم

ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين صح

سورة صح

الدار

الدار فيهما وفي الموضع الذي ذكر تفصيته مع المؤمنين منهم جمع الدار وكذلك جاء في قصة
شعيب في موضعين احدهما جمع فيه وفي الآخر وحد والجمع حيث ذكر اخراجه منهم مع المؤمنين
معه فنذكره ان شاء الله تعالى الآية الثالثة عشرة منها قوله عز وجل في آخر قصة صالح فتولى
عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين للسائل ان
يسال عن افراد الرسالة في قصة صالح وجمعها في قصة شعيب وما الفائدة المختصة بكل
واحدة من اللفظتين بمكانها والجواب عن ذلك ان يقال الذي نطق به بكل واحد
القرآن من تحذير صالح عليه السلام قومه بعد ان امرهم باتقاء الله وطاعته هو امر الناقة
والمنع من التعرض لها فجعل الرسالة جملة لما لم يقصد تفصيل ما اتى به شعيب حين نهاهم
عن عبادة الاوثان بدلالة قوله قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا
او ان نفعل في اموالنا ما نشاء ثم قال اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون ثم
قال اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم
ولا تعثوا في الارض مفسدين وقال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن
سبيل الله قيل في التفسير هم العشارون عن قتادة والسدي وقيل كانوا يقعدون على
طريقه من قصد شعيب فيوعدونه ويصدونه عن دين الله فهذه التي امرهم بها شعيب وهي
اشياء كثيرة ليس ما امر به صالح كثيرة فلهذا جمع الرسالة فقال رسالات ربي وقال صالح
رسالة ربي وجواب ثان وهو على ما يروى ان الايكة غير مدين وان شعيبا بعث
الى امتين وهذا عن قتادة وقيل الغيضة الملتفة واصحاب الايكة هم اهل مدين
كانوا احل على الا ما كان على كل واحد من امتيه رسالة بجمع الاختلاف قومه والتخصيص
كل منهم برسالة من الله فان قال قائل فباي عذاب اهلكوا وقد نطق القرآن
بالرجفة في امرهم ونطق بالصيحة التي خروا لها وماتوا ونطق بعذاب يوم الظلة
وهي سحابة اظلتهم فاحرقهم الحر تحتها وهذه انواع من العذاب مختلفة وفي كل

وقال في صحب

ويلمن لها لا يجسلن النار شعيبا شعيب الذين كذبوا فتولى عنهم كانوا هم الخاسرين قصة شعيب وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم صح

واحدة ما يغني عن الاخرى في الاهلاك فاذا اهلكوا باحدها اكتفي به عن غيرها والجواب ان
يقال في التفسير عن محمد بن كعب قال عُذِّب قوم شعيب بثلثة اصناف من العذاب اصابتهم
الرجفة فخرجوا من ديارهم ثم اصابهم حرّ شديد ففرقوا من ان يدخلوا البيوت
خوف الزلزلة فبعث الله عليهم الظلة وهي سحابة أنشئت لهم فصاح رجل منهم هل
لكم في الظلة هل لكم في الظلة وفي رواية عليكم الظلة فما رايت كاليوم من ظل اطيب
ولا ابرد فلجوا اليها هربا من الحر الذي اصابهم فلما اجتمعوا تحتها امطر عليهم نارا فاحرقتهم
وقيل صيح بهم صيحة واحدة فماتوا منها فعلى هذا تسلطت عليهم الانواع الثلثة من العذاب
عذاب الاستيصال الاية الرابعة عشرة قوله عز وجل ولوطا اذ قال لقومه اتاتون
الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون
النساء بل انتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم
انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين وقال في
سورة النمل ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون ائنكم لتاتون
الرجال شهوة من دون النساء بل انتم تجهلون فما كان جواب قومه الا ان قالوا
اخرجوا ال لوط من قريتكم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته قدرناها
من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقال في سورة العنكبوت
ولوطا اذ قال لقومه ائنكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتاتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم
المفسدين للسائل ان يسال في هذه الآي عن ستة مواضع فالاول قوله في سورة
الاعراف شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وقال فيما وقع في سورة
النمل بل انتم قوم تجهلون والثاني قوله بعد ذكره وما كان جواب قومه في سورة الاعراف

موقعه صح

بالواو

النمل صح

بالواو وقال فيما اشبهه من سورة فما كان جواب قومه بالفاء وهل يصلح احدهما
مكان الاخر في الاختيار والثالث قوله في سورة الاعراف الا ان قالوا اخرجوهم وقال
في سورة النمل الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم فاضمر في الاول واظهر في الثاني
والرابع قوله في سورة الاعراف الا امراته كانت من الغابرين وقال في النمل قدرناها
من الغابرين والخامس قوله اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون والسادس اختلاف
المحكيات في سورة الاعراف والنمل فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم واخرجوا
ال لوط وقال في سورة العنكبوت فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله
ان كنت من الصادقين فاما المسئلة الاولى فهي بل انتم قوم مسرفون في الاعراف وبل
انتم قوم تجهلون في النمل ~~فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا~~ فالمسرف يجهل باسرافه والجاهل يسرف
في افعاله اذ الاسراف مجاوزة الحد الى الفساد فيجوز ان يكون لوط عليه السلام لما كانت
له مع قومه مقامات قال بعضها هذا اللفظ وقال في المقام الاخر اللفظ الثاني فلم ينافِ
احدهما الاخر واختصاص مسرفين في سورة الاعراف فلان الايات التي قبلها فواصلها
اسماء جموع هذا الجمع من حيث قال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض
فكانت فاصلة هذه الاية مفسدين وما بعدها مؤمنين وما بعدها كافرين وبعدها
المرسلين وبعدها جاثمين وبعدها الناصحين وبعد ذلك اذا انتهى الى هذه الاية العالمين
فكان الاسم احق بالوضع في هذا المكان ليساوي الفواصل وفي سورة النمل تقدم الاية التي
فاصلها بل انتم قوم تجهلون فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا الى ان في ذلك لاية لقوم يعلمون وانجينا
الذين امنوا وكانوا يتقون ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون فلما
تناسقت هذه الافعال في هذه الفواصل التي قبل هذه الفاصلة كان بناؤها على ما
قبلها على لفظ الفعل اولى بها فجاء تجهلون في هذا الموضع ومسرفون في الاول لهذا الفصل
والله اعلم واما المسئلة الثانية في اختصاص الواو في سورة الاعراف في قوله وما كان جواب قومه

في م

والفاء في سورة النمل فما كان جواب قومه فلأن قبلها مسرفون وهو اسم وان ادى
معنى الفعل ويحتملون صريح لفظ الفعل والاجوبة التي تتعلق بالاول المبتداء
بها انما اصلها في الافعال التي تقع وتوجد لوجود غيرها والواو والفاء جايزان
في الموضعين فيختار بكل ما هو به اليق اذ دليل الاسم اصلا فيما جعلت الفاء للجواب
فيه واما المسئلة الثالثة وهي اخبار كل آل لوط في الاعراف حيث قال الا ان قالوا
اخرجوهم واظهاره في سورة النمل لما قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم والجواب عنه
ان يقال ان السورتين مكيتين وموجب هذا الاضمار والاظهار ان يكون ما جاء
فيه الاظهار نازلا قبل ما جاء فيه الاضمار فلما اظهر في الاية المنزلة قبل اعتمد في القصة
التي هي عند ذكرهم على الاضمار الذي اصله ان يكون بعد تقدم الذكر واما المسئلة
الرابعة وهي الا امراته كانت من الغابرين في سورة الاعراف وقوله في سورة النمل
الا امراته قدرناها من الغابرين فالجواب عنها ما يدل عليه الجواب عن المسئلة
الثالثة وهو ان هذه القصة في سورة النمل نازلة قبل القصة في سورة الاعراف
بدليل الاضمار والاظهار واذا بنينا على هذا فان قوله الا امراته قدرناها من الغابرين
اي كتبنا عليها ان تكون من الباقين في القرية الهالكين مع اهلها فلما ذكر في الاية
المنزلة اولا احال في الثانية على الاولى في البيان فقال كانت من الغابرين
اي في تقدير الله الذي قدره لها واخبر فيما قبل عن حكمه عليها واما المسئلة الخامسة
فعن قوله في سورة الاعراف اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
وقال في سورة النمل اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون فالجواب عنها على ما بيناه وهو
ان ذكر قصة لوط وقومه نزل القران به قبل ذكره في سورة الاعراف وتبكيتهم بالفاحشة
وتعظيم امرها لفحشهم فيها قبل الاخبار عمن سبقهم اليها فكان قوله وانتم تبصرون
اي تتكاتمون بها لانهم كانوا في مجالسهم لا يتحشمون عنها وقيل وانتم تبصرون فحشها

الا انه يختار حيث جاء اصل
الذي وضعت الفاء فيه
لتوجب ما بعدها لوجود
ما قبلها وهو الفعل واخرت
الواو حيث الملفوظ به الا
لتفرق الموضعين صح

وشناعة

وشناعتها وهذه صفة ترجع الى الفعلة نفسها ثم انهم لم يسبقوا اليها كما جعل
في الجزء الثاني ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وبهذا وصف حقه ان يجي بعد توفية
الفاحشة حق وصفها في نفسها فاخر ذكره الى الحكاية الثانية لهذه القصة وقد
خاطبهم لوط بذلك وباكثر منه في مقامات انكاره عليهم ودعايه لهم واما المسئلة السادسة
فعن اختلاف الحكايات اذ كان في سورة الاعراف والنمل وما كان جواب قومه الا ان
قالوا اخرجوهم واخرجوا آل لوط وقال في سورة العنكبوت فما كان جواب قومه الا ان
قالوا ايتنا بعذاب الله ان كنتم من الصادقين والجواب عن ذلك ان هولاء لما كرر عليهم لوط
الانكار واعاد عليهم الاعذار والانذار قال في موقف ما حكاه الله فكان جوابهم له
في ذلك ما كرره الله تعالى والجواب الثاني وان خالف الجواب الاول فهو من جهتهم واذا
خالفوا بين الاجوبة تناولت الحكاية مختلفها على انه لو كان كل ذلك في موقف واحد لكان
جايزا ان يكون جواب طايفة منهم ما ذكر اولا وجواب طايفة اخرى ما ذكر ثانيا وكل من
الطايفتين قومه فاذا قيل ما كان جواب قومه اي بعض قومه فاذا قال بعض ورضي به الآخرون
فكلهم قايلون او في حكم القايلين فلا يقدح ما جاء من اختلاف اجوبتهم في الايات التي
نزلت في هذه القصة على ما يظنه المعترض وانما يتعلق بمثله من جهل الانبياء عليهم السلام
مواقفهم ولم يعرف اللغات ومصادقها ونظايره كثير في قصة موسى عليه السلام مع فرعون
وحكايتها في هذه السورة وفي غيرها نقف عليه ان شاء الله تعالى الاية الخامسة عشرة
تشتمل على ثلث مسايل قوله عز وجل تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم
بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وقال
في سورة يونس عليه السلام ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤوهم بالبينات فما كانوا
ليومنوا بما كذبوا به من قبل كذلك يطبع الله على قلوب المعتدين للسايل ان يسال عن
اختلافهما اختلف من الايتين المتشابهتين واختصاص ما في سورة الاعراف بسقوط به

وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ثم
قوله كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين
فانت به في سورة يونس وهو بما كذبوا به
من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين
والجواب عن كونه مما
سقط به من قوله ...

من قوله كذبوا هو للبناء على ما جعل صدراً لهذه الآيات التي نزلت في الترغيب والترهيب
وهو ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون فقوله ولكن كذبوا لم يذكر له مفعول وانساقت
الآيات بعد التحرير المتوالي بقوله تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم
رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل فالمكذبون هنا هم المكذبون
في قوله ولكن كذبوا فدل على ذلك بان اجرى مجراه في حذف ما يتعدى اليه وما يتعدى
اليه بالباء كذبوا بآياتنا واذا كان من المكذبين فانه يتعدى اليه بغير حرف اضافة
كما في قوله تعالى وكذبوا رسلي فالمحذوف في هذا المكان هو المفعول به وهو الذي تعدى
اليه الفعل بالباء واما قوله في سورة يونس فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل فاثبات
المفعول به هنا فلان قبله قصة نوح وهي واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم
ان كان كبر عليكم مقامي ثم بعده فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك ثم بعده واغرقنا
الذين كذبوا بآياتنا فجاءت كذب امام القصة المبنية على القصة التي قبلها متعدياً به
فلما وقعت الاشارة في قوله ثم بعثنا من بعده رسلاً الى قومهم فجاؤوهم بالبينات فما
كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل الى تكذيب من كذب من قوم نوح اخبر بعده به
الفعل المذكور على الفعل ليعلم ان الفعل معني به ما تقدم فلما جاء ذلك متعدياً جاء هذا
مثله ولما لم يجئ في الآية التي في سورة الاعراف متعدياً لم يجئ فيما بني عليه الا محذوف
المفعول به واما الجواب عن اختلاف قوله كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلان
الآية في سورة الاعراف مبنية على ما تقدم من الآيات وهي ينتقل من الاضمار الى الاظهار
ومن الاظهار الى الاضمار اعني في ا... حبار الله عن نفسه كقوله افأمن اهل القرى ان
يأتيهم بأسنا بياتاً او ان يأتيهم بأسنا ضحى وقوله بعده افأمنوا مكر الله فاظهر ولم
يقل افأمنوا مكرنا فلما وقع هذا الافتنان في المكان ثم جاء بعده اولم يهد للذين

يرثون

٥٦

يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم
فاجري الفعل على اضمار فاعله ثم عاد ذكر الطبع في الآية الاخرى كان اجراؤه
على اظهار الفاعل اشبه بما بنيت عليه الآيات المتقدمة من الانتقال من الاضمار الى
الاظهار المختار استعماله في هذا المكان واما الآية التي في سورة يونس وهي كذلك نطبع على
قلوب المعتدين فلان ما قبلها جار على حد واحد وسنن لاحب وهو اضمار الفاعل من
حيث اخبر في قصة نوح قبله وهي من مبداء العشر واتل عليهم نبأ نوح الى ان قال فكذبوه
فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلاً الى قومهم فقال بعده كذلك نطبع على
قلوب المعتدين فلم يتقدمه ما تخالف هذا النهج ولم يبن على الطريقين فاتبع الاول
وحمل عليه في اضمار الفاعل فيه والمسألة الثالثة في هذه الآية قوله في الاعراف على
قلوب الكافرين وفي سورة يونس على قلوب المعتدين والجواب عنها ان الآيات
التي تقدمت في سورة الاعراف تضمنت وصف الكفار لانه لا يحذر عذاب الله
ومجيئه بياتاً او ضحى الا الكفار ثم اطلاق الخاسرين لا يكون الا في الكافرين فلما وقع
التصريح بصفات الكفر صرح به عند ذكر الطبع ولما كانت الآية في سورة يونس عليه السلام
قد تقدمها الكفار وما كان كالكناية عنهم فقال فانظر كيف كان عاقبة المنذرين وما كل
منذر كافر الكني عن الكفار بعده عن ذكر الطبع المعتدين وما كل معتد كافراً فخالفه
كل واحدة من الآيتين الاخرى هي لموافقة ما قبل كل واحدة منهما من طرح الكلام وقصد
الالتيام الآية السادسة عشرة منها قوله في قصة موسى عليه السلام قال ان كنت جئت بآية
فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده
فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم
من ارضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك

بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم
لمن المقربين قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين وقال في سورة
الشعراء فكان قوله قال الملاء من قوم فرعون قال للملا حوله ان هذا الساحر عليم يريد
ان يخرجكم من ارضكم بسحره فما تامرون قالوا ارجه واخاه وابعث في المداين
حاشرين ياتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة للسائل ان يسال في هذه القصة عن مسايل
اولاها قوله في سورة الاعراف قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم فاخبر
في الاولى ان قايل ذلك الملاء من قومه وفي الثانية ان فرعون هو القائل ذلك لملائه وهذا
اختلاف ظاهر في الخبرين والجواب ان يقال ان قول الملاء فيما حكاه الله في سورة الاعراف
قول فرعون في رؤساء قومه ادوا عنه ما كان من قوله الى عامة اصحابه والدليل على
ان ذلك قوله وانهم فيه مودون رسالة عنه قول العامة في جوابه ارجه واخاه فكان
هذا خطابا لفرعون ولم يكن للملاء اذ لو كان لهم لقيل ارجوه واخاه واذا كان
كذلك لم يخالف ما قاله في سورة الشعراء من انه قال للملاء حوله بل يكون هو البادي ملل
لمن حوله ليودوا الى من بعد عنه قوله فان قال فكيف اختصت سورة الاعراف بحكاية ما
قاله الملاء وسورة الشعراء بما قاله فرعون قيل ان من رد قول موسى ثم ماله عليه ملاه
وهو ما حكاه الله في سورة الشعراء واقتص حاله حيث اخبر عنه بما قاله الم نربك فينا وليدا
ولبثت فينا من عمرك سنين الى ان انتهت الايات الى القصة المودعة ذكر السحرة فقال
فرعون للملا حوله ما ادوه عنه الى غيره وسورة الشعراء مكية كسورة الاعراف وترتيب
الاقتصاص يقتضي ان يكون قبلها وفي السورة الثانية اخبر عما اداه ملاؤه الى الناس الذين
اجابوه بان قالوا ارجوا اخاه وكان قول فرعون للملاء حوله سابقا قول الملاء الذين
ادوا الى غيرهم قوله فذكر حيث قصد اقتصاص اول ما ادعاه موسى عليه السلام الى طاعة الله
الاية السابعة عشرة من سورة الاعراف قوله عز وجل في سورة الاعراف يريد ان يخرجكم

من ارضكم

من ارضكم فماذا تامرون وقال في سورة الشعراء يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا
تامرون للسائل ان يسال فيقول ذكر في الاية الاولى ان قال يريد ان يخرجكم من ارضكم فحسب
وذكر في الثانية من ارضكم بسحره والقول واحد فلماذا اختلف الجواب ان يقال لما اسند
الفعل في الاولى الى فرعون وحكى ما قاله واذ قال للملا حوله من قومه ان هذا الساحر عليم وكان
استدعى تمردا واولهم تجبرا وابلغهم فيما يرد به الحق كان في قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم
ذكر السبب الذي يصل به الى الاخراج وهو بسحره فاشبع المقال بعد قوله ان هذا لساحر عليم
بان ذكر انه يريد ان يخرجكم بسحره واما الموضع الذي لم يذكر فيه بسحره فهو ما حكى من قول الملاء
في سورة الاعراف حين قال قال الملاء من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم ان يخرجكم من ارضكم
فماذا تامرون والملاء لم يبلغوا مبلغ فرعون في ابطال ما اورده موسى ولم يحققوا في الخطاب
حقاه فتناول الحكاية ما قاله فرعون على جهة يتكرر لفظ السحر من فعله بعد ما اخرجه في
صفته حيث قال ان هذا الساحر عليم فان قال قال ذكر الله في سورة طه عن الملاء انهم قالوا
ان هذان ساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما قيل له قوله تعالى فتنازعوا امرهم
بينهم واسروا النجوى وقالوا ان هذان لساحران خبر عن فرعون وملائه فلما كان في جملتهم غلب
امره على امرهم الا ترى انه ابتدا ذكره ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى وهذا خبر عن
فرعون ثم بعده قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلناتينك بسحر فاجعل بيننا وبينك
موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وهو خطاب لفرعون
ومن يتبعه ويجوز ان يكون له وحده على ما تخاطب به الملوك من لفظ الجمع يخبرون بمثله عنهم
فذكر بسحره بما حكى من كلام فرعون فلذلك خلا منه الموضع الذي كان الخبر عن الملاء من قومه
فاعلمه ان شاء الله الاية الثامنة عشرة من سورة الاعراف قوله تعالى قالوا ارجه واخاه وارسل
في المداين حاشرين وقال في سورة الشعراء وابعث في المداين حاشرين للسائل ان يسال
فيقول لاي معنى اختلف اللفظان في الايتين وكان في الاولى وارسل وفي الثانية فهل

٧ يريدهم

٢ فقدم

٥ مقلة ٧

٧ بكلام

النظير تان صح

والبعث وهل جاز احدهما مكان الآخر الجواب ان يقال ان اللفظتين تستعمل احدهما
مكان الاخرى وقد جاء بعث الرسل وارسله معنا الا ان ارسل يختص بما لا يختص به
بعث لان البعث لا يتضمن ترتيباً والارسال تفيد من فوق الى اسفل وارسل
في سورة الاعراف حكاية تقول العامة للملأ المؤدين كلام فرعون اليهم فلما تعالى
عليهم ولم يخاطبهم بنفسه كان قولهم في جواب ما استامرهم فيه واستنبارهم في
فعله على الترتيب الذي رتب لهم في الخطاب وكانت الحكاية باللفظ الذي يفخم به
المخاطب كما يفخم في تخيله ملاه وان يودوا كلامه الى من دونهم ولما تناول
الحكاية في سورة الشعراء ما تولاه فرعون بنفسه من مخاطبة قومه واسقاط الحجاب
بينهم وبينه وتسوية بعدهم بقدره كقوله قال للملأ حوله كان هذا الموضع مخالفا
للموضع الاول في مقتضى الحال من التفخيم فخصت باللفظ الذي ليس فيه ما في الاول
من التعظيم وهو قوله ابعث الاية التاسعة عشرة من سورة الاعراف قوله تعالى
بعد ما قال يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قال ائن لنا لاجرا وقال
في سورة الشعراء بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل
انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون
ائن لنا لاجرا للسائل ان يسأل فيقول المحكي في سورة الاعراف بعد قوله يأتوك
بكل ساحر عليم الى ان انتهى قوله الى ما هو خبر عن السحرة من قولهم لفرعون
ائن لاجرا والجواب ما دللنا عليه في ان ما في سورة الشعراء اشد اقتصاصا لنا صح
للاحوال التي كانت بين موسى وبين عدوه فرعون لاشتماله على ذكر ابتداء بعثه
اليه حيث قال واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا
يتقون فجاز في هذه الآيات التي في ذكر السحرة من شأن ما جرى ما لم يجئ في سورة
الاعراف ضمنه قوله فجمع السحرة لميقات يوم معلوم كما قال في سورة طه قال اجئتنا

لتخرجنا

لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا
لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى
فهذا هو قوله فجمع السحرة لميقات يوم معلوم كما قال في سورة الاعراف فلما لم يبدا
يكن صح القصة بذكر مبعثه عليه السلام وابتداء امره لم مبنية على ما بنينا عليه واقتصاص حاله
واول ما كان من بعثه حيث يقول اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري
فلما كان القصد في سورة الاعراف ذكر الجمل من بعض ما كان لا ذكر تفصيله كان الاقتصاد بعد
ذكر ارسال الحاشرين الى السحرة ومجيئهم يغني عن ذكر تواعدهم ليوم يظهرون فيه حيلهم وتمويههم
اذ معلوم ان مثل ذلك الخطاب العظيم وحشر العدد الكثير ينتهي الى يوم يتواعد اليه مشهود وعلى
هذا يبنى الكلام في اكثر متشابه هذه القصة الاية العشرون من سورة الاعراف قوله تعالى
قد الاية التي قبل وجاء السحرة فرعون قالوا ائن لنا لاجرا وقال في الشعراء فلما جاء السحرة قالوا
لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين للسائل ان يسأل فيقول كيف اختلف الآيتان وكيف
جاز وجاء السحرة فرعون وقالوا وحق الكلام ان يكون في قالوا واو او فاء نحو جاء السحرة
فرعون فقالوا ائن لاجرا او وقالوا والجواب ان يقال لما تقدم في سورة الشعراء ما اظهر الكبر
وما في سورة الاعراف اوجز واخص كان قوله وجاء السحرة فرعون بمعنى ما كان بازائه في سورة الشعراء
فلما جاء السحرة لم يحتج في جواب لما الى فاء ولا واو وكذلك هاهنا وفي سورة الاعراف لما قصد هذا
المعنى دل بحذف العاطف على هذا القصد فكانه قال فلما جاء السحرة فرعون قالوا ائن لنا لاجرا
الاية الحادية والعشرون في سورة الاعراف قوله تعالى في هذه السورة قالوا ان لنا لاجرا ان
كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين وقال في سورة الشعراء قال نعم وانكم اذا لمن المقربين
للسائل ان يسأل عن زيادة اذا في الشعراء وخلو سورة الاعراف منها والجواب ان معنى قوله اذا
جواب وجزاء وكان من قول فرعون لهم ان غلبتم فجزاء ان اجازيكم باعلاء رتبتكم وتقريب
منزلتكم فلاجل ذلك افعل هذا بكم واختصت سورة الشعراء بهذا دون غيرها لانها موضع بني على

نفصل اقتصاص لما جرى لم يبن غيرها عليه من نحو ما تقدم وما يجي بعد الاية الثالثة والعشرون
من سورة الاعراف قوله تعالى قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين
وقال في سورة طه قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى للسائل
ان يسال عن اختلاف الحكاية في الموضعين مع انه في موضع واحد والجواب ان المقصود
معنى واحد واختير في سورة الاعراف واما ان نكون نحن الملقين لان الفواصل قبله
على هذا الوزن واختير في سورة طه واما ان نكون اول من القى ومثله قوله فالقى
السحرة ساجدين وفي سورة الاعراف وسورة الشعراء لتكون الفاصلة فيهما
مساوية للفواصل قبلها وبازاء الساجدين قوله والقى السحرة سجدا في سورة طه
كذلك ومثله قوله قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون في السورتين للفوا
التي حملت هذه عليها وقال في سورة طه قالوا امنا برب هارون وموسى فقدم
هارون ليكون موسى فاصلة مثل الفواصل المتقدمة فهذا ونحوه مما يراعى في
الفواصل الا ترى الى قوله واطعنا الرسولا واضلونا السبيلا فزيدت الالف لا للبدل
من التنوين اذ لا تنوين مع الالف واللام وانما ذلك للتوفقة فهذا ونحوه مما يراعى
بينهما وبين الفواصل التي قبلهما وبعدهما نحو ثقيلا وتبديلا وقريبا وسعيرا
ونصيرا وبعدهما كبيرا ووجيها وسديدا وعظيما الاية الثالثة والعشرون من سورة
الاعراف قوله تعالى قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون للسائل ان يسال
فيقول لم كررت في السورتين ولم يكرره في طه انما قال قالوا امنا برب هارون
وموسى والجواب انه اذا قيل رب العالمين فقد دخل فيهم موسى وهارون وهما
دعوا الى رب العالمين لما قالا انا رسول رب العالمين الا انه كرر في السورتين رب موسى
وهارون ليدل بتخصيصه بعد العموم على تصديقهم بما جاء به عن الله فكانه قيل امنا برب
العالمين وهو يدعوا اليه موسى وهارون واما في سورة طه فلم يذكر رب العالمين لانه لما كان

ذكر صح

الذي صح

الكلام

الكلام يتم به اية كما تم في السورتين فيكون قطع الاية فاصلة مخالفة للفواصل التي بنيت
عليها سورة طه فقال تعالى قالوا امنا برب هارون وموسى وربهما هو رب العالمين
وكان القصد حكاية المعنى لا اداء اللفظ على جهته بما دللت عليه قبل الاية الرابعة
والعشرون من سورة الاعراف قوله تعالى قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم انه وقال في سورة
طه والشعراء قال امنتم له قبل ان اذن لكم للسائل ان يسال عن موضعين من هذه الاية
احدهما اظهاره اسم فرعون في سورة الاعراف في هذا اللفظ واضماره له في مثله في
سورتي طه والشعراء والثاني قوله امنتم به وقال في الموضعين الاخرين امنتم له ووجه
اختلافهما والجواب عن الموضع الاول هو اظهار الاسم في سورة الاعراف لانه جاء في
الاية العاشرة من الاية التي اضمر فيها ذكره وهي قوله قال نعم وانكم لمن المقربين وجاء في
الاية العاشرة من هذه قال فرعون امنتم ولم يبعد هذا الذكر في الايتين اللتين في سورة
طه والشعراء لان فرعون مذكور في سورة طه في جملة قومه الذين اخبر عنهم بقوله اجئتنا
لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى وبعده فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم موسى
ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى وهذا خطاب لفرعون
وقومه منطو على ضميرهم الى قوله فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا والذكر في قال امنتم له انما يرجع
من الاي التي جرت ذكره فيها وكذلك في سورة الشعراء ولم يبعد الذكر بعد في سورة
الاعراف الا ترى ان اخر ما ذكر فيما اتصل بهذه الاي قوله تعالى قال نعم وانكم اذا لمن
المقربين وذكره بعد ذلك في الاية الثامنة من الاية التي جرى ذكره فيها فلما بعد
الذكر في سورة الاعراف خالف بعده في السورتين اذ كان في احدهما في السابعة وفي
الاخرى في الثامنة وهو في الاعراف في العاشرة اعيد ذكره الظاهر لذلك والجواب عن
السوال الثاني وهو قوله امنتم به في سورة الاعراف وامنتم له في السورتين الاخيرتين
وهو ان الهاء في امنتم به غير الهاء في امنتم له وكل واحدة يعود اليها الاخرى فالذي امنتم به
رب العالمين لانه تعالى حكى عنهم قالوا امنا برب العالمين وهو الذي اليه موسى واما الهاء في امنتم له

واضماره في ما بعد اهاان
ذكر العايد الى فرعون بعدي في
سورة الاعراف صح

فلموسى عليه السلام والدليل على ذلك انها صارت في سورتين وبعدها في كل واحد منهما
انه لكبيركم الذي علمكم السحر فالهاء في انه هي التي في آمنتم له فلا خلاف ان هذه لموسى والذي جاء به
عند قوله آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة اي الظاهر كما اظهرتم من الايمان
برب العالمين ووقع على تواطؤ منكم اخفيتموه لتستولوا على البلاد والعباد ويجوز ان
تكون الهاء في آمنتم به ضمير موسى لانه يقال آمن بالرسول اي اظهرتم تصديقه واقدمتم على
خلافي قبل ان اذنت لكم فيه ان هذا لمكر مكرتموه وسر سررتموه لتضلوا الناس فاقتضى
هذا الموضع الذي ذكر فيه المكر ان كان الايمان به فاما الايمان له في الموضعين الاخريين
فاللام تفيد الايمان من اجله ومن اجل ما اتى به من الايات وكانه قال آمنتم برب العالمين
لاجل ما ظهر لكم على يدي موسى من آياته وفي الموضع الذي ذكر فيه من اجله عبر عنه باللام
وهو الموضع الذي قصد فيه الى الاخبار بان كبيركم الذي علمكم السحر فلذلك خص باللام والاول
خص بالباء وتقدير اللام على الاتباع فيكون اتبعتموه لانه كبيركم في علم السحر وقد نومن
بالخبر من لا نعمل عليه ولا نتبع الداعي اليه الاية الخامسة والعشرون من سورة الاعراف قوله
فسوف تعلمون ثم قال في سورة طه انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون للسائل ان يسال
فيقول قال في سورة الاعراف فسوف تعلمون ولم يقل في سورة طه وانما ادخل الفاء على
قوله فلاقطعن واما في سورة الشعراء فانه اتى سوف تعلمون مع اللام فقال فلسوف
تعلمون فما وجه اختلاف هذه واختصاص بعض بمكان غيره والجواب ان يقال ان قوله
فسوف تعلمون من الوعيد المبهم المعترض به اي فعلت بجهل ما يعرف من بعد نتيجته وطرحت
قدرت عنه قصده بعلم نهايته وهذا النوع من الوعيد ابلغ في الافصاح على انه قد
قرن اليه بيانه وهو لاقطعن ايديكم الاية فنطق القران بحكاية التعريض بالوعيد والافصاح
بالتهديد معا واما اختصاص سورة الشعراء بقوله فلسوف في زيادة اللام فلتقريب ما خوفهم به
اصلا لهم عليهم وقربه منهم حتى كانه في الحال موجودا واللام للحال فالجمع بينهما وبين سوف التي

للاستقبال

الفعل

للاستقبال انما هو للتحقيق وادنائه كما قال تعالى ان ربكم ليحكم بينهم يوم القيمة فجمع بين اللام
وبين يوم القيمة كما جمع بينهما وبين سوف على ما قاله تعالى وما امر الساعة الا كلمح
البصر او هو اقرب وقد بينا ان سورة الشعراء اكثر اقتصاصا لاحوال موسى عليه السلام
في بعثته وابتداء امره وانتهاء حاله مع عدوه فجمعت لفظ الوعيد المبهم مع اللفظ
المقرب له المحقق وقوعه الى اللفظ المصرح بمعناه ثم رفع الاقتصار في سورة التي لم يقصد
فيها من اقتصاص الحال ما قصد في سورة الشعراء على ذكر بعض ما في موضع البسط
والشرح وهو التعريض بالوعيد مع الافصاح به واما في سورة طه فانه اقتصر فيها
على التصريح بما وعدهم به ونزل فسوف تعلمون وقال فلاقطعن ايديكم الا انه
جاء بدل هذه الكلمة بما يعادلها ويقارب ما جاء في سورة الشعراء التي مثلها
واقتصاص احواله من ابتدائها والى حين انتهائها وهو قوله بعد ولاصلبنكم
في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى فاللام والنون في لتعلمن
للقسم وهما لتحقيق الفعل وتوكيده كما ان اللام في قوله فلسوف تعلمون لادناء
الفعل وتقريبه فقد تجاوزا في السورتين المقصود فيهما الى اقتصاص الحالين
من اعلاء الحق وازهاق الباطل الاية السادسة والعشرون من سورة الاعراف
قوله تعالى ثم لاصلبنكم اجمعين وقال في سورتي طه والشعراء ولاصلبنكم بالواو
للسائل ان يسال عن اختصاص ما في الاعراف بثم والاخريين بالواو والجواب
ان يقال ان السورتين اللتين جاز الواو فيهما في هذا اللفظ منهما هما
المبنيتان على الاقتصاص الاكثر والبسط الاوسع والواو اشبه بهذا المعنى
لانها يجوز ان يكون ما بعدها ملاصقا لما قبلها كالتعقيب الذي يفاد بالفاء
ويجوز ان يكون متراخيا عنه كالمهلة التي تفاد بثم لا بل يجوز ان يكون ما بعدها
مقدما على ما قبلها ومجامعا لها اذ هي موضوعة للجمع ولا ترتيب فيها وكانت الواو

اشبه بهذين المكانين ولم تختص باحد المواضع التي يصلح الواو لجميعها فلما كانت
مقتصرا بها على بعض ما وضعت له الواو واستعملت حيث اختصرت الحال فاقترن
بكل ما كان اليق بالمقصود فيه فلذلك خصت ثم سورة الاعراف بها والواو في السورتين
الاخيرتين والله اعلم الاية السابعة والعشرون من سورة الاعراف قوله تعالى قالوا انا
الى ربنا منقلبون وقال في سورة الشعراء قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون على ما ذكر في
الاعراف واختصاص تلك بها دون هذه والجواب ان يقال انهم قابلوا وعيده بما يهونه
ويزيل المه من انتقالهم الى ثواب ربهم مع التحقق من منقلب نجا في سورة الشعراء
وهي التي قصد بها الاقتصاص الاكثر لا ضير اي لا ضرر علينا فان منقلبنا الى جزاء ربنا ينعم
ابدا او يعذب ابدا فالضرر الذي تحاول انزاله بنا يكون بك نازلا او عليك مقيما ونحن نالم
ساعة لا يعتد بها مع دوام النعيم بعدها وكانه لم يلحقنا ضرر وفي سورة الاعراف وقع
الاقتصار على قوله انا الى ربنا منقلبون وفيه كفاية وابانة عن هذا المعنى ودلالة بناء
على ما فصل في يس وشرح في سواها الاية الثامنة والعشرون من سورة الاعراف
قوله تعالى قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا
الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وقال في سورة يونس ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله الاية للسائل ان يسأل
عن الايتين في تقديم النفع على الضر في الاولى وتاخيره عنه في المؤخر والجواب
ان يقال ان الاولى بعد قوله يسئلونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها
عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو وبعده قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فكان معنى قوله لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا املك تعجيل ثواب ولا عقاب
الا ما ملكنيه الله فلا املك الا ما ملكت ولا اعلم الا ما علمت والذين يسئلون منه اخفى
الغيوب وانا لا اعلم منها ما هو اقرب الى رجم الظنون وكيف تختص به علام الغيوب

فصلها على ... ما فصل في يس صح

ولو علمت

ولو علمت الغيب لاستكثرت من الحسنة المخصبة ما يدفع كل الحوبة وقيل لاستكثرت من
العمل الصالح الذي تحقق انه ارفع الاعمال عند الله درجة لان من علم الغيب
وعرف الافضل عند الله لم يتركه الا الى ما هو دونه وقوله وما مسني السوء اي ما بي جنون كما زعم
المشركون وقيل الفقر لاستكثرت من الخير الذي يتبارك به الفقراء عند شدة الزمان واما
الاية التي في سورة يونس فانها كان فيما تستعجله الكفار من عذاب الله وقبلها واما
نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون اي نرينك
بعض ما نعد به هؤلاء الكفار من العذاب في عاجل الدنيا حتى تراه نازلا بهم
في حياتك او اخرنا ذلك عنهم بعدك اي بعد وفاتك فان ذلك لا يفوتهم لان مرجعهم الى
حيث يجازي فيه العباد ولا يملك بعضهم امر بعض ويقول الكفار متى هذا الوعد
قل لا املك ما وعدكم من هذا العذاب ولا ادفع عنكم سوء العقاب كما لا املك لنفسي ضرا
ولا نفعا الا ما شاء الله ان يملكنيه منهما فتقديم الضر على النفع في هذه الاية لنحوها
على ذكر العذاب الذي قال فيه بعدها اثم اذا ما وقع امنتم به الان وقد كنتم به
تستعجلون ثم ان اللفظة التي تزاوج لفظة الضر على لفظة النفع ومعناه في انه لا
يملك الا ما ملكه الله منه عبارة واحدة فلذلك اتبع ذكره الاية التاسعة والعشرون من
سورة الاعراف قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو
السميع العليم للسائل ان يسأل فيقول لاي معنى جاء في الاية من سورة الاعراف سميع
عليم وقال في سورة حم السجدة واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه
هو السميع العليم على لفظ النكرة وفي سورة حم السجدة معرفتين بالالف واللام
مؤكدين والجواب ان يقال ان الاول وقع في فاصلة ما قبلها من الفواصل افعال جاء
معها او اسماء ماخوذة من الافعال نحو قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون وبعده يخلقون
ويبصرون وينصرون والجاهلين فاخرجت هذه الفاصلة باقرب الفاظ الاسماء

على لفظ النكرة

هو صح

وقال في سورة حم السجدة واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم صح

الفعل اعني صح

المؤدية معنى النكرة وكان معنى استعذ بالله انه سميع استعاذتك ويعلم استجارتك
والتي في سورة حم قبلها فواصل سلك بها طريق الاسماء وهي قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا الاية وقوله
ولي حميم ليس من الاسماء التي يراد بها الافعال وكذلك انه لذو حظ عظيم ذو الحظ يعني
فعل فاخرج سميع عليم بعد الفواصل التي هي على سنن الاسماء على لفظ يبعد عن اللفظ
الذي يؤدي معنى الفعل فكانه قال انه هو الذي لا تخفى عليه مسموع ولا معلوم فليس القصد
الاخبار عن الفعل كما كان في الاولى كانه يسمع الدعاء ويعلم الاخلاص فهذا فرق فيما
بين المكانين انقضت سورة الاعراف عن تسعة وعشرين آية

السجدة صح

ليس صح

سورة الانفال

قد مر في سورة البقرة وآل عمران من الآيات التي تشبه الآيات من هذه السورة
وهذه الآية التي نذكرها قد سبقت نظيرتها في سورة الاعراف وقد ذكرنا ما في هذا المكان
وكررناه هنا حتى لا تخلو هذه السورة من تخصيصها بما خصصنا به امثالها الآية الاولى
من سورة الانفال قوله عز وجل فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وقال في سورة
الاعراف قبلها فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون للسائل ان يسأل فيقول ان الخبر
في الموضعين عن الكفار فما بال احدهما اختص بقوله بما كنتم تكفرون والآخر بما تكسبون
والجواب ان يقال ان الآية التي في سورة الاعراف خبر عن قوم ذكروا قبل هذه الآية في قوله فمن
اظلم ممن افترى على الله كذبا الى قوله من دون الله والمعنى في قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب
اي حظهم من العذاب المكتوب عليهم بقدر ما اكتسبوه من سيئات الاعمال حتى اذا جاءتهم
رسلنا يتوفونهم اي يستوفونهم من بين غيرهم ليسوقوهم الى النار الى قوله لكل ضعف
ولكن لا تعلمون واخبر ان اخراهم يسأل الله ان يضعف العذاب على اولاهم لانهم ضلوا
واضلوا فاستحقوا العذاب على قدر الاكتساب فلذلك طلبوا ان يكون عذابهم ضعف

كنتم صح

عذابها

٦٠

هولاء صح

عذاب لانهم فيما كسبوا ضلالهم في انفسهم فيما اكتسبوا من ضلال غيرهم وقالت اولاهم لاخراهم
فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون فهذا موضع يقتضي ذكر الاكتساب
وما يجب على قدره من العقاب واما قوله في هذه السورة فهي في ذكر الكفار الذين قال الله
تعالى فيهم وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية اي صفيرا وتصفيقا لم يكن
صلاتهم تسبيحا وتمجيدا وخضوعا لله تعالى كما يفعل المؤمنون فيقال لهم في الآخرة ذوقوا
العذاب بكفركم ولم يتقدم هذه الآية ما يوجب قدرا من العذاب حتى يقولوا ذوقوا
العذاب بقدر كسبكم له كما كان في الآية الاولى وانما ذكر كفرهم حيث قال وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم الا يعذبهم الله الى قوله وهم
يصدون عن المسجد الحرام وذلك كله في كفار قريش فلذلك جاء فيه فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون دون بما كنتم تكسبون الآية الثانية من سورة الانفال قوله تعالى ان الذين
آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله الى قوله اولياء بعض وقال في سورة براءة الذين
آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله للسائل ان
يسأل فيقول ما الذي تقدم له في الآية الاولى ذكر اموالهم انفسهم على قوله في سبيل الله ثم
ما له قدم ذكر في سبيل الله في سورة براءة على ذكر اموالهم وانفسهم والجواب ان يقال ان
الآية في سورة الانفال عقيب ما انكره الله تعالى على من قال لهم تريدون عرض الدنيا
والله يريد الآخرة وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما اسروا المشركين ولم يقتلوهم
طمعا في الفداء فقال لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم اي فيما اخذتم
من فدائهم فعقب ذلك هذه الآية التي مدح فيها من انفق امواله في سبيل الله لا من يجاهد
طلبا للنفع العاجل فقال الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم على قوله
في سبيل الله لتعلموا ان ذلك بخلاف ما يكون اهم لهم واولى بتقديمه عندهم صرفا عما
حرصوا عليه من فائدة الفداء ولم تكن كذلك الآية التي في سورة براءة لانها بعد ما يوجب

هولاء الاسارى ممن قال لهم ان يغفر لهم ما كان منهم من ترك القتل اي الاسر قال فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا اي انتفعوا بما نلتم من اموال المشركين وبما اخذتم من الفداء صح

تقديم قوله في سبيل الله على ذكر المال لانه قال تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم ثم قال في ابطال ما اتاه المشركين من عمارة المسجد الحرام وسقاية
الحاج مع المقام على الكفر اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله
واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله فكان المندوب اليه في هذه الآية بعد الايمان بالله
الجهاد في سبيل الله قال بعدهما وكان ما تلقى بالطاعة امر الذين آمنوا وجاهدوا
في سبيل الله ثم ذكر اموالهم وانفسهم لما قدم ذكر ما يقتضي الموضع تقديمه وان يجعلها
هم اليهم من غيره فخالف هذا المكان قوله في سورة الانفال فقدم فيها ما اخر هاهنا لذلك
فاعلم وبالله التوفيق • انقضت سورة الانفال عن آيتين ومسئلتين **سورة براءة**
الآية الاولى من سورة براءة قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين بعد قوله اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون
عند الله وقال بعد والله لا يهدي القوم الفاسقين بعد قوله قل ان كان اباؤكم وابناؤكم
واخوانكم الآية وقال في هذه السورة والله لا يهدي القوم الكافرين موصولا بقوله انما
النسيء زيادة في الكفر الآية للسائل ان يسأل عن تخصيص بعض هذه المواضع بالظالمين
وبعضها بالفاسقين وبعضها بالكافرين وفعل ذلك لمعنى تخصصه والجواب ان يقال
ان الظالمين في الآية الاولى المراد بهم مشركوا العرب الذين قاموا بسقاية الحاج
وانفقوا على المسجد الحرام رجاء الثواب مع المقام على الكفر والعصيان فهم لانفسهم
بالكفر ظالمون ويعلمهم الذين يؤملون الانتفاع به مع مصاحبة الكفر واضعون
الشيء غير موضعه فلما فعل هؤلاء المشركون ذلك وكل مشرك ظالم وكل من وضع شيئا
في غير موضعه يكون ظالما وانما يكون غير ظالم اذا انفق في حال الاسلام على المسلمين الحاج
دون الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاء وتصدية عبر عنهم بالظالمين لانطواء
هذه الصفة على الكفر وعلى المعنى الزائد بتضييع المال في حال الشرك والمعنى لا تهديهم

الى نيل

الى نيل الثواب الذي له ينفقون وبسببه يعمرون البيت ولا يدالهم على ثمرة ما يأملون واما الموضع
الثاني وهو والله لا يهدي القوم الفاسقين فانه جدير لمن قال فيهم من المسلمين قل ان كان
آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن
ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فليتربص نازل عقاب الله وانه
يفعل ذلك من جملة الفاسقين وان حكمه حكمهم ولا يهديهم الى ما اعده للمؤمنين من الثواب
لتعرضهم لمخالفة امر الله العقاب وكان ذكر الفاسقين اليق بهذا المكان واما الموضع
الثالث فهو والله لا يهدي القوم الكافرين فانه بعد قوله في وصف الكفار انما النسيء
زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما وهو ما كان بعض العرب
يأتيه من تحليل بعض الاشهر الحرم وتحريم بدله من الشهر الذي ليس بمحرم ليبقى على الاربعة
فيكون في ذلك تحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه فاخبر الله ان ذلك زيادة في كفرهم ثم عقبه
بوصفهم والله لا يهديهم فكان احق الاوصاف بهذا المكان لفظة الكافرين لتقدم ما
هذا المعنى والذكر المتقدم في مكانين من الآية الثانية من سورة براءة قوله عز
وجل يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون
وقال في الثانية في الصف ليطفئوا نور الله فما الذي اوجب الاختصاص الاولى بما خصت
به الثانية باللام دون ان يكون مثل الاولى بان وهي الاصل في تعدي الارادة والجواب
ان يقال ان الارادة في الاولى تعلقت باطفاء نور الله بافواههم واطفاء نور الله انما هو ما
حاولوه من دفع الحق بالباطل والحق سمي نورا لان حججه وبراهينه تضيء لطالبه فيهتدي بها اليه
والباطل هو قولهم بافواههم وهو ما اخبر الله به قبل عن اليهود والنصارى فقال وقالت
اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم اي هو قول لا حقيقة له ولا
محصول وبمثله لا يدفع الحق وبالافواه لا يطفأ هذا النور كما يطفأ السراج لان النور ان
اشبه في ان يهدي ويميز الحق من الباطل فهو بخلافه في الامتناع من الاطفاء كما تهيأ

وازواجكم صح

فيعرفهم ان من آثر مراعاة هذه الاسباب الذي عددها على طاعة الله وجهاده الجهاد في سبيله صح

اليهم صح

النصارى صح

ذلك في السراج والنور فيجوز ان يكون الاية المتلوة والحجة الساطعة ويجوز ان يكون المراد
به القران ويجوز ان يكون المراد النبي صلى الله عليه وسلم كما قال انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فالسراج المنير يسمى نورا ولكل واحد
من الثلثة اذا دافعوه جاز ان يقال حاولوا اطفاءه والخبر عن اليهود والنصارى الذي
قال الله تعالى ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل اي يشاكلون بابنائهم
لله ابنا ونزيكا قول من اثبت مع الله الهة وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا
هو سبحانه عما يشركون فهذا اوضح وتعدية الارادة الى هذا المراد ظاهر وهو وجه الكلام
والاصل واما الاية التي في صورة الصف لتعليق الارادة فيها بالاطفاء مع زيادة اللام
فان للنحويين في ذلك مذهبين احدهما ان اللام توضع موضع ان لكثرة ما يقال زرتك
لتكرمني فاللام لما شهرت بنيابتها عن ان وقيامها مقامها في الموضع كان تعدي الفعل
اليها مع ما بعدها من الفعل كتعديته الى ان وما تنصبه من المستقبل فيقال قصدت ان افرح
وقصدت لتفرح وهذا لا يكون الا على سبيل التوسع دون الحقيقة فاما المذهب الاخر
فللمحققين وهو ان الفعل معدى الى مفعول محذوف واللام الداخلة على الفعل المنصوب
تكون مبنية عن العلة التي لها انشي الفعل والكلام في الاية على هذا التحقيق هو ان
المراد يريدون ان يكذبوا ليطفئوا نور الله بافواههم لان قبلها ومن اظلم ممن افترى
على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام فقوله يريدون لم يذكر مفعول ما يريدونه اعتمادا
على ما نبه عليه من قوله ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب ليطفئوا نور الله وعلى هذا
قوله ٥ اردت لكيما يعلم الناس انها ٥ سراويل عادي نمته ثمود ٥ اي اردت ان انزع
سراويلي ليعلم الناس اذا راوا طولها انها على عادي القامة ثمودي الخلقة فلهذا اختصت
الاية الثانية بدخول اللام على ليطفئوا ولما كان المراد في الاية الاولى الاطفاء بالافواه
لما دل عليه مقدم الخبر وهو وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله

ذلك

٢ الله

ذلك قولهم بافواههم كانت الارادة معداة الى اطفاء نور الله بافواههم وهو ما حكى
عنهم ان قولهم بافواههم اي يريدون ان يدفعوا الحق بالباطل من افواههم وهذا اوضح
الاية الثالثة من سورة براءة قوله تعالى وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا
بالله وبرسوله الاية وقال في موضعين اخرين من هذه السورة ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله
والله لا يهدي القوم الفاسقين وبعده ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون للسائل ان يسال عن الفرق بين هذه الاماكن حتى اعيد في الاول حرف الجر
مع المعطوف ولم يعد في المكانين الاخيرين الجواب ان يقال ان المكان الاول فيه
ايجاب بعد نفي فصار الخبر اوكد والى امارة التوكيد احوج الا ترى ان قولك ما زيد الا قائم اوكد من قولك زيد قائم فلما كان كذلك احتاج المعطوف على قوله بالله الى توكيد لم يحتج اليه في
قوله ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اذ ليس واحد من الموضعين الاخرين متضمنا ايجابا بعد
نفي كما تضمنه قوله وما منعهم ان يقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله ورسوله
فاعرفه ان شاء الله الاية الرابعة من سورة براءة قوله تعالى ولا ينفقون الا
وهم كارهون فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في
الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وقال بعدها ولا تصل على احد منهم
مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك
اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم
كافرون للسائل ان يسال في الايتين عن اربعة مسائل اولها قوله فلا تعجبك بالفاء في الاية
الاولى وقوله ولا تعجبك بالواو في الاية الثانية والمسئلة الثانية ان تكرر لا في قوله ولا
اولادهم والثالثة في قوله انما يريد الله ليعذبهم باللام وقال في الاية الاخرى انما يريد
الله ان يعذبهم والمسئلة الرابعة قوله في الحيوة الدنيا في الاولى وفي الاخرة من غير ذكر
الحيوة الموصوفة بها والجواب عن المسئلة الاولى في الفاء والواو ومجي الاية الاولى

وكذلك ما زيد الا قائم اوكد من قولك زيد فاضل صح

قبل م

على قوله فلا تعجبك والأخرى على ولا تعجبك هو ان الفاء قوله تعالى ولا يأتون الصلوة الا وهم
كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون فأخبر عن المنافقين بما يقصدونه بافعالهم التي
يوقعونها في حالهم واستقبالهم على معنى ان يكسلوا عن الصلوة ويكرهوا الصدقات
فان الله يجازيهم بما يسرهم من اموالهم واولادهم قبل ان يجعل ذلك عذابا لهم مدة بقائهم
بما ينالهم من النقص في الاموال بما اباح منه للمسلمين بالقتال لما يصيبهم في الاولاد من
السبا والاستعباد ثم عند الفراق يكون الالم على قدر محبة الاحباب وهذا سوى سوء الا
نقلاب بما اعد لهم من العذاب ليوم المآب فلما كان الفعل الذي قبل الفاء معنى للشرط صار
ما بعدها في موضع الجزاء فحسنت الفاء لذلك واما الاية التي دخلتها الواو فان قبلها افعالا
ماضية كقوله انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون وهذه الافعال الماضية واقتطاعها
لا تكون شرطا فتعقب بالفاء التي تدل على الجزاء فقطعت الاية احدها على ما قبلها بالواو
لبطلان المعنى الذي يقتضي الفاء الا ترى انه قال وماتوا وهم فاسقون ولا يشترط على
من مات فيعقب بذكر الجزاء فلذلك اختلفا في الواو والفاء والجواب عن المسئلة الثانية (قدم)
وهي تكرير قوله اولادهم بلا في قوله ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم هو ان الذي اتى من
معنى الشرط في الفعل الاول فهو لا يأتون الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون
بني على اوكد ما يبنى عليه الاخبار من الايجاب بعد النفي فلما علقت الجملة الثانية تعليق
الجزاء بالشرط واقتضت من التوكيد ما قصد مثله في الاول فكان ذلك ان اكد معنى النهي بتكرير
لا في قوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم واما الاية الثانية فهي مخالفة للاولى في هذا المعنى
لانه لا شرط ينطوي عليه الفعل الذي قبلها كما انطوى الفعل الذي قبل الفاء ولم يتضمن ايضا
من التوكيد المقتضي بناء ما يتعلق به على تحقق من الداعي الى التوكيد فلم يكرر فيه لا لذلك والجواب
عن المسئلة الثالثة وهو وصل الارادة باللام في الاول حيث قال ليعذبهم ووصلها بان في
الثانية حيث هو ان الاولى معناها انما يريد الله ان يزيد في تنعمهم بالاموال والاولاد

ليعذبهم

ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا فمفعول الارادة محذوف واللام لام الصيرورة والاية الآخرة
مخالفة للاولى في ذلك لانها في الاخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا على النفاق فلم يضمن الارادة
مفعولا وهو ان يزيد في نعماتهم لانقطاع الزيادة بالموت عنهم فعديت الارادة الى ما
آل اليه حالهم من تعذيبهم به في الدنيا ففرق بين الخبرين اذا كان احدهما خبرا من قوم معرضين
لزيادة انعام الله عليهم اخبارا عما انقطعت اعمالهم وبلغت نعمة الله عليهم والآخر عما
انقطعت اعمالهم وبلغت نعمة الله غاية لا مزيد فيها لهم فالله يريد تعذيبهم به في الدنيا لتعذيبهم (عليهم)
بذلك بعد كفرهم ومقامهم على نفاقهم والجواب عن المسئلة الرابعة وهي قوله في الاولى في الحيوة (كتعذيبهم بتكرر صح)
الدنيا فجعل الدنيا صفة للحياة وقوله في الآخرة في الدنيا فاغنى بذكر الصفة عن ذكر الموصوف
وهو ان الثانية لما كانت بعد الاولى وقد نبه فيها على الموصوف كان في ذكره كفاية هناك غني عن
ذكره في هذا المكان لا سيما والدنيا كاسم علم على الحيوة الاولى والدار الدنيا فاغنى كل ذلك
عن ذكر الحيوة والاتيان بالموصوف وهذه حال الصفة الاية الخامسة منها استاذنك اولوا (قوله تعالى صح)
الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم
لا يفقهون وقال بعدها في العشر التي تلي هذه العشر انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم
اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون للسائل ان يسال
ههنا عن المسئلتين احدهما قوله في الاول طبع بفعل لم يسم فاعله وفي الثاني على فاعله قوله
وطبع الله على قلوبهم والمسئلة الثانية قوله في الاولى فهم لا يفقهون وفي الاخرى فهم لا يعلمون
والجواب عن المسئلة الاولى ان قوله طبع في اخواته افتتحت بقوله واذا انزلت سورة والمعنى واذا
انزل الله سورة فلما صدرت الاية في فعل علم ان فاعله الله تعالى بينا لا يقتضي ذكر الفاعل بل
يقام المفعول مقامه كان مثل هذا الفعل في منتهى الاية محمولا عليه لانه معلوم وان الله تبارك وتعالى
يطبع كما علم ان الله منزل السورة فكان التوفقة في ذلك بين آخر الاية واولها الاختيار والاية
الاخرى وقعت هذه اللفظة منها في موضع انتباه وتاكيدا لا تراها في قوله انما السبيل على الذين

يستأذنونك وهم اغنياء فجاءت انما بعد نفي بتكرير في قوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى
ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه فنفي الحرج عمن قعد عن
الجهاد لاحدى المقادير التي ذكرها ثم الزم الحرج القوم الذين حالهم مضادة لاحوال اولئك
فقال انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف اي الاثم
يتوجه على من يستاذن في المقام وهو قادر على الجهاد بالغنى واليسار وصحة الابدان رضوا بان
يكونوا مع النساء والزمنى والضعفاء والله طبع على قلوبهم فهم لا يعلمون فلما كان هذا الموضع
موضعا تبين فيه مضادة حالهم لاحوال غيرهم ليخالفوا بين افعالهم وافعال من فرح بالقعود
لهم كان موضع تنبيه وتاكيد وتخويف وتحذير وسمى الفاعل وهو الله عز وجل ليليق هذا الفعل
اذا جاء هذا المجي لمكانه والجواب عن المسئلة الثانية هو ان الذين ذكروا بالطول وهو
الفضل في النفس والمال والقدرة على الجهاد انما مالوا الى الدعة واخلدوا الى الراحة
واشفقوا من الحر ولم يفطنوا ان الراحة في حمل التعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان الدعة توجد بتحمل المشقة معه فطلبوا ما كان مطلوبهم ضده لو فقهوا وفطنوا
فكان هنا موضع يفقهون واما الاية الاخرى وهي انما السبيل على الذين يستاذنونك
وهم اغنياء اي العقاب متوجه الى هؤلاء وهم لا يعلمون مما اعد الله لكل ذي حق عمله
ما يعلم المؤمنون الذين يستحبون الخروج والذين يفيض مدامعهم اذا لم يغنهم
بالمركوب فلما كان بازائهم في الايتين الكتين قبل ذكر من تحقق بالدين وعلم الثواب والعقاب — الايتين صح
علم اليقين فلما كان بازائهم في الايتين قبل ذكر وخالفهم هؤلاء نفى عنهم ما اثبته لاولاهم
وهو العلم فلذلك جاء في هذا المكان فهم لا يعلمون الاية السادسة منها قوله تعالى قل
لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة وقال بعده وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

ويستردون

ويستردون الى عالم الغيب والشهادة للسائل ان يسأل عن شيئين في هذا المكان
احدهما ذكر المؤمنين في الاية الاخيرة وتركه في الاولى والسؤال الثاني قوله في الاية
الاولى ثم تردون وفي الثانية وستردون وهل لاختلافهما معنى يوجبه يختص
بالمكان الذي يختصه والجواب عن الاول ان يقال ان المخاطبين في الاية الاولى وهم
المنافقون والمخاطبون في الاية الثانية هم المؤمنون لانه قال في الاولى يعتذرون
اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم والثانية خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وبعده الم تعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده — التوبة صح
ويأخذ الصدقات ثم قال وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله بعد قوله اذا اختلف المخاطبون
بما بينا من الايتين كان قوله وسيرى الله عملكم ورسوله بعد قوله قد نبأنا الله من اخباركم
معناه ان الله قد اخبرنا باخباركم التي تخفونها في انفسكم وتجاهدون بها من كان من
المنافقين مثلكم والله يرى ما سيكون منكم بعد ويرى رسول الله باطلاع الله له
على اعمالهم التي لاجلها يحكم عليهم بالنفاق ويطلع عليها رسوله عليكم وما كل مؤمن
يعلمها فلذلك لم يقل في هذا المكان والمؤمنون بعد قوله وسيرى الله عملكم ورسوله واما
الاية الثانية فيمن امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهم الذين اوجب الله عليهم الصدقات
فان الله ورسوله والمؤمنين يرون ذلك في هذه الاعمال بما يرى بالعين خلاف اعمال
المنافقين التي يقتضي لهم النفاق لاضمارهم خلاف اظهارهم وهو مما لا يرى بالعين
وانما يعلمه عالم الغيب والشهادة فلذلك لم يذكر المؤمنين في الاول وذكر في الثانية والجواب
عن المسئلة الثانية ان معنى قوله للمنافقين قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم
ورسوله اي سيعلم الله حقيقة عملكم وانه غير عن صحة اعتقاد منكم وان اعتذاركم
قول بلسانكم لا بطانكم منطوي ضميركم وهذا ظاهر يكون الجزاء عليه خلافه فيفصل بينه
وبين ردهم الى الله تعالى الجزاء عليه فقوله ثم اي عملكم يعلم الله من باطنه خلاف ظاهره
وقد امر بالرضاء به وحقن دمائكم ثم ان الحكم اذا رددتم الى الله تعالى في الاخرة بخلافه

فليعد ما بين الظاهر من عملهم وما يجاوزون به دخلت ثمة وليست كذلك الاية الاخرة
لان فيها بعثا على عمل الخير كقوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وهو
وعد والاول وعيد وبعده وستردون لانه وعد بما يثيبهم على افعالهم ويطابق
اعمالهم من حسن الثواب وجميل الجزاء ولم يبعد كبعد جزاء المنافقين عما هو ظاهر من
اعمالهم التي يراءون بها ويعلم الله تعالى خلافه فيها فجرى الكلام على نسق واحد فقال
فسيرى وستردون ولما يدخل ثم التي هي للتراخي والتباعد فاختصاص كل موضع بما
اختص به من اللفظ لما ذكرناه الاية السابعة منها قوله تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم
ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون
من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال بعده ولا ينفقون
نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا
يعملون للسائل ان يسأل في ذلك عن مسألتين احداهما قوله في الاولى الا كتب لهم به
عمل صالح وقوله في الثانية الا كتب لهم فحسب ولم يذكر عمل صالح كما ذكر في الاولى والمسألة
الثانية تعقيب الاولى بقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين وتعقيب الثانية بقوله ليجزيهم الله
احسن ما كانوا يعملون ووجه الاختلاف في الايتين الجواب عن المسألة الاولى هو
ان في جملة ما ذكره الله تعالى بما اوجب لهم الاجر اشياء ليست من اعمالهم لان الظمأ
ليس هو فعل الانسان والنصب والمخمصة كذلك فلما تضمن ما نسق بعضه على بعض ما ليس
بعمل لهم وما هو عمل لهم كقوله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو
نيلا الحق اجر ما ليس بعمل بما هو عمل لهم فقال الا كتب لهم به عمل صالح اي اجر عمل
صالح وما ذكر في الثانية كله من اعمالهم وهو قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة
ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب اي لا يخرجون ما دق او جل ولا يقطعون في سيرهم
الى اعدائهم واديا الا كان ذلك محفوظا لهم معلوما مكتوبا او كالمكتوب عند الله ليجزيهم عليه
احسن الجزاء فلما كان ما في الثاني عملهم كتب على جهته ولم يحتج الى ان يكتب به عملهم

عمل صالح

ثم صح

من اموالهم

عمل صالح به لانه هو والاول كان منه ما ليس بعملهم فكتب اجر مثل عملهم فلذلك
كانت الزيادة في الاول ولم يحتج اليها الاخرى والجواب عن المسألة الثانية وهي
تعقيب الاول بقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين هو ان من اخبر عنه بانه اصابه ظمأ
ونصب وجوع فقد اخبر عنه بفعل الا انه يجب له بما وصل اليه من الم العطش والجوع
والتعب والنصب الاجر فلذلك عقبه بقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين اي من احسن طاعة
الله ويعرض منها لما يلحقه فيه هذه الشدائد واما الثانية وتعقيبها بقوله ليجزيهم الله احسن ما
كانوا يعملون فلان جميع ما ذكر كان عملا لهم فوعدهم حسن الجزاء على عملهم وذلك ظاهر
والله اعلم ۝ انقضت براءة عن سبع آيات وثلث عشرة مسألة ۝ سورة
يونس عليه السلام الاية الاولى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
وقال في سورة الفرقان ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم للسائل ان
يسأل عن تقديم يضرهم على ينفعهم في الاولى وتقديم ينفعهم على يضرهم في الاية الثانية
وهل يصلح احدهما مكان الاخر الجواب ان يقال انما قدم يضرهم على ينفعهم في الاية
الاولى لان العبادة تقام للمعبود خوفا من العقاب اولا ثم رجاء للثواب ثانيا وقدم
في هذا المكان ما اوجب تقديم يضرهم على ينفعهم وهو قوله قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم كانه قال ويعبدون من دون الله ما لا يخافون ضرا في معصيته ولا يرجون نفعا
في عبادته فقدم ما يضرهم على ما لا ينفعهم في هذا المكان لهذا المعنى ولهذا اللفظ المتقدم
واما في سورة الفرقان فقد تقدم فيها آيات قدم فيها الافضل على الادون لقوله وهو الذي
مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وكقوله بعده وهو الذي خلق من
الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا وصلة النسب افضل من صلة المصاهرة
كما ان العذاب يرجونه لنفع ولا يجيبونه لضر فقدم الافضل على الادون لهذا المعنى
ولانها على ما تقدم من الايات فجاء في كل موضع على ما اقتضاه ما تقدمه وصح في المعنى ما اعتمد له

[illegible]

الآية الثانية منها قوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت
كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون وقال في سورة المؤمن وهمت كل امة
برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب
وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار للسائل ان يسال في هاتين
الآيتين عن ثلاث مسائل احداها دخول الواو على كذلك في سورة المؤمن وخلوها
منها في سورة يونس والثانية في الذين فسقوا وفي الثانية على الذين كفروا والثالثة
قوله في الاول انهم لا يؤمنون وفي الثانية انهم اصحاب النار وعن الوجه في اختلاف
ذلك والجواب عن المسئلة الاولى ان هذه التي قبلها فهي مرتبطة بها بعودها اليها وكاف
التشبيه فاستغنت بهذين الرباطين عن حرف العطف فهو لا هؤلاء الذين حقت
عليهم كلمة الله انهم لا يؤمنون هم الذين خوطبوا بقوله قل من يرزقكم من السماء والارض
وليس كذلك ما في سورة المؤمن لانه وان تعلق به بكاف التشبيه فانه ينقطع عنه بان
المذكورين بعد كذلك غير المذكورين قبلها الا يرى قوله كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب
من بعدهم وهمت كل امة برسولهم خبرا عن الذين كانوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم
وما بعد قوله وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار انما هو وعيد من
في عصره عليه الصلوة والسلام فلما انقطع ما بعد كذلك هنا عما قبلها احتاج الى الواو وما في
سورة يونس لما لم ينقطع ما بعدها عما قبلها لم يحتج اليها الجواب عن اختصاصه بقوله على الذين
فسقوا في سورة يونس واختصاصها في سورة المؤمن بقوله على الذين كفروا ان الاولى
في ذكر قوم اخبر عنهم بقوله من يرزقكم من السماء والارض فاخذ اقرارهم بان الله هو الذي يرزقهم
من مطر السماء ونبات الارض وهو الذي يملك اسماعهم وابصارهم فان اجيب سمعوا
وابصروا وان لم يرد ذلك صموا وعموا وهو الذي يخرج الحي من الميت كالفرخ من البيضة
ويخرج الميت من الحي كالبيضة من الدجاجة وهو الذي يدبر صور الخلق من ابتداء

قوله
ترك الواو في هذا الموضع واثباتها في سورة المؤمن ان القصة بعد كذلك هي صح

حالهم

احوالهم الى انتهائها وكانوا كما اخبر عنهم بقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى فبا ينوا باثبات الصانع وما زعموه من معرفة الخالق من انظره
وجحده باياته بان عبدوا معه غيره ولم يسمعوا النبي صلى الله عليه وسلم وبنبوته للسفق
الذي هو الكفر لا ينفع معه بالاقرار فقال تعالى هؤلاء الذين اقروا بالصانع وصفات
فعله ثم خرجوا عما دخلوا فيه بانكار نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وبعبادة آلهة مع الله
كان ذلك فسقا لخروجهم عن حكم من يقر بما اقروا به والفسق فسقان احدهما هو الكفر
والتسمية لهذا الوجه الذي قلناه وهو كقوله تعالى واما الذين فسقوا فماواهم النار
والثاني فسق ليس بكفر كقوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون وليس
المراد به الكاذبين فاخبر عن هؤلاء بالذين فسقوا في سورة يونس لذلك واما في
سورة المؤمن فانه لم يتقدمه مثل ما تقدم هنا بل قال تعالى قبله ما يجادل في آيات
الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب
من بعدهم فاخبر عن الكفار الذين في عصره بانهم كفروا والمجادلتهم في آيات الله فشبههم
بالقوم الذين مضوا قبلهم حيث قال وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق ثم قال وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب
النار فلما اراد الذين قدم ذكرهم في اول القصة وهم الذين اخبر عنهم بقوله ما يجادل في
آيات الله الا الذين كفروا وكان ان يصفهم بما وصفهم به قبل ذلك من الكفر واوعد
على ان المعنيين يوجب النار انهم الذين تقدم ذكرهم والجواب عن المسئلة
الثالثة وهي قوله حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون فلانه تعالى
اراد ان يبين انهم وان اقروا بالله تعالى واثبتوه خالقا قادرا صانعا غير موصوف
وما داموا يعبدون غيره لا يؤمنون فالقصد الى الابطال ما بذلوه بالسنتهم من
الاقرار بخالقهم والقصد في الآية التي وعدهم على كفرهم بالنار اذ لم يتقدم ذكر اقرار
في سورة المؤمن الى م

فمشقوا ام

يشبه اقرار المؤمنين فيبطل بتركهم سائر ما اقر الله تعالى به الآية الثالثة منها
قوله عز وجل الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون
وقال بعده في العشر التي يلي هذه العشر الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع
الذين تدعون من دون الله شركاء وقال بعده في هذه العشر قالوا اتخذ الله ولداً
سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا للسائل ان يسأل
في ذلك عن مسائل احدها لماذا كان في الاية الاولى ما في السماوات وفي الثانية من في السموات
ومن في الارض وهل صلح ما في الاية الاولى في الثانية والمسئلة الثانية من في السموات
عما دعا الى تكرير من في السموات ومن في الارض ولم يكررها في الاية الاولى في قوله الا ان لله
ما في السماوات والارض ولم يقل وما في الارض الجواب عن المسئلة الاولى واختصاص
ما حيث اختصت واختصاص من حيث اختصت هو ان الاولى جاءت بعد قوله ولو ان
لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به فكانت المعنى ان النفس الظالمة لا تملك ما في الارض اذا
رأت عذاب الله لو ملكت جميع ما في الارض لبذلته فداء نفسه وهو تحرص على اليسير من حطامها
في اهلها وكرر على ذلك بقوله الا ان لله ما في السموات والارض اي النفس الظالمة لا تملك ما في الارض
فتفتدي به ولو ملكت ما قبل في فدائها وكيف يكون لها ذلك والله تعالى مالك ما في السموات والارض
وليس للعبد لا محالة هنالك فيوجب في هذا المكان ما القول ما في الارض والمراد نفايس ما في الارض
مما ملكه الله العباد واما الموضع الذي ذكر فيه من فلم يصح فيه غيرها لان قبله ولا يحزنك قولهم ان العزة — من في صح
لله جميعا هو السميع العليم الا ان لله من في السموات ومن في الارض والمعنى لا يحزنك ما يتوعدك به الكفار من
القتل وانواع المكروه فان القدرة لله تعالى [illegible] الكفار وقدرة على ما يريدونه منك بل يعطيك
العزة عليهم والغلبة لهم فانه يملك من في السموات ومن في الارض ولا قوة لهم الا به ولا قدرة لهم الا من
عنده فاقتضى هذا المكان من كما رأيت والجواب عن المسئلة الثانية والسبب في اعادة من
وترك اعادة ما في الاية الاولى فقال ومن في الارض وقال هنالك الا ان لله ما في السموات والارض ولم

يقل

يقل وما في الارض فهو لان المقصود بالذكر وانه قادر على انه يكفي النبي صلى الله عليه وسلم
امره ممن في الارض بين الكفار الذين بعث اليهم وخوفوه اذاهم فقرن الى ذكرهم
ذكر من في السموات وهم اكبر شأناً واعظم امراً فاذا ملكوا كان من دونهم ادون واذا
من مع ذكر الارض فلان ذكره قد تقدم وهو ولو ان لكل نفس ظلمت فلما قال الا ان
لله ما في السموات والارض كان في ذكر ما في الارض هناك رجوع هذا الى ذلك المعنى مثل
ذكره في هذا الموضع ما اغنى ذاك عن التكرير والجواب عن المسئلة الثالثة وهي تكرير
ما في قوله ما في السموات وما في الارض مع حذفها من الاية الاولى وهو ان قبله قالوا اتخذ الله
ولداً سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض فنزه نفسه عن الولد واخبر انه غني
عما يجتلب باتخاذه ويستفاد بمكانه اذ كان مالكاً لكل ما في السموات وما في الارض
فلما لا يتخذ الولد ولا يجوز عليه اجتلاب مسرة وانتفاع به لانه هو الغني بنفسه تعالى فاعاد
ما في هذا المكان لهذا الغرض من التوكيد اي هو غني لا يحتاج الى ولد يعينه على شيء في
السموات وهو مالكه كله ولا الى ان يعينه في شيء مما في الارض وهو مالك باسره فيما يؤكد
في مثل هذا المكان جاءت ما معادة لهذا الشأن والله اعلم الاية الرابعة منها قوله ع
وامرت ان اكون من المؤمنين وقال في سورة النمل في آخرها وامرت ان اكون من المسلمين
للسائل ان يسأل عن اختصاص هذا المكان بالمؤمنين واختصاص آخر سورة النمل
بالمسلمين والجواب ان قبل هذه الاية في سورة يونس قوله ثم ننجي رسلنا والذين
آمنوا كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين وقال بعده وامرت ان اكون منهم واما في سورة
النمل فان قبل هذه الاية وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا
فهم مسلمون فكانه قال امرت لان اكون ممن اذا سمع باية امر بها وكان من المسلمين
الذين مدحوا بان النبي صلى الله عليه وسلم يسمعهم اي ينتفعون بما يسمعونه منه فلما تقاربت
اللفظتان وكانتا تستعملان بمعنى واحد حملت كل واحدة منهما على اللفظ الذي

للتوكيد الذي اقتضاه القصد الى ذكرهم وانما حذف في الاية الاولى عند ذكر الارض صح

كل صح

فكان الموضع موضع تاكيد فكانه قال اذا كان مالكهم لكل ما في السموات ولكل ما في الارض صح

تقدمها ولا يماثلها الآية الخامسة منها قوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل وقال في آخر سورة النمل فمن
اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين للسائل ان يسأل
عن اختلاف الموضعين وقوله في الاول ومن ضل فانما يضل عليها وفي الثاني ومن
ضل فانما انا من المنذرين والجواب ان يقال اما الآية الاولى فانه لما قال
فيها فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه اي منفعة اهتدائه له وهي دوام النعمة
والخلود في الجنة واقتضى هذا في الضلال ضده فقال ومن ضل فانما ضرر ضلاله
عليه وهو دوام العقاب الاليم بأليم العذاب وما انا عليكم بوكيل وما يلزمني ان
اقيكم ما لا تقون انفسكم كالوكيل الذي يلزمه حفظ ما وكل به مما يضره واما الآية التي
في آخر سورة النمل فانها عدل بها عن ذكر الضلال عما حملت عليه الآية التي في آخر
سورة يونس لتحمل على الفواصل التي قبلها وهي مختومة بالواو والنون والياء فقال
ومن ضل فقل انما انا من المنذرين اي ممن يعلمكم ما يلزمكم ان تحذروه وتخوفكم ما يجب
عليكم ان تجتنبوه فاشتمل هذا على معنى ومن ضل فانما يضل عليها تخويفا وانذارا وفيه اذا
قال انما انا ممن ينذر اي لست ممن يكره على ما يحميكم من النار ويقيكم حر العقاب كالوكيل
الذي يحامي على ما وكل به ان يناله ضرر ينيل وما انا عليكم بوكيل فجاء على لفظ وما انا من
المنذرين ليكون اللفظ مشاكل الفواصل قبلها مع تأدية مثل المعنى الذي ادته
الآية التي شابهتها   انقضت سورة يونس عن خمس آيات وتسع مسائل
فذلك الى هذه الغاية مائة وآيتان تشتمل على مائة وتسع وثلثين مسئلة

سورة هود عليه الصلوة والسلام

الآية الاولى من سورة هود قوله تعالى لا جرم انهم في الآخرة
هم الاخسرون وقال في سورة النحل لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون للسائل ان يسأل
عما خص كل واحد من اللفظتين بمكانه دون الآخر فالجواب ان يقال ان التي في

سورة

سورة هود قد تقدمها قوله وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم
العذاب لانه خبر عن قوم اخبر عنهم بالفعل الذي استحقوا به مضاعفة العذاب في قوله
الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون فاذا اصدوا هم
عن الدين وصدوا وصدوا غيرهم عنه صدا استحقوا تضعيف العذاب لانهم ضلوا واضلوا
فهذا موجب للاخسرين دون الخاسرين من طريق المعنى وههنا ما نظامه من طريق
اللفظ وهو ان ما قبله من الفواصل ينصرون وضل عنهم ما كانوا يفترون فما قبل الواو والنون
متحركان لا يعتمدان على الف قبلهما والخاسرون ليس قبل نونه وواوه متحركان يستندان الى
مدة قبلهما واجتماع المعنى الذي ذكرنا والتوفقة بين الفواصل التي بينا اوجبا اختيار الاخسرين
في هذا الموضع على الخاسرين واما التي في سورة النحل فانها في آية لم تجر فيها عن الكفار بانهم مع
ضلالتهم اضلوا من سواهم وانما قال فيهم ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وان الله
لا يهدي القوم الكافرين فلم يذكر ما يوجب مضاعفة العذاب ثم كانت الفواصل التي حملت
هذه عليها على وزن الكافرين الغافلين فاقتضى هذان الشيئان ان يقال هم الخاسرون
كما الشيئان في الاول المخالفان للشيئين هنا ان يقال الاخسرون الآية الثانية منها قوله
تعالى في قصة نوح عليه السلام قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من
عنده فعميت عليكم وقال في قصة صالح في هذه السورة قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من
ربي وآتاني منه رحمة للسائل ان يسأل عن مخاطبة النبيين نوح وصالح عليهما الصلوة والسلام
قوميهما باللفظتين اللتين تساويا الا فيما اختلفا فيه من تقديم المفعول الثاني في الآية الاولى
على الجار والمجرور وتأخيره عنهما في الآية الثانية والجواب ان يقال ان المعنيين واحد في
الموضعين وقولاهما سواء للامتين وانما اختلفا باخبار الله في موضع خبرا قدم فيه المفعول
الثاني على الجار والمجرور لاجراء هذا الفعل ومفعوليه على ما جرى عليه الفعل الذي قبله وهو
ما نراك الا بشرا مثلنا فبشرا مفعول ثان من نراك ثم بعده بل نظنكم كاذبين فلما تقدمت

افعال ثلثة كل واحد منها يتعدى الى مفعولين والمفعول الثاني منهما لا تجرده عن الاول معمول
فيه كان اجراء هذا الفعل الذي هو وآتاني رحمة من عنده مجرى تلك الافعال التي توقعت
اتاني في جوابها وجارت من كلام نوح عليه السلام في مقابلتها اولى واما في قصة صالح فانه بازاء
قول قومه له يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا فوقع خبر كان الذي هو كالمفعول لكان
وقد تقدمه الجار والمجرور فجرى جواب صالح عليه السلام فيما صار عبارة عنه من القرينة مجرى
الابتداء في هذا الموضع فترجح في هذا المكان تقدم الجار والمجرور في قوله وآتاني منه رحمة على
المفعول الثاني على الجار والمجرور وكل جايز الآن كلامنا في الترجيح في الموضعين وفي هذا القدر
كفاية الآية الثالثة منها قوله تعالى في قصة هود وذكر قومه واتبعوا في هذه الدنيا لعنة
ويوم القيمة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود وقال في قصة موسى عليه السلام
في هذه السورة وارساله الى فرعون وملايه واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود
للسائل ان يسال عن حذف الدنيا من الآية الثانية واثباتها في الاولى وهل كان يجوز في الاختيار
عكس ذلك والجواب ان الاولى اتى فيها بالموصوف والصفة جميعا وهو الاصل الاول ثم الاكتفا
بالصفة عن الموصوف بعده لقيام الدلالة على الموصوف فيجوز لذلك حذفه واقامة الصفة
مقامه ولما جاءت الآيتان في سورة واحدة وقيت الاولى بما هو بها اولى من الاجرا على
الاصل والاتيان بالموصوف والوصف فقال هذه الدنيا واكتفى في الثانية لما
قامت الدلالة على الموصوف بالصفة وحدها فقال واتبعوا في هذه لعنة الآية
الرابعة من سورة هود قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام قالوا يا صالح قد كنت
فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب
وقال في سورة ابراهيم عليه السلام وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا
اليه مريب للسائل ان يسال فيقول لم قال في الاول واننا لفي شك على الاصل بنون [illegible]
وقال في الثانية وانا لفي شك على التخفيف بحذف احدى النونات وهي المتوسطة ثم جاء

بعده

بعده يدعوننا بنونين والجواب ان يقال اما تدعونا في الاولى وتدعوننا في الثانية فلا
يصح مكان احدهما غيرها ولا يجوز في الاولى الا نون واحدة ولا يجوز في الثانية الا نونين
اثنتين لان الاول خطاب لصالح والنون مع الالف ضمير المتكلم وتدعو فعل واحد ولا نون
فيه وليس كذلك تدعوننا في الثانية لانه خطاب للرسل وهم جماعة ولا يقال لهم في حال الجميع الا
تدعوننا في الرفع ولا تسقط النون الا لناصب او جازم نحو ان تدعونا فاما اذا وقعت خطابا
للجماعة لم يكن الا تدعوننا وهذا من مبادي هذا العلم واما اننا في الاولى وانا في الثانية
مع جواز اللفظتين في كل مكان فلان الضمير الذي دخلت عليه ان في هذا المكان هو على لفظ
الضمير المنصوب المتصل بالفعل لم يعتبر له آخره كما تغير اذا اتصل به ضمير المرفوع نحو ضربنا
سكون الباء لاتصال ضمير الفاعلين بها ولا تسكنها لاتصال ضمير المفعولين بها اذا قلت
ضربنا فلما اشبه المنصوب بان المنصوب في ضربنا ولم ينازعه شبه الفاعل سلم به
لفظان عند اتصالها به ولم يلحقه حذف ولما كانت انا في سورة ابراهيم عليه السلام
وان كانت منصوبة مشبهة للفظ الفاعل اذا قلت ضربنا لكونها على لفظها
ووقوعها موقع المرفوع المبتدا وبان هذا اللفظ المتقدم عليها في الآية التي وهو
كقوله كفروا بما ارسلتم به وقبل ذلك ضمير مرفوع على غير هذا اللفظ الذين وهو الواو
في قوله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا حذفت منها النون تشبيها للضمير
بعدها بالضمير المرفوع بعد الفعل فلما ان الفعل يلحقه حذف حركة عند اتصال هذا الضمير
به وكان الذي يحذف من ان النون حذفت لينقص لفظها عند اتصاله بها كالضمير
المرفوع لفظا ومعنى وموقعا وحملا على ما تقدم عما يكون عليه اذا لم يواصله وجاءت
يدعوننا على مقتضى الاعراب الواجب لها بنونين فهل فرق ما بين الموضعين الآية
الخامسة منها قوله تعالى في قصة صالح واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين
وقال في هذه السورة في قصة شعيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا

عنده صح

لهم هذا اللفظ صح

[illegible]

معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين للسائل
ان يسال عن اختلاف الفعلين في اتصال علامة التانيث باحدهما وسقوطها الاخر
مع ان الفاعل في الموضعين شي واحد وهو الصيحة مع ان الحاجة بين الفعل والفاعل
في المكانين حاجز واحد وهو الذين ظلموا الجواب ان يقال مثل هذا جاء في كلام
العرب سهل الكلام فيه لانه يقال حمل على المعنى والصيحة بمعنى الصياح كما قال الشاعر
يا ايها الراكب المزجي مطيته ۝ سائل بني اسد ما هذه الصوت ۝ حمل على المعنى اذا الصوت
معنى الصيحة غير ان السؤال الذي بنيت عليه الايات لازم وهو ان يقال فهل كان يجوز
مكان اخذت اخذ في القران وهل تختص قصة شعيب باخذت فايدة ليست لها
في قصة صالح فالجواب عن هذا الموضع هو ان يقال ان الله تعالى اخبر عن
العذاب الذي اهلك به قوم شعيب بثلثة الفاظ منها اربعة في سورة الاعراف وقال
الملا الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا
في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها ومنها الصيحة في سورة هود
في قوله واخذت الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما
بعدت ثمود ومنها الظلة وفي التفسير ان هذه الثلث جمعت لهم لاهلاكهم واحد
بعد اخرى لان الرجفة بداءت بهم فانزعجوا لها عن الكن الى البراح فلما اصحروا نال منهم حر
الشمس فظهرت لهم ظلة تبادروا اليها وهي سحابة سكنوا الى روح ظل تحتها فجاءتهم الصيحة
فهمدوا لها فلما اجتمعت ثلثة اشياء مونثة الالفاظ في العبارة عن العذاب الذي اهلكوا
به غلب التانيث في هذا المكان الذي لم يتوالى فيه هذه المونثات فلذلك جاء في قصة
شعيب واخذت الذين ظلموا الصيحة الاية السادسة منها قوله تعالى الا ان ثمودا
كفروا ربهم الا بعدا لثمود للسائل ان يسال صرفه اي ثمود في قوله الا ان ثمودا كفروا
ومنعه الصرف بعد قوله الا بعدا لثمود وهل كان يجوز ان يمنع الصرف في اللفظ الاول ه

الذين صح

على المكان صح

ويصرف

ويصرف اللفظ الثاني والجواب ان يقال الاول بالصرف اولى والثاني بالامتناع منه
لانه احق لانه في الاول يجي نحو الاب والاقربين من اولاده اذ كان اولهم في الكفر واذا
قصد هذا القصد انصرف الاسم وفي الثاني قصد ذكر الاهلاك وكان للقبيلة باسرها
لما اقرت عليه من كفرها فجي نحو القبيلة فمنع الصرف للتعريف والتانيث الحاصلين فيما
خرج عن اخف الاصول الا ترى الى قوله الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود فالكفر من اولهم
والاهلاك قصد به ذكرهم كلهم فكان معنى القبيلة اولى الاية السابعة قوله تعالى
قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم واتبع
ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون للسائل ان يسال عن شيئين
في هذا المكان احدهما ان يقول استثنى في سورة هود من قوله الا امراتك ولم يستثن
ذلك في سورة الحجر والثاني واتبع ادبارهم وتركه في سورة هود الجواب عن المسئلة
الاولى ان الاستثناء في سورة الحجر اغنى قوله تعالى فيما حكى عن الرسل انا ارسلنا الى قوم
مجرمين الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امراته قدرنا انها لمن الغابرين فهذا
الاستثناء الذي لم يقع مثله في سورة هود اغنى عن الاستثناء من قوله فاسر باهلك
بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد الا امراتك والجواب عن المسئلة الثانية
ان يقال انه لن يصلوا اليك والمعنى لن يصلوا اليك والى المومنين من اهلك قبل ذلك في قوله
فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك بان امروه باخراج اهله
من بين اظهرهم ليلا من غير ان يعرج احد منهم على شي خلفه يعوقه عن المضي الى حيث
ما امر به ولما قالوا في سورة الحجر انا لمنجوهم اجمعين الا امراته اخبارا عن الرسل انهم خاطبوا
ابراهيم به لم اخبر عن مخاطبتهم لوطا في هذه السورة بما يضاهي قوله لابراهيم قولهم له
فاسر باهلك بقولهم واتبع ادبارهم ليجاوب مخاطبتهم له مخاطبتهم لابراهيم عليه السلام
الاية الثامنة منها حكم هذه ان تكون ذكرها اي في سورة الاعراف ثم لما تاخرت
الاية

احدا الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم وقال في سورة الحجر فاسر باهلك بقطع من الليل صح

بعض ما اقتصر في هذه السورة ما اقتصر في الاخرى فذكر ان الرسل قالوا انا رسل ربك [illegible]

وجب ان تذكر في سورة العنكبوت الا انا راينا ها يتعلق بهذه السورة فذكرناها
فيها وهي قوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال تعالى
في سورة الاعراف والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ومثله في سورة
العنكبوت خصوصا للسائل ان يسال عن اختصاص هذا المكان بالفاء وخلو المكانين
قبله منها والجواب ان يقال ان مفتتح قصص الانبياء في سورة الاعراف ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه وبعده والى عاد اخاهم هودا وبعده الى ثمود اخاهم صالحا وبعده والى
مدين اخاهم شعيبا وكذلك في سورة هود على هذا النسق الا ان قصة نوح عليه السلام
مفتتحة بالواو ولقد ارسلنا نوحا الى قومه وهي في سورة بلا واو وقد ذكرنا السبب في
ذلك فلما تساوت هذه المعطوفات على المعطوف عليها الاول وكان الفعل المضمر للمعطوف
مثل المظهر او الاول في التعلق بالمرسل والمرسل اليهم كعاد اليهم هود وكثمود المرسل اليهم صالح
وكمدين المرسل اليهم شعيب جرى الجميع مجرى واحدا فكان التقدير وارسلنا الى عاد اخاهم
هودا وارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وارسلنا الى قومه كان الامر في سورة العنكبوت
مخالفا لبعض المخالفة لانه افتتحت القصة بقوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة
الا خمسين عاما وجاءت بعدها قصة ابراهيم عليه السلام ولوط عليه السلام فلم تجريا على الفعل
الاول في التعلق بالمرسل والمرسل اليهم كما كان ذلك في قصة هود وصالح عليهما السلام في
السورتين بل جاء بعد قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه قوله ولوطا اذ قال لقومه اتاتون
الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين فلم يكن المعطوف على قصة نوح عليه السلام
في هذه السورة مثل المعطوف عليها فيما تقدم من سورتي الاعراف وهود ولم يتعد
الفعل المضمر تعدي الفعل المظهر وكان جايزا ان يكون المعنى واذكر ابراهيم اذ قال
لقومه واذكر لوطا اذ قال لقومه ثم جاءت قصة شعيب فاجريت القصة الاولى التي
هي قصة نوح عليه السلام وتعدى الفعل فيها الى المرسل والى المرسل اليهم وقد تخلل ذلك

الى مدين اخاهم شعيبا ولم
تعرض فيما بين القصص ما
اظهر خلاف ما اظهر قبل
ولقد ارسلنا نوحا صح

ماليس مثله من الافعال المضمرة فجاء والى مدين اخاهم شعيبا فاقيمت فيها دلالة على ان هذه
القصة مجراه مجرى القصة البعيدة عنها دون القريبة منها وكانت الاولى بما ولي
عطفها على ما قرب منها وبعد عنها لاستواء الفعل المظهر فكانت تلك الدلالة التي تدل على
انها مردودة على القصة الاولى ان يتلقى بما تلقيت به تلك من الفاء مع صحة المعنى فلما كان
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة قبل والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا
قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره فعلق ما بعدها بها بالفاء كما كانت الفاء في قوله
فلبث لما ذكرناه الآية التاسعة منها قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى بآياتنا
وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وقال في سورة حم المؤمن
ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون
فقالوا ساحر كذاب وقال في سورة حم الزخرف ولقد ارسلنا موسى بآياتنا
الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين للسائل ان يسال فيقول
السلطان المبين من آيات الله فلم جاء في الآيتين المتقدمتين مع ذكر الآيات
ذكر السلطان المبين ولم يجئ في الآية الاخيرة الآيات وحدها والجواب ان يقال الآيات
ان الآيات التي يكذب بها في حق الرسول ويقدم الحجة على من يبعث اليهم والسلطان
المبين هي الحجج القاهرة التي تقهر القوم كانوا من العذاب التي انزل على قوم موسى
وكانت عند قوله فلما كان القصد في الآيتين المتقدمتين ذكر جملة امرهم الى منتهى
حالهم من هلاك الابد انطوت تلك الجملة على جميع ما احتج به عليهم الى ان زال التكليف
عنهم والخبر عن مستقرهم من العقاب الدايم عليهم الا ترى الكلام في الآية الاولى في ٧ امره صح
سورة هود تنساق الى قوله وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم
النار وكذلك في الآية التي تليه ينساق الكلام فيها الى قوله وحاق بآل فرعون سوء
العذاب تذكر في الآيتين جميع ما احتج به عليهم من الآيات التي سخروا بها عند رؤيتها

والآيات التي فزعوا الى مسئلته عند مشاهدتها في كشفها القوله ولما وقع عليهم الرجز قالوا
يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن
معك بني اسرائيل فاما الآية الثانية التي اقتصر فيها على ذكر آياتنا دون سلطان
مبين وهي التي في الزخرف ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال اني
رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون فلم يكن الى ذكر جملة ما عوملوا
به في الدنيا وانتهائها بهم الى عذاب الآخرة بل كان بعده وما نريهم من آية الا هي عوملوا صح
اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون فاقتضى ما عملوا به حالا بعد حال الى
ان اهلكوا في الدنيا حيث قال قال فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين
فان قال فقد قال تعالى ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون
وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فلم يذكر في هذه القصة احوالهم المنتهية بهم الى
عقاب الابد قلت اولا ليست الآية على تبيين الآي التي ذكرناها فاتحة بقوله ولقد ارسلنا
موسى وان افتتحت بقوله ثم ارسلنا موسى واخاه هرون فانها مثل الآيتين المتقدمتين
في تضمنها ذكر الجملة من احوالهم الى ما كان من هلاكهم كقوله فكذبوهما فكانوا من المهلكين
والمهلكون في الحقيقة هم المعاقبون بالنار والخلود فيها فنعوذ بالله منها فقد صار كل ما ذكر
فيها مع آياتنا وسلطان مبين هو ما اشتمل على جملة ما عوملوا به الى ان استقروا مقرهم من عذاب
الله الدائم عليهم وحقيقة السلطان من السليط وهو الزيت الذي يضيء به السراج والسلطان
الحجة لانها تضيء فيتبين الحق من الباطل والسلطان الذي يملك الناس ضياء يدفع ظلام الظلم
عنهم اذ لولاه لصاروا من التغاور والتناهب في ظلام بتر ابدا ولا يتناقص فكانه كانوا صح
ضياء يجلو ظلام الدنيا والآيات التي جاءت بعد التورية والعصا واليد جاءت وقد
انارت واوضحت عندهم الحق حتى سالوا ان يمهلوا ليؤمنوا اذا كشف عنهم ما اظلمهم وان عادوا
بعد كشفه جهلهم الآية العاشرة منها قوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها ه

مصلحون

مصلحون وقال في سورة القصص وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو
عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون للسائل ان يسأل عن الفرق بين ما كان مهلكا
وكيف اختصت الآية في سورة هود بلفظ الفعل في خبر كان والاخريان بالاسم وهو مهلك والجواب
عن ذلك ان يقال هذه اللام تسمى لام الجحود ولا تخلو منه وهي تخالف لام كي باشياء منها ان لام كي يصح
اظهار ان بعدها اذا قلت جئت لتكرمني ولا يجوز ذلك في لام الجحود والسبب في ذلك ان لام كي
تدخل على ما هو عذر في انشاء الفعل ويصح ان تقصد به الماضي فتحسب تقول جئتك امس لتكرمني فلم
يفعل فهذا وان كان لفظه لفظ المستقبل فانه بمغايرته كان قد صار المعنى الماضي كما يقول كان
زيد يركب على حكاية الحال التي تستانف فيها الركوب ويقول القائل جئتك اليوم لتكرمني غدا
فهي مما علق بزمان لم يصح فيها الزمان الآخر وكذلك كان زيد عاقلا يصلح للماضي والحال وعلى معنى
انه كان ان يفعل في اقرب الاوقات التي يستقبلها وليس كذلك معنى لا كنت لافعل لانه مبالغة
في نفي هذا الفعل في الازمنة كلها والمعنى كون هذا الفعل مناف لكوني فاذا جعل السبب في نفي هذا
الفعل في الازمنة كلها الحدث كون المحدث والمحدث كونه فيما مضى لكونه فيما يستقبل وفيما
هو للحال فالمعنى لم يكن فيما مضى يقع مني هذا الفعل ولا يقع فيما يستقبل ولا في الحال السبب
ينافي وجده وهو كون الفاعل وكذلك لا يصح في هذا المكان من الافعال غير ما يتصرف لفظه
كان واذا كان كذلك وكان هذا نهاية فيما يخاطب به العرب في نفي الفعل وامتناع
وقوعه خص الله تعالى بالمكان الذي لا يقع منه قط وهو انه لم يكن فيما مضى يهلك القرى
ظالما لها مع صلاح اهلها ولا يفعله ولا يليق بعدله تنزه عنه تعالى الله عن ذلك واما
قوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى
الا واهلها ظالمون فانه لم يكن فيهما صريح ظلم ينسب اليه ولم يكن ملفوظا به فيؤتى باللفظ
الابلغ في نفيه كما في قوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم قال فلم ادعيتم ان هذا ابلغ من الانتفاء
من الظلم وقلت اولا نستدل به ان من عرف كلام العرب يعقل من قول القائل ما كنت لاظلمك وما

كنت لاشتمك وما كنت لاوذيك مما لا تعقله من قوله ما كنت ظالما لك وما كنت شاتما لك
لان ذاك نفي الظلم والشتم في وقت دون وقت واذا قال ما كنت لاشتمك فكأنه قال ما كنت
بعضا لظلامك ولى بشتمك لك فيجعل كونه منافيا للشتم فان قال فلما ذا الزم لفظة الاستقبال
والنصب قلت لان التقدير ما كنت في شيء من الاوقات بمستقبل شتمك وما كان كونه
بعضا لشتمك وهذا مستمر بيني وبينك فكما لم اشتمك لكوني كذلك لا اشتمك لكوني فان قال
قائل فلاي معنى لم يجز اظهاره كما جاز في لام كي قلت لانها لو ظهرت لوجب ان يصح الاسم
فكانها في الزمت لفظة كنت واكون ان يكون النفي الداخل عليها خبرا ان كون ينافي
ان افعل كذا واني كما لم احصل في حال وجودي وهو الذي ينافيه وجب ان يحفظ لفظ
المستقبل المنصوب فلم يكن بد من اضمار ان فان قال فهلا جوزت حذف اللام كما جوز
ذلك في لام كي قلت لان اللام بنيابتها تستند عن الفعل المنصوب بظرف العوامل فكانما
اقيمت مقام ان ولان اللام لا تدخل الا على الاسم في المعنى وهذا موضع خبر كان فحفظ
لفظ الفعل لما ذكرنا والزم الحرف المختص بالاسم ليدل به على ان الموضع للاسم فافهمه فان
قال فهذا الفعل الذي حفظت له لفظ الاستقبال والنصب كيف جاز ان يراد به الازمنة
كلها وهو مختص بزمان واحد قلت هذا اللفظ يصحب كان في الحال والاستقبال تقول قصدت
فلانا وكان يصلي تريد به الحال وتقول وكانه يركب تريد المستقبل وتقول قصدته
فكانه قد ركب ولو قلت فكان ركب لم يجز حسنه مع قد التي تقرب من معنى المستقبل
وعلى هذا احمل قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم في بعض الاقاويل
فكان لك عائدا الى لفظ المستقبل وما تجوز لقربه منه في المعنى فلذلك صلح النفي في الاول
واستمراره في المستقبل الآية الحادية عشرة منها قد تاخرت عن مكانها من السورة
لانها شذت عنا بعدما اثبتنا ما تقدم منها فذكرناها في آخرها لئلا تتغير تراجم
المسائل وترتيب الآي فيها ان قال قائل قوله تعالى في قصة هود ولما جاء امرنا نجينا هودا

على استيناف اشتمك كذا لا اجعل على هذه الصفة وهي انشرع في اشتمك اذ كان وجودي صح

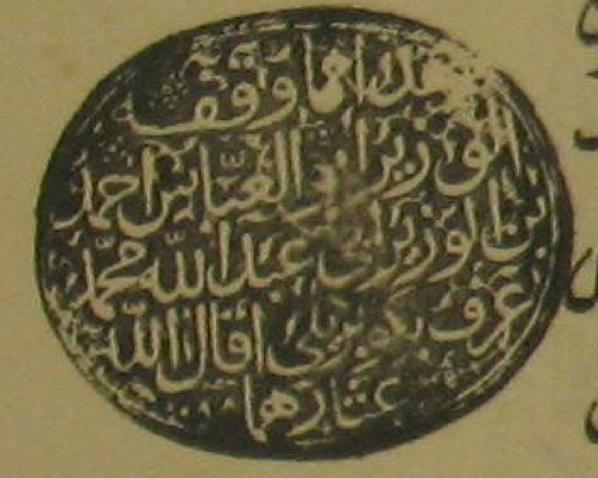
موضع صح

وفي آخر

وفي آخر السورة في قصة شعيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا فعطف ما قبلها وقال في
قصتي صالح ولوط فلما جاء امرنا نجينا صالحا وقال فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها
فعطف لما بالفاء دون الواو وما الفرق الذي اوجب اختلاف حرف العطف في المواضع الاربعة
من هذه السورة فالجواب ان يقال ان هذا الحرف في قصة هود بعد خروج من خبر عنه
هو حكاية لقوله الى ما هو اخبار من الله عز وجل كان من فعله الا تراه قال تعالى قال اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء الى قوله فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف
ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا اي يهلككم ويقيم غيركم مقامكم فينزل بكم اكثر الضرر ولا تضرونه شيئا
بعبادتكم غيره ثم قال ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم
من عذاب غليظ فلم يتقدم تخويف بعذاب ما او عدوا فيه فيدل على اتصال الثاني بالاول واقتضاء
العطف بالفاء فكان الموضع موضع الواو ولان المراد الجمع بين الخبرين من دون ذكر ما يقلل
الزمان بين الفعلين وكذلك قصة شعيب لم يدل فيها على انهم وعدوا بعذاب قد اظلهم وقرب
منهم واما اخبر عز وجل عن شعيب انه قال لهم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب فلم يتوعدهم بالاقتراب بل دعاهم الى
الارتقاب فالتخويف قارنه التسويف لقوله سوف تعلمون فكان الموضع موضع الواو لخروج ما قبله
عما يقتضي اتصال الثاني به وليس كذلك الموضعان اللذان سيقا على الاول بالفاء وهما قوله تعالى
في قصة صالح فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا نجينا صالحا وقوله
في قصة لوط فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان
موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها فكان ذلك يعقبه غير متراخ
عنه فاقتضى الفاء التي تدل على التعقيب واتصال ما بعدها بما قبلها من غير مهلة بينهما وكذلك جاء في
في سورة العنكبوت في قصة لوط في موضعين بالواو وهما على هذه السبيل فالاول قوله بعد قصة
لوط وقوله لقومه انكم لتأتون الفاحشة الى قوله رب انصرني على القوم المفسدين فاستنصر الله

تعالى عليهم ولم يتوعدهم بقرب عذاب منهم وجاء بعده ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى
فرتب عليها كان بين لوط وقومه الى قصة هي بين ابراهيم والملائكة عليهم لما اتوه بالبشرى
وباهلاك من في قرية لوط فتنزل لوط فيما كان من مجاورتهم لابراهيم عليه السلام منزلة
الغايب عنهم وكان الموضع موضع الواو لاختلاف القصتين وخلو الاولى عما يقتضي الاولى صح
قرب ما بين الحالين وكذلك قوله بعده ولما جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم وضاق بهم
ذرعا خبر عن مجيء رسل الله من الملائكة الى لوط واتباعه لهم وفزعه لمجيئهم وكان مجيئهم الى
ابراهيم مجيء المبشرين لما قالوا سلاما قال سلام فعطفت هذه القصة على بالواو لاختلاف
موردهما انه لم يكن في الاولى منهما ما يقتضي التعلق الثانية بها بالفاء عليها ه القصة
سورة هود عليه السلام عن احدى عشرة اية وعن اثنتي عشرة مسئلة تحملت مائة واحدى
وخمسين مسئلة سورة يوسف عليه السلام الاية الاولى منها قوله عز وجل ولما بلغ
اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين وقال في سورة القصص في ذكر موسى عليه
السلام ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين للسائل ان يسال عن
الفائدة في تخصيص موسى عليه السلام بذكر الاشد والاستواء واخلاء يوسف عليه السلام من ذلك
وهل كان يصلح احدهما مكان الآخر ام قضية الحكمة يمنع منه والجواب ان يقال ان بلوغ الاشد
مختلف فيه قيل ان يبلغ ثلثا وثلثين سنة وقيل خمسا وعشرين سنة وقيل من عشرين سنة
واحدى وعشرين لانه يقال ان الصبي يبلغ لسبع سنين ويبلغ لسبع بعدها وتنتهي
طوله لسبع بعدها وحجة من قال ذلك انه قال آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين فايتاء
الحكم والعلم مجازاة على احسان كان منه وذلك بعد البلوغ وقيل ان بلوغ الاشد هو ان
يحتلم والاشد جمع شد وهي قوى من العقل تحمل التكاليف ويجوز ان يكون البلوغ سمي الاشد
لان الغلام اذا بلغ شدت اعماله وكتبت حسناته وسيئاته بعد ان كانت محلولة عنه غير
مشدودة عليه وقد يأتي قبل البلوغ بحسنات يجازيه الله تعالى وقيل في قوله بلغ اشده

واستوى



واستوى اي ادرك واستوت لحيته وقيل الاستواء ان يبلغ اربعين سنة وهو معنى بين في الاية
الاخرى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة والذي يعرف بين المكانين حتى لم ينتظر
بيوسف عليه السلام الاستواء بعد بلوغ الاشد هو ان يوسف عليه السلام اخبر الله تعالى انه اوحى
اليه لما طرحه اخوته في الجب حيث قال واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون واراه عن هذا صح
ذكره الرؤيا التي قصها على ابيه وموسى عليه السلام لم يفعل به شيء من ذلك الى ان بلغ الاشد
واستوى لانه لم يعلم بما اريد الا بعد ان استاجره شعيب عليه السلام ومضت سنو اجارته وسار
باهله هناك اتاه ما اتاه من كرامة الله وقيل انه بعد الاربعين فلم ينتظر بيوسف في ايتاء الحكم
والعلم والتشريف بالوحي ما انتظر بموسى عليه والحكم هو الفصل بين المتحاكمين المبني على العلم لانه يكون
بحسب ما يدعو اليه وقيل معنى استوى كمل جسمه وتم طوله وعرضه وخرج عن جملة الاحداث
الاية الثانية منها قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى وقال
في سورة النحل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
بالبينات والزبر وقال في سورة الانبياء وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فسئلوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام للسائل ان يسال فيقول هل بين
قوله وما ارسلنا من قبلك وقوله وما ارسلنا قبلك فرق ولاي معنى خص موضع بحذف من وخص موضع
باثباتها والجواب ان يقال ان من لابتداء الغاية وقيل اسم للزمان الذي تقدم زمانك فاذا قبل صح
قال وما ارسلنا من قبلك فكانه قال ما ارسلنا من ابتداء الزمان تقدم زمانك فخص الزمان الذي يقع تحديده الذي صح
ويستوعب بذكر طرفيه ابتدائه وانتهائه واذا قال ما ارسلنا قبلك فمعناه ما فعلنا في الزمان الذي تقدم
زمانك فهو في الاستيعاب كالاول الا ان الاول اوكد للحصر بين الحدين وضبطه بذكر الطرفين والزمان
المتقدم قد يقع على بعض ما تقدم فيستعمل فيه اتساعا فاكثر ما في القران وما ارسلنا من قبلك ولم يجئ
لحذف من الا في موضعين احدهما هذا والاخر وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون
الطعام فاما الاول فانه حذفت منه من بناء على الاية المتقدمة وهي ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها

انهم يؤمنون فلما كان الزمان الذي تقدمهم هو الزمان الذي تقدم النبي عليه السلام
المذكور في قوله وما ارسلنا قبلك وكانت قبل اذا عريت من موضوعه للزمان المتقدم
كله صار بناؤه على قبل مذكوره كالتوكيد الواقع لمن في ساير المواضع واما قوله وما ارسلنا
قبلك من المرسلين فانما لم يؤكد بمن لان المعتمد بالخبر انما هو الحال التي للمرسلين وهي انهم
ياكلون الطعام وليسوا من الملايكة الذين طلب الكفار ان يبعثوا اليهم واخبر الله عنهم في
قوله وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملايكة او نرى ربنا فان قال فقد
جاء قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته والقصد
ذكر حال الرسول والنبي وهو المقصود بالخبر فاكد مع ذلك قبلك بمن قلت القصد في هذا الموضع
توكيد ذكر الرسول وذكر حاله الا تراه قال من رسول ولا نبي تجمعها في نفي ما نفي عنهما الا ما اثبته
لهما بعد قوله الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فلما كان المكانين الا ما اثبته لهما المعتمد من
بالخبر صح التوكيد وكان المقصود الاية الثالثة منها تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا وقال في سورة الروم اولم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض
للسائل ان يسال عما جاء من هذا في القران بالفاء وما جاء منه بالواو والمعنى المقتضي لكل واحد
من الحرفين والجواب ان يقال كل موضع تقدم افلم يسيروا فانه موضع يقتضي الاول وقوع
ما بعد الفاء وكل موضع تقدمه اولم يسيروا فانه من المواضع التي لا تقتضي الدعا الى التسيير
والبعث على الاعتبار فيكون ذلك مؤديا اليه وانما يكون بالواو عطف جملة على جملة وان لم
كانت الثانية اجنبية من الاولى فقوله في سورة يوسف افلم يسيروا قبله وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى التي بعثوا اليها فلما طغوا انزل بهم من العذاب ما بقي
اثره في ديارهم من الخسف والانقلاب فصار معنى قوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي
اليهم من اهل القرى اي لم يكونوا الا رجالا ارسلوا اليهم فخالفوهم فاعتبروا انتم باثارهم

ومشاهدة ديارهم

ومشاهدة ديارهم لتجتنبوا ما يجلب عليكم مثل حالهم وكذلك قوله في سورة الحج افلم يسيروا
في الارض فيكون لهم قلوب يعقلون بها هو بعد قوله وكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي
خاوية على عروشها وبير معطلة وقصر مشيد فكانه قال اذا كان كذا فسيروا في الارض واعتبروا
واما قوله في سورة الروم اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا
اشد منهم قوة واثاروا الارض فانه لم يتقدمه ما يصير هذا كالجواب عنه اذا لم يجر ذكر حال امة من
الامم خالفت نبيها فعوقبت على فعلها بل الاية قبلها قوله اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات
والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون فكان الموضع
موضع الواو وهذا مع انه معطوف على قوله اولم يتفكروا وهو بالواو فكان حمله على ذلك مع
اقتضاء المعنى الواو هو الواجب وقوله في سورة الملايكة اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه لم يتقدمه ما يكون
هذا كالجواب عنه فلم يجز الا الواو ولان الاية التي قبله ليست في وصف قوم عوقبوا على مخالفة
نبيهم وبقيت اثار ما نزل بهم من العذاب في منازلهم وديارهم وكذلك قوله في سورة المومن



والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشي ان الله هو السميع البصير اولم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا هم اشد منهم قوة واثارا في الارض
والايات التي تقدمت هذه ليس فيها ما يقتضي ان يكون هذه كالجواب له فلذلك جاء بالواو
فاما الاية في اخر هذه السورة وهي افلم يسيروا في الارض فان ما قبلها يقتضي الفا الا ترى قوله
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول
ان ياتي باية الا باذن الله فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون وانزي و وصف
من بعث من الانبياء وتجا الله فيمن خالفهم وكيف خسر مبطلهم فان قال فقوله في سورة امر
محمد صلى الله عليه وسلم افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
دمر الله عليهم وللكافرين امثالها لم يتقدمه ما اقتضى الفا قلت قوله يا ايها الذين امنوا

كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم ذلك بانهم [illegible] واضل

ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم معناه ان
اولياء الله منصورون وان الكفار مخذولون فليعتبروا بمن تقدمهم في الكفر ليعلموا انهم
صائرون الى مثل حالهم الآية الرابعة منها قوله تعالى وللدار الآخرة خير للذين يتقون
افلا يعقلون وقال في سورة الاعراف والدار الآخرة خير للذين يتقون افلا يعقلون
فكان حق هذه الآية ان تذكر هناك الا انا تذكرناها لما انتهينا الى هذا المكان وقد تقدمت
نظيرتها وهي قوله وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا يعقلون للسائل ان يسأل في
الآيتين عن موضعين احدهما في سورة الاعراف قوله والدار الآخرة فوصف الدار بالآخرة
وفي الآية التي في سورة يوسف اضاف الدار الى الآخرة والثاني قوله خير للذين يتقون
هناك وفي هذا الموضع خير للذين اتقوا افلا تعقلون والجواب عن الاول ان قبله
فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى وصفا للمنزل فذكر
الدار الآخرة بعده فجعل الدار موصوفة والآخرة صفة لها وكل يؤدي معنى واحدا
لانه يختص بعض اللفظ دون بعض لمشاكلة ما قبله وموافقته له واما قوله ولدار الآخرة
في سورة يوسف عليه السلام فان قبلها افامنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله او تأتيهم الساعة
بغتة هي الساعة الآخرة وهي القيامة فلما ذكرت الدار اضيفت اليها فكانه قال ولدار
الساعة الآخرة خير فتقدم كل آية ما كان المذكور بعد اليق به والجواب عن المسألة
الثانية وهي قوله للذين يتقون في سورة الاعراف وللذين اتقوا في سورة يوسف هو
ان القوم دعوا الى اعتبار احوال الامم الذين اهلكوا في ازمنة انبيائهم بالنظر الى مساكنهم
وهي خاوية على عروشها ليعلموا ان دار الآخرة لمن اتقى منهم وقوله في سورة الاعراف
يذهب الى اليهود الذين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وارشادهم على كتمان امر النبي صلى
الله عليه وسلم بابقاء مستقبل فلذلك قال للذين يتقون افلا يعقلون وفي هاتين الآيتين
مسألة ثالثة وهي ادخال اللام على الدار الآخرة في سورة يوسف واخلاؤها منها في سورة

قوله هذا الادنى انما معناه هذا الشيء الادنى وهو الدنيا [illegible] فعل الادنى صح

الاعراف

الاعراف كقوله والدار الآخرة والجواب عن ذلك ان قوله ولدار الآخرة جاء بعد قوله
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فيعلموا كيف حال من قبلهم وان دار الآخرة
خير لهم فاللام هي التي تدخل على المبتدأ فتعلق الفعل والفعل هو فيعلموا الدار الآخرة خير
كما تقول علمت لزيد افضل من عمرو واما قوله والدار الآخرة في سورة الاعراف فلم يتقدمه
ما يقتضي اللام مثل قوله الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا
ما فيه والدار الآخرة خير من غير ان يتقدمه ما يجري مجرى التوكيد والقسم الذي يتلقى الكلام
انقضت سورة يوسف عليه السلام عن اربع آيات وخمس مسائل سورة الرعد
الآية الاولى منها قوله تعالى وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا الى قوله
ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وقال بعده وفي الارض قطع متجاورات وجنات من
اعناب الى قوله ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون للسائل ان يسأل عن قوله تعالى يتفكرون
وقوله في الآية التي بعدها يعقلون هل يصلح احدهما مكان الآخر والجواب ان يقال
ان التفكر هو المؤدي الى معرفة الشيء والعلم بالآيات التي تدل على توحيد الله فهو قبل فاذا استعمل
على وجهه عقل ما جعلت هذه الاشياء امارة له ودلالة عليه فيتبدئ في الاول بما يحتاج اليه اولا
من التفكر والتدبر المفضيين بصاحبهما الى ادراك المطلوب وخص الآخر بما يستقر عليه حكم
التفكر من سكون النفس الى عرفان ما دلت الآيات عليه فكان في تقديم ما قدم وتأخير ما اخر
اشارة اليه سورة ابراهيم عليه السلام قد تقدمت نظائر آيات فيما قبلها فذكرت
معها الآية الاولى منها قوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وقال في سورة النمل امن خلق السموات والارض وانزل لكم من
السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وقال في سورة النمل امن خلق السموات والارض وانزل
لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها للسائل ان يسأل فيقول
قال في الآية الاولى وانزل من السماء ماء وقال في الثانية وانزل لكم من السماء فما اوجب
الذي

كان صح

كان صح

اوجب ذكر لكم في الثانية ولم يوجبها في الاولى والجواب ان لكم في آخر الآية الاولى مذكورة لانه قال
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فاغنى ذكرها هناك عن ذكرها اولا والآية الثانية لما لم يكن في آخرها
ذكر له فعل ذلك لهم ذكر في اولها لكم لان بعدها فانبتنا به حدائق ذات بهجة وليست لكم في قوله ما
كان لكم ان تنبتوا شجرها يكفي من ذكرها في اولها لانها في معنى غير معنى خلق لكم اصناف النعم سورة
الحجر الآية الاولى منها قوله عز وجل فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين وقال
في سورة ص وان عليك لعنتي الى يوم الدين للسائل ان يسأل فيقول اذا كان المراد
باللعنة ولعنتي شيئا واحدا فما بال اللفظين اختلفا فجاء في سورة الحجر بالالف واللام
وفي سورة ص مضافا وهل يصح في الاختيار احدهما مكان الآخر الجواب ان يقال ان القصة
في سورة الحجر انتدبت في المعتمد بالذكر وهو خلق الانس والجن اسم الجنس المعرف بالالف واللام ان
لقوله ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم ثم
قال ما لك الا تكون مع الساجدين فكان ما استحقه ابليس بترك السجود من الجزاء ما اطلق عليه
اللفظ الذي انتدبت بمثله القصة وهو اسم الجنس المعرف بالالف واللام وكان الامر في سورة
ص بخلاف ذلك لان اول الآية اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر
وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين
فلم تفتتح الآية بذكر الصنفين من الانس والجن بلفظ اسم الجنس المعرف بالالف واللام كما كان
في سورة الحجر ولما كان موضع ما لك الا تكون مع الساجدين جاء بدله ما منعك ان تسجد ثم قال
لما خلقت بيدي فجعل بدل الساجدين ان تسجد ثم قال لما خلقت بيدي فخصه بالاضافة
دون واسطة بامره بفعل اخرى لفظ ما استحقه من العقاب على لفظ الاضافة كما قال
بيدي فقال وان عليك لعنتي وكان الاختيار في التوفقة بين الالفاظ التي افتتحت بها الآية
واستمرت الى آخرها هذه الآية الثانية من سورة الحجر قوله عز وجل ان في ذلك لآيات

للمتوسمين

للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم وان في ذلك لآية للمؤمنين للسائل ان يسأل فيقول لاي معنى جمع
الآيات في القصة التي وحدها فيها بعد فقال لآيات للمتوسمين ثم قال لآية للمؤمنين هل كانت
الآيات لو ذكرت في الثانية والآية ذكرت في الاولى ما يكون في الاختيار الكلام والجواب
ان يقال ذلك في قوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين اشارة الى قصة من حديث لوط وضيف
ابراهيم عليهما السلام وتعرض قوم لوط لهم طمعا فيهم وما كان من امرهم آخرا من اهلاك الكفار
وقلب المدينة على من فيها وامطار الحجارة على من غاب عنها وهذه اشياء كثيرة في كل واحدة منها
آية وجميعها آيات لمن يتوسم اي يتدبر السمة وهي ما وسم الله به العاصين من عباده ليستدل بها
على حال من عبد غير عبادته فيتجنبها فكان ذكر الآيات هاهنا اولى واشبه بالمعنى واما قوله وانها
لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين اي تلك المدينة المقلوبة ثابتة الآثار مقيمة للنظار فكأنها
مرائي للعيون لبقاء آثارها وهذه واحدة من تلك الآيات فلذلك جاء عقيبها ان في ذلك لآية
للمؤمنين ه انقضت سورة الحجر عن آيتين ومسألتين سورة النحل الآية الاولى قوله
عز وجل ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم
يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون
وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون للسائل ان يسأل عن توحيد الآية
اولا وآخرا وعن جمعها في التوسط ولما كان ذلك الاختيار وفي كل ذلك آيات كثيرة وان عبر عنها
بآية واحدة لدلالتها بمجموعها على واحد والجواب ان يقال انما وحد في الاول لان جميع ما
اخبر عنه انه خلقه انما هو في جنس من صنعه ونوع من خلقه وهو كل ما نجم من الارض مما فيه
قوت الخلق والذي ذكر فيه الآيات الليل والنهار وهو اظلام الجو لغروب الشمس الى طلوع الفجر وبدء
الضياء مقدمة طلوع الشمس الى غروبها والشمس والقمر النيران اللذان في كل واحد منهما آيات
كثيرة ثم النجوم السيارة وغيرها على ما جعل الله بكل منهما من سير في فلك ثم ما اجرى العادة به من
احداث ريح او مطر عند انتهاء احدها الى بعض المجاري وكان ذكر الآيات هنا اليق وذكر الآية

الأولى احق لان الاول فيما يطلع من الارض بالماء وكانه تجمع جميعا شيء واحد والثانية بخلافها
فلذلك اختلفتا واما الثالثة فهي وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه المعنى والله اعلم جميع جواهر
الارض كالذهب والفضة والحديد وغيرها من الفكر والتنبيه على ما جعل فيها من المنافع للخلايق وهي
كلها كالشيء الواحد في انها عروق جارية مختلفة في شيء واحد هو امها وهي الارض ولذلك قدم — من جنس النفع وامتنان الخلق صح
الانعام بالزرع والثمار لعلم الخاصة والعامة بما فيها من المنافع للخلائق ثم عقب
ذلك بما هو اصل من الهواء وماء السماء والكواكب التي جعلها قواما للتربية فانه بنات التربة
فلما صرف العقول الى ما نصب من الامارات في اصناف ما نشئه في البر واتبعه بما سخر له من البحر
مسئلة ثانية في هذه الآيات فان قال فلم ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وقال في — قال في الاولى صح
الثانية ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وفي الثالثة لقوم يذكرون فالجواب ان الفكر
اعمال النظر لتطلب فائدة وهذه المخلوقات التي تخرج من الارض اذا افكر فيها علم ان معظمها
ليس الا الاكل وان الاكل به قوام ذي الروح وان المنعم عليه محتاج ان يعرف المنعم به ليقصده
بشكر احسانه فهذا موضع تفكر يبعث الناس عليه ليفضي بهم الى المطلوب منهم واما تعقيب
ذكر الليل والنهار وما سخر في الهواء من الانوار بقوله يعقلون فلان يتدبر ذلك على رتبة — فيها صح
من متدبر ما تقدم اذ كانت المنافع المجعولة فيها اخفى واغمض فمن استدرك الآيات يستحق
الوصف بما هو اعلى من رتبة المتفكر المتدبر لانه المنزلة الثانية التي يؤدي اليها الفكر
وهو ان يعقل مطلوبه منها ويدرك فائدته فيها واما الثالثة وهي لآية لقوم يذكرون
فانه لما نبه في الاوليين على انبات الصانع نبه في الثالثة على انه لا شبه له بما قنع لان
من راى المخلوقات اصنافا مزدوجة مؤتلفة او مختلفة نفى عنه صفاتها وعلم ان
خالقها بخلافها لا يشبهها ولا تشبهه وقد قال في سورة ق والارض مددناها والقينا
فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب اي فعلنا ذلك
لنبصركم ونريكم آياتنا ولنذكركم بازدواجها مخالفة لصانعها كما قال ومن كل شيء خلقنا

زوجين

زوجين لعلكم تذكرون فيعلم بعد العلم بما تقدم انه لا صاحبة له ولا ولد ولا شبيه له فيما انشأ
وبرأ اذا تذكر حاله فيما اتفق فيه واختلف الآية الثانية منها قوله تعالى وهو الذي سخر البحر
لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من
فضله ولعلكم تشكرون وقال في سورة الملائكة وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ
شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه
مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون للسائل ان يسال فيقول لأية فائدة خصت
في الآية الاولى ان تقدم فيه مواخر على ولتبتغوا واية فائدة خصت في الثانية من سورة الملائكة — قوله فيه وان يدخل الواو على صح
ان تقدم قوله فيه على مواخر وان تحذف الواو من فضله لتبتغوا والجواب ان يقال لما ذكر
الله في سورة النحل النعم التي سخر البحر من اجلها فقال وهو الذي سخر البحر لتاكلوا ولكذا وكذا
فعدد جلائل ما من نيل سمكه واستخراج حليه وطلب فضله بركوبه كان وجه الكلام ان تعطف
الثالثة على ما قبلها بالواو ولان التسخير نظمها مع ما تقدمها والمشتركات في حقها ان يعطف — والمشتركات صح
بعضها على بعض ليستوي في تعلقها به واجتماعها فيه فلما ذكر النعمتين في قوله لتاكلوا منه لحما
طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها احتاج الى ذكر النعمة الثالثة في عطفها على ما تقدم والى وصف
ما على البحر فما وطاه الله منه من الثالثة وهي ما تطلب من فضل الله بانواع التجارات في البحر — ليتمكن به صح
ونقل الامتعة فيه من مصر الى مصر الى سائر ما علق به مصالح الخلق من الادوية المفرقة على
وجه الارض فقال وترى الفلك مواخر فيه لان الابتغاء من فضل الله يتسهل بالسير فيه ولا
سبيل اليه الا بالفلك وسيرها بشق الماء يمينا وشمالا لتجري الى الجهة المقصودة وليس قوله
وترى الفلك عطفا على تستخرجوا لانه خطاب لواحد وما قبله وما بعده خطاب جمع مباين لها
في ذلك في الحمل والاعراب ولهذه اللفظة اختصاص اذا استعملت يقصد بها كون الشيء
على تلك الصفة حتى اذا طلبه طالب رآه عليها وليس الضمير فيها لواحد مخصوص معين دون امته
لكنه كقوله يا ايها الرجل وكلكم ذكر الرجل وكما تقول ارى العراقي ارق طبعا من الجبلي وترى

البحتري افصح من الواسطي وكما قال الشاعر ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي اثوابه
اسد مزير وعلى هذا قوله تعالى ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم وقوله
وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها
خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقوله تعالى وترى كل امة جاثية كل امة تدعى
الى كتابها ومثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا في سورة الزمر والحديد وكقوله
وترى الملائكة حافين من حول العرش والدليل على ما ذكرنا من الاية ان قبل قوله وترى
الفلك فعل وهو لتاكلوا منه وتستخرجوا وبعدها ايضا فعل جماعة وهو ولتبتغوا من فضله
والمعنى في كل ذلك انه على هذا الوصف من راه عليه واذا كان الامر في موقع هذه الجملة
من الجملتين المتقدمة والمتأخرة على ما بينا صدر ما بعدها محمولا على ما قبلها فوجب عطف
الثالثة عليها بالواو ولان جزءها لا يعتد به ولان الفعل الذي هو سخر لكم البحر يقتضي اشراكه
فيما دخل فيه قبله ولان مواخر قد فصل بينها وبين قوله ولتبتغوا فاجتماع هذه الاسباب
اوجب اختيار الواو في هذا المكان على قوله فيه فلقوة حكم الفعل الذي اعتد الله بذكره
على عباده في هذه الاية لانها مصدرة بقوله وهو الذي سخر البحر واذا قوي حكم الفعل في مكان
وجب ان يرتب ما يتعدى اليه على ما يقتضيه في الاصل وهو ان يتقدم في الفعل المتعدي
الى مفعولين مفعوله الاول الذي اصله ان يكون معرفة ثم مفعوله الثاني الذي اصله ان يكون نكرة الذي
ثم الظرف الذي كالفضلة فجاء على هذا الاصل واما تقديم فيه في الاية الاخرى على مواخر فلان
الفعل الذي قدم فيها وعطف هذا عليه بعد لغو في تقديم الجار والمجرور فيه لامر في وراها ولا
زيادة عليها الا ترى انها قد ما على الفعل بنفسه وهو من كل تاكلون لحما طريا فلما عطف قوله
فترى الفلك بعد فعل هذه صفته وقد حصل فيه مفعولات وجار ومجرور فعاد تقديم الجار
والمجرور فيه على احد مفعوليه ليعلم انه من جملة كلام بني الفعل فيه على تقديم الجار والمجرور قوله صح
عليه واما حذف الواو من لتبتغوا فلانه لما لم يبن الاية على فعل يقتضي استعقاب ما يتعلق به كما

كان في قوله

كان في قوله وهو الذي سخر البحر لكذا وكذا وذكر بعضه اثر بعض ثم صارت تلي قوله لتبتغوا وصح
تعلق اللام بمعنى المواخر لان معناها التي تشق الماء وتسير باطها والله سخرها على هذه
الصفة لتبتغوا من فضله فيما جعل الطريق اليه من المنافع التي لا ينال الا بها وتجدد ذكر ما
بينا منها فلما اتصلت مواخر بقوله لتبتغوا ولم يجر بينهما ظرف استغنى عن الواو ولذلك
فلانه لم يتقدم فعل بنيت عليه الاية دل على تعلقه بنعم بعضها على بعض كما كان في قوله وهو بجانب يسبو صح
الذي سخر البحر اذ دل بهذه الاية وما يستوي البحران هذا عذب فرات سايغ شرابه فبان الفرق
بين الموضعين فيما يختار لاثبات الواو وتركها الاية الثالثة منها قوله تعالى ادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقال في سورة الزمر قيل ادخلوا ابواب جهنم
خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين للسائل ان يسأل فيقول ما بال الاية من سورة النحل
خصت وحدها بدخول اللام على قوله فلبئس منها واخلاء الايتين من السورتين فيما قبلها
والجواب ان يقال ان الاية من هذه السورة في ذكر قوم ضلوا انفسهم واضلوا غيرهم في صح
وهم الذين اخبر الله تعالى عن اتباعهم انهم سألوهم عن القران فقالوا ليس من عند الله
وانما هو اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير
علم الا ساء ما يزرون وهولاء اكثر الناس اثاما واشدهم عقابا ومن هذه صفته اختير
عند تغليظ العقاب له الى المبالغة في تاكيد لفظه فاختيرت اللام هنا لذلك ولان بعدها في
ذكر اهل الجنة قوله ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين فاللام في لنعم بازاء اللام في لبئس كذلك
الايتان في سورة الزمر والمؤمن لانها في ذكر جملة الكفار قال الله عز من قائل وسيق
الذين كفروا الى جهنم زمرا وقال في سورة المؤمن الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا
فسوف يعلمون الى قوله ادخلوا فلما كان المذكور في سورة النحل من لزمهم وزران عن ذنوبهم
التي اتوها وعن ذنوب غيرهم التي حملوا عليها ولم يذكر من سواهم في الايتين الاخريين وتحملون اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم حسن التوكيد هناك فضل حسن فلذلك خص باللام الاية الرابعة منها قوله

تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم
بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون وقال في سورة الروم واذا
مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه بربهم يشركون ليكفروا بما
آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون وقال قبلها في سورة العنكبوت فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا
فسوف يعلمون للسائل ان يسال فيقول لم بال الآية في سورة العنكبوت وحدها خصت
بقوله وليتمتعوا وجاءت في الآيتين الأخريين بلفظ على معنى التهدد وهو فتمتعوا والجواب
ان يقال ان الآية الاولى افتتحت بالاخبار عن الغايب وهو فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين وان سائر الافعال في هذه الآية على حكمه ولم يكن لها نظيره في لفظها
يرد اليها فاجري قوله وليتمتعوا عليه والآية التي في سورة الروم افتتحت بلفظ الاخبار عن
الغايب عن الغايب فان في لفظها نظيره ردت اليها وصارت كالفرع عليها وهي قوله
واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من
قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك فهذه الآية مفتتحة بمثل ما افتتحت به
تلك الآن هذه لواحد من الناس وتلك للجمع فصارت كالفرع على الاولى فكان حملها في هذه
اللفظة عليها اولى الآية الخامسة منها قوله تعالى ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من
دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وقال في سورة الملائكة ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما
ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى للسائل ان يسال عن قوله في الاولى بظلمهم وقوله
ما ترك عليها وعن قوله في الثانية بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة والجواب ان يقال قدم
تقدم في العشر التي تليها ولو يواخذ الله الناس بظلمهم الخبر عن الذين نهوا ان يتخذوا الهين اثنين
وان يشركوا الاصنام في عبادته وان يجعلوا لها نصيبا من مالهم ويدعوا الملائكة بنات لربهم وان
يئدوا بناتهم خوف املاقهم وكل ذلك من افعالهم ظلم منهم لانفسهم مع ظلمهم لغيرهم فقال تعالى ولو يواخذ بظلمهم

رحمة اذا فريق منهم

فتمتعوا صح

بخطاب المشاهد فاجرى قوله فتمتعوا على هذا اللفظ والآية الاخيرة افتتحت صح

وآن

للاه

بما ظلموا

بما ظلموا به غيرهم وانفسهم واجرى حكمه على معاملة المذنبين بعقوباتهم لاتى ذلك على نفس كل انسان
اذ لا احد يعدو اياه الا ويحل فيهم من عصى ربه فلو اجترم عبد خطيئة لا يقطع نسله فلا طريق
الى ذلك لا يصح اصله فذكر في هذه الآية التابعة لما اخبر به عن الظالمين انواع الظلم التي
تسبقها في العشر التي تقدمتها ثم قال ما ترك عليها يريد الارض وذلك من الايجاز التي تقوم
مقام الاكثار والاظهار تقول العرب ما فوقها اصدق من فلان ولا تحتها اكذب من فلان
يعنون فوق الارض وتحت السماء وقوى اضمار هذا الاسم لشهرة الاستعمال فيه ولان المذكور
مشاهد لكل متكلم يقدر على الاشارة اليه يجري مجرى انا وانت في العلم به والامن من لبسه بغيره
واما قوله في السورة الاخرى ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا من الآثام وان كان كسبا يستعمل
في الخير كقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فانما حذر الناس بهذه اللفظة ما يجنيه يداه
ويكون هو المواخذ به دون من عداه وجاء بعده ما ترك على ظهرها من دابة والمراد ظهر
الارض ولم يذكر الظهر في الآية الاولى لتقدم الظاء في المبتدا بعد لو والظاء يعز في الكلام
الآتيها ليست لامة من الامم سوى العرب فلما اختفيت وتجنبت الا فيها واستعملت في الاولى في
المبتدا بعد لو واستعملت في الآية الثانية في جواب ما بعد لو هذا ولم تجئ في هذه السورة الا في
سبعة احرف تتكرر نحو الظلم والنظر والظل وظل وجهه والظفر والعظيم والوعظ واجريت
مجرى ما يستثقل من الحروف فلم تجمع بينها وجملتين معقودتين عقد كلام واحد وهما ما بعد لو
وجوابها وحسن التاليف بحروف يراعي في الفصاحة لا تخفى على اهل البلاغة الآية السادسة
منها قوله عز وجل والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون
وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سايغا للشاربين
ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون
واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي
سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون

لغتها

للسائل ان يسال في هذه الآي عن ثلاث مسائل احداها عن توحيد الاية في جميعها ومنها ما فيه
آيات والثانية عن قوله يسمعون في الاولى ويعقلون في الثانية ويتفكرون في الثالثة
والثالثة عن قوله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه فعاد في احدى الموضعين ذكر
المذكر وفي الآخر ذكر المؤنث واللفظان سواء فهل كان يجوز ان يكون حيث عاد الذكر مذكرا
يعود مؤنثا وحيث عاد الذكر مؤنثا يعود مذكرا المسألة الاولى يجاب عنها فيقال لما كان المذكور
في كل آية صنفا واحدا جعل ما دل منه على الصانع آية واحدة فان قال فان الانعام وثمرات
النخيل والاعناب قد جمعت وليس جميعها صنفا واحدا وكان على قضيتك يجب في الاخبار ان يقال
هنا ان في ذلك لآيات قيل له ان قوله ان في ذلك اشارة الى ثمرات النخيل والاعناب دون الانعام وذلك
صنف واحد فلهذا قال آية واما الانعام فقد ابتدأ بذكر الآية فيها قوله في ابتداء آيتها وان لكم في
الانعام لعبرة فكانه قال لكم فيها آية اذ الاعتبار يؤدي اليها مخصصتان في ذلك للصنف الواحد
من ثمر النخل واما الثالثة فمقصود بها النحل خاصة فلذلك قال ان في ذلك لآية والمسألة الثانية
مجاب عنها فيقال انما ذكر يسمعون في الاولى توبيخا لمن انكر البعث واستبعد الحياة والثانية
فكانه قيل ان في ذلك قبل التدبر مقررا في اول العقل حتى ان من يسمعه يعترف به وهو ان الارض
الميتة يحييها الله بما السماء فتعود حية بنبتها وكذلك لا يستنكر ان يحيي الخليقة بعد موتها واما
اختصاص الثانية بقوله يعقلون فلانه قال نسقيكم من بين فرث ودم لبنا خالصا وقد علمنا
ان الفرث لا ينعصر منه ما يسوغ للشارب وان الدم احمر فيحول بقدرة الله تعالى لبنا ابيض
طيبا بعد بعده مما استحال عنه في اللون والطيب ففيه عبرة لمن اعتبر ولما قرن اليه ثمرات
النخيل والاعناب وما يتحول من عودهما الى ما يستلذ ويجلب ما يسر سوى طيب رطبها ويابسها كان
ذلك الى تدبر يعقل به صنع صانع لا يقدر غيره عليه فلذلك قال في الثانية يعقلون واما اختصاص
الثالثة بقوله يتفكرون فلان التفكر استعمال الفكر حالا بعد حال وفي النحل عجائب من صنع الله
ينبع اعجوبة من طاعتها لرئيسها ثم اشكال ما تبني من بيوتها التي لو حاول الانسان مثلها

بامثلة

بامثلة يجتنبها وبعد مرات يقدمها التقدير عليه ثمراتها تجتني من ازهار النبات والاشجار
ما هداها اليه الهام الله لها وارشاده اليها ثم تعكس ما يجتمع في جوفها عسلا فهذه اشياء تقتضي
فكرا بعد فكر ونظرا بعد نظر فلذلك عقبت بقوله يتفكرون المسألة الثالثة يجاب عنها ان يقال
ان الانعام في سورة النحل وان اطلق لفظ جمعها فان المراد به بعضها الا ترى ان الذكر لا يكون
بجميعها وانما اللبن لبعض اناثها فكانه قال وان لكم في بعض الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه
ولهذا ذهب من ذهب الى انه رد على النعم لا يؤدي ما يؤديه الانعام من المعنى والمراد والله اعلم
ما ذكرنا للدلالة التي بيناها وليس كذلك ذكرها في سورة المؤمنين لانه قال نسقيكم مما في بطونها ولكم
فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون فاخبر عن النعم التي في اصناف النعم
اناثها وذكورها فلم يحتمل ان يراد بها البعض كما كان في الاول ذلك الآية السابعة منها
قوله تعالى والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم
قدير وقال في سورة الحج لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا
يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة للسائل ان يسأل فيقول ما الفرق بين قوله لكيلا
يعلم بعد علم شيئا اذا لم يكن فيه من وبين قوله لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ولاي معنى اختصت
دخلت فيه الآية في سورة النحل والجواب ان الجملة التي فصلت في سورة الحج
بها الآية في سورة الحج وكانت لفظة بعد جملة الزمان المتاخر عن الشيء قال والله خلقكم فما
جمل ما فصله في السورة الاخرى وبعده ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم
شيئا اي يعزب عنه في حال تهرم ما كان يعلمه قبل من الحكم ويستدركه من الاراء ويركبه من المذاهب
القويمة فكان هذا موضع جمل لا تفصيل معه ولا تحديد ولم يكن كذلك الامر في سورة الحج لانه
قال يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب يعني اباكم وهو آدم عليه السلام
ثم من نطفة اولاده ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم فذكر تفصيل الاحوال
ومادتها فقال من كذا وكذا الابتداء وكل حال ينتقل منه الى غيره فبين ذكر الحال التي ينتقل فيها من
العلم الى فقده على الاحوال التي تقدم ذكرها فكل احدث اوايلها كذلك احدث الحال الاخيرة

المنتقلة عمّا قبلها بمن فقال من بعد لكي تفقد العلم بعد ان كان عالماً فبان المعنى الاول لذلك
الآية التاسعة منها قوله عز وجل افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون وقال في سورة
العنكبوت اولم يروا انا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة
الله يكفرون للسائل ان يسأل فيقول ما بال الآية من سورة النحل زيد فيها هم وخلت منها الآية
من سورة العنكبوت الجواب ان يقال ان الكلام في سورة النحل قد نقل عن الخطاب
الذي يصلح لغير الكفار الى الاخبار عنهم وهو قوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجاً وجعل لكم من
ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ثم انتقل الكلام عن الخطاب العام الى الاخبار
الخاص فقال افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون فاكد الكلام بقوله هم ليتبين بهم
ان هذا الاخبار خطاب وهو بالياء دون التاء اذ لا فرق في الخط بينهما ولم يكن كذلك
الامر في سورة العنكبوت لان الاخبار المستمر في الآية التي قبل هذه اغنى عما يحضره
للخبر دون غيره وهو قوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم
الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون اولم يروا انا جعلنا
حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون فرادفت
الاخبار عن الغيب اغنى عن توكيده بما يخص على الخبر وذلك واضح لمن تدبره ٥ انقضت
سورة النحل عن ثمانية آيات واحدى عشرة مسئلة

سورة بني اسرائيل

الآية الاولى قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا وما يزيدهم الا نفوراً وقال في
هذه السورة ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفوراً
وقال في سورة الكهف ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل وكان الانسان
اكثر شيء جدلاً للسائل ان يسأل عن اختلاف هذه الآيات في قلة لفظ الاولى
والتقديم والتأخير في الثانية والثالثة والجواب ان يقال ان الاولى جاءت
بعد اخبار عن المتمردين من الكفار وعما آل اليه امرهم من الدمار من مبدأ السورة

ثم عمّا اقام من الدلائل النيرة والآيات البينة وما علقه من الحساب بالاهلة وآية النهار
المبصرة الى ما تجدد من حال الآخرة واشتمال الكتاب على ما قدم من الحسنة والسيئة
وما بعد ذلك من الاوامر والنواهي فجاء بعد ذلك كله قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا
القران ليذكروا فابهم القول المحيط بانواع تصاريف الكلم من الخبر والعبر وضرب
المثل والامر والنهي والوعظ والزجر اذ كان فيما قبله كل ذلك واما الثانية فانها
جاءت بعد الاولى بعد امثال ضربت نحو ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى
واضل سبيلاً وبعد تخويف النبي صلى الله عليه وسلم وتحذيره ليحذر الناس كلهم
اذ يقول تعالى وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره
الى قوله اذاً لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً فقال
بعده وقدم ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل فابى تنبيهاً للناس
ليهتموا بتفهمه ويعتنوا بتدبره ويقفوا عند اوامره وينتهوا عن زواجره فكان
موقع الآية يقتضي تقديم الناس على عادة العرب وتقديم ما عنايتهم بذكره بأي ٢ م
اتم واما الثالثة فانها وقعت في السورة التي ~~فانها وقعت في السورة~~ التي تقدم
فيها ذكر اصحاب الكهف وما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخبار به مما لم يقدر
عليه الا بان يوحى اليه وكان جميع ذلك من خبر موسى عليه السلام مع من وعد لقاءه
وقصة ذي القرنين مما اودع القران وتضمنه الكتاب فقال في هذا المكان
ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل للدلالة على ان ما طلبوه من
النبي صلى الله عليه وسلم قد اوحى الله به اليه في كتابه فكان تقديم ذلك في هذا المكان
اولى والله اعلم الآية الثانية منها قوله تعالى افامنتم ان يخسف بكم جانب
البر او يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً علينا به تبيعاً وقال بعد ذلك
باياتك اذاً لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً

أم أمنتم ان يعيدكم فيه تارة أخرى
فيرسل عليكم قاصفاً من الريح
فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا
لكم صح

وقال ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا للسائل
ان يسال عن اختصاص خواتم هذه الآي الاربع ثم لا تجدوا وثم لا تجد بما خصت
به وهل كان يجوز ان يكون هذه مكان تلك وتلك مكان هذه الجواب ان
يقال ان الاولى بعد قوله افامنتم ان نخسف بكم جانب البر وهو خطاب لمن
ننجيهم من ضر البحر ويسلمهم الى البر فيعرضون عن ذكر ما كانوا فيه من المخافة عند الامن
ويكفرون ما انعم به عليهم من النجاة فقال الذين خفتموه من عذاب الله في البحر
لا تامنونه في البر لان الغرق الذي خفتموه هناك بازائه الخسف وارسال الريح
الحاملة للحصباء فلا يعجزه الان ما امكنه اذ ذاك لا تجدوا من يقوم مقامكم وبعضكم بما يريد
انزاله بكم بعد ما اول ما نطلبه ممن يشرف على الهلكة لينقله الى النجاة واما قوله ام امنتم
ان يعيدكم فيه تارة اخرى يعني في البحر فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا من يتبعنا اذا اهلكناكم
لمطالبة بدمائكم او بانكار ما انزلناه بكم فالذي يلجأ اليه اذا الم يعني الوكيل في
دفع الضرر وقوع الهلكة من يتبع ذلك بانكار او انتصار وهذا ايضا مما
لا تجدونه واما قوله للنبي عليه السلام اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي لو
لا تثبيتنا لك عند تقلبك الركون الى الكفار اي الكفار ضعف عذاب الدنيا وضعف
الآخرة ثم لا تجد لك علينا نصيرا تمتنع به مما نريد احلاله بك وهذا هو النصر وكذلك قوله
ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اي لانسيناك ومحوناه من القلوب والكتب
ذكره ثم لا تجد من يتوكل لك برد شيء منه اليك لكن دبرتك بالرحمة لك فاوليتك
من النعم والالطاف ما ثبتت به على الايمان وسلمت به من الركون الى ما دعاك
اليه وكانوا قالوا لا نتركك تستلم الحجر حتى تلم بآلهتنا فقال في نفسه ما علي ان افعل ذاك
والله يعلم ما في نفسي فامكن من استلام الحجر وقيل انهم قالوا اطرد عنك سقاط الناس ومواليهم
والذين رائحتهم رائحة الضان لانهم كانوا يلبسون الصوف ان كنت ارسلت الينا

لتجلس

لتجلس معنا نسمع منك فهمّ ان يفعل ما يستدعي باسلامهم فنزل هذا الوعيد ان الله
تعالى امره بنفي ذلك في قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه وقال ولا تدع مع الله الها آخر ولذلك قال الله وان كادوا ليفتنونك عن الذي
اوحينا اليك لتفتري علينا غيره وهذان البابان اللذان هم باحدهما من غير عزم منه
عليهما غير ما اوحى الله عليه وقد تبين ان كل خاتمة آية موافقة موقعها لا يصلح سواها
فكانها آيتان ه انقضت سورة اسرائيل عن آيتين ومسئلتين سورة الكهف
الآية الاولى منها قوله تعالى سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم
كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم للسائل ان يسال عن الفرق بين قوله
ثلثة رابعهم كلبهم وخمسة سادسهم بغير واو وبين قوله سبعة وثامنهم كلبهم بالواو وقد
سوى النحويون بين الجملتين التي تجري صفة للنكرة او حالا للمعرفة اذا كان فيها ذكر الاول
في ان دخول الواو عليها وخروجها منها جائزان قال الزجاج دخول الواو ههنا واخراجها
من الاول واحد قال السائل هل في اختصاص سبعة عطف الجملة عليها فائدة تخصها ليست
فيما قبلها والجواب عن ذلك من وجهين احدهما ان يقال ان الفرقة التي قالت كانوا
ثلثة كانت بعدها فرقتان اخريان وكذلك الثانية التي قالت خمسة سادسهم واما
السابعة فانتهت عندها العدة وانقطعت بها القصة ولم يكن هناك فرقة
رابعة يذكر قولها رابعا والشيء اذا تم وانتهى وكانت الجملة فيما ثبته تتصل بالاول اتصال
التي منه كانت الواو فيها دليلا على انقضائها والاخرى كلام في حكم المنقطع منها في اللفظ
وان كان اتصاله بها في المعنى كالاتصال الاولين والثاني ان السبعة لما كانت اصلا
للنهاية في تركيب العدد لان اصل الجمع واحد والواحد فرد والتركيب بعده بان يضم فرد
الى فرد فيصيران زوجا فيحصل بضمهما الى الواحد السابق ثلثة فرد لم يضم اليه شيء وفرد
ضم اليه فرد ثم ضما الى فرد فيحصل به زوج الى فرده وبلغت عدة المركبات ثلثة وبقي ان

يضم زوج الى زوج وهو اثنان يضمان الى اثنين فيصير اربعة فاذا ضمت الاربعة الى الثلثة
تكاملت التركيبات فلا يرى بعدها تركيبا خارجا عن ذلك فصارت السبعة اصلا للمبالغة
في العدة ولهذا خصت السموات بسبع من العدد والارضون مثلها والكواكب والاسبوع
وقال تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقال
في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه وللمقربين في ذلك جواب ثالث وهو ان العرب تقول
واحد اثنان ثلثة اربعة خمسة سبعة وثمانية فاذا بلغت الثمانية لم تجرها مجرى الاصوات
التي لا تعطف بعضها على بعض كما يقال في الحروف المقطعة الف ب ت ث واحتجوا بايات
من القران التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر فعطف الناهين على ما قبله ولم يدخلوا واو العطف على غيره وكذلك
قالوا في قوله حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها لان ابواب جهنم سبعة وقال حتى اذا جاؤها
وفتحت ابوابها وابواب الجنة ثمانية وقال مثل ذلك في قوله مسلمات مؤمنات قانتات
تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا وان كان هذا مخالفا لما تقدم اذ الثيبات
لا توصف بالابكار فكانت الواو هنا من جملة اخرى لا تجوز تركها قلت ويمكن ان ينصر
هذا القول ويعضد بطريق من القياس تختص بثمانية وهو ان الياء في ثمانية وثمان
ياء النسب التي في قولك يمان وشام وتهام ورباع في الفرس الرباعي وكان الاصل يمني
وشامي وتهامي وربعي وثماني وياء النسب من خصائص الاسماء لا تكون في غيرها وهي
اذا دخلت على ما خرج من الاسم عن بابه كمداين وطلحة الى باب ما لا ينصرف اعادته الى باب الاسم
وابطل عنه سببه غيره الموجب لمنع الصرف فيقول مدايني وطلحي فيصرفه وان صار بالياء
اثقل مما كان فلما دخل على ثمانية ما يخصها بباب الاسم اجريت على حكم الاسم وازيل عنها
حكم الصوت فعطف على ما قبلها فان قال ان هذا ابن مكي في نكتة لان التانيث من خصائص
الاسم قلت هذه العلامة اعني امارة التانيث يتصل بالفعل في نحو قامت وقعدت وتفصل

بالحرف

بالحرف في نحو ربت وثمت فيزول الاختصاص فان قال قائل فالتثنية ليست الا في الاسم فوجب
في قوله اثنان ان يقول واحد واثنان قيل لا يختلف البصريون في ان الكاف من ذلك ليست
اسما وهي تثنى في قولك ذانك وذلكما ومما علمني ربي وذلكم يوعظ به فيزول ما ذكرنا اختصاص ما عارض
به من المختص بالاسم دون غيره الاية الثالثة منها قوله عز وجل قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا
وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وقال في سورة حم
السجدة ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى للسائل ان يسال عن قوله في الاولى رددت وفي الثانية
رجعت وهل يجوز احدى اللفظتين مكان الاخرى في الاختيار الجواب ان يقال ان
الاول بقوله رددت اولى وذلك لما تقدم من وصف الجنتين اللتين حوتا مراده وتمنتا عليه
ما اراده وتقديره فيهما انهما يدومان له والرد عن الشيء يتضمن معنى كراهة للمردود يقول
قصد فلان فلانا فرد عنه وقصد فلانا فرجع فلما كان الاول سعا عن حسبه وهو
خلاف محبته كان استعمال اللفظ الذي يدل على الكراهة فيه اولى والثانية لم يتقدم فيها مثل
ما تقدم هذه لان قبلها لا يسام الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ولئن
اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وليس في رجعت ما في رددت من كراهة وهو ان يلحقان المرجع فافترق الكلامان
الاية الثالثة منها قوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه
وقال في سورة السجدة ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها للسائل ان يسال عن
استعمال الفاء في الكهف في قوله فاعرض عنها واستعمال ثم في السجدة الجواب ان يقال
الفاء وثم مشتركتان في ان ما بعدهما في اللفظ متاخر عما قبلهما في المعنى ومختلفان في ان
الفاء قرب به ما بعدها مما قبلها وفي ثم تراخيا وبعدا اذ استعمال الفاء في سورة الكهف ٧ كان مع
اولى واستعمال ثم هناك احق واحرى وذلك ان ما في سورة الكهف في ذكر قوم يستدعون

الى الايمان ولم يختم اعمالهم بالكفر كقوله تعالى ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا
به الحق واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا فكانهم عقبوا التذكير بآيات الله الاعراض
عنها وقبولهم للدين واقبالهم عليه من حواو منهم وليس كذلك قوله ثم اعرض
عنها الآية في وصف الكفار بعد موافاتهم القيمة ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا
رؤوسهم عند ربهم الى قوله ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون
ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها اي ذكر مدة عمره بآيات ربه وتطاول
الامر بزجره ووعظه ثم ختم ذلك بذكر القبول والاعراض فكان هذا قول يقال لهم
عند الانتقام منهم كما حكى قولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
فقد بان بما ذكرنا ان ثم هنا مكانها والفاء هناك الآية الرابعة منها قوله عز وجل
في الحكاية عز وجل في الحكاية عن موسى عليه السلام لما خرق الخضر السفينة لقد جئت
شيئا امرا ولما قتل الغلام لقد جئت شيئا نكرا للسائل ان يسال عن الامر والنكر
وهل كان يصلح احدهما في موضع الآخر ام لكل معنى يخصه بمكانه الجواب ان يقال
قيل في الامر انه الداهية قيل انه العجب والنكر ما تنكره العقول ولا تعرفه ولا تجوزه وروي
عن قتادة انه قال النكر اعظم من الامر لان الامر حمل على الداهية وهي التي تدهى الانسان
بما لم يحتسبه فيحترز من وقوعه والعجب قد يكون غير منكر والنكر لا يستعمل الا في المذموم الذي
تخرج عن المعروف في العقل او الدين فاختص الاول بالامر لان خرق السفينة التي
لم يغرق فيها احد اهون من قتل الغلام الذي قد هلك وقيل الامر اعظم من النكر لان من
يعرف عددها في السفينة اكثر من قتل نفس واحدة وليس كذلك لان الغرق لم يقع
والقتل قد حصل الآية الخامسة قوله عز وجل في الحكاية عن الخضر بعد قوله لقد جئت
شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا
للسائل ان يسال عن زيادة لك في الثانية واخلاء الاول منها والجواب ان يقال انه

التوهم

وبعد قوله لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع

في الاول

في الاول لما قرب موسى وذكره ما كان تقدم القول فيه من ان الصبر على ما يراه منه
يثقل عليه فقال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا وهذا معناه في غالب ظني انك
تعجز عن احتمال ما ترى حتى تبادر الى الانكار فلما راى قتل الغلام عاد الى الانكار اكد
التقرير الثاني بقوله لك كما يقول القائل لك اقول واياك اعني ولو قال اقول لك واعنيك
بكلامي لاستويا في المعنى الا في تاكيد الخطاب بالتقريع فكانه قال الم يكن خطابي لك دون
من سواك وهذا واجب في الثاني لا في الاول الذي لم يتاكد حجة الخضر فيه كما اكدها في الثانية
الآية السادسة قوله عز وجل فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا للسائل
ان يسال عن اسطاعوا في الاولى لما خصت بحذف التاء دون الثانية في جل القراءات
والجواب ان يقال الثانية تعدت الى الاسم وهو قوله نقبا فخف متعلقها فاحتملت ان تتم
لفظها واما الاولى فانها تعلقت بما كان مفعولها بان والفعل بعدها وهي اربع اشياء ان
والفعل والفاعل والمفعول الذي هو الهاء فثقل لفظ اسطاعوا وكان تجوز تخفيفه حيث
لا يقارنه ما يزيده ثقلا فلما اجتمع الثقلان واحتمل الاول التخفيف لزم في القراءات دون
الثاني صفة متعلقه انقضت سورة الكهف ستة ايات وستة مسايل

سورة مريم

الآية الاولى منها قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم فويل
للذين كفروا من مشهد يوم عظيم وقال في سورة الزخرف فاختلف الاحزاب من بينهم فويل
للذين ظلموا من عذاب يوم اليم للسائل ان يسال فيقول هل في اختلاف لفظي كفروا وظلموا
من الآيتين ما يختص احدهما بمكانه والآخر بالموضع الذي جاء فيه والاحزاب الجواب ان
يقال الآيتين في قصة عيسى عليه السلام بعد من اثبت لله تعالى ولدا لقوله تعالى في سورة
مريم ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال في سورة
الزخرف ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه
الى قوله فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين والكفر اعظم من الظلم وان كل كافر ظالما
كان
ظلموا م

لنفسه فلما قالوا في عيسى انه ابن الله وكفروا بذلك وظلموا انفسهم اخبر الله عنهم في القصة التي
شرح فيها ابتداء امره بالوصف الذي يتضمن لفظ اكبر الذنوب وهو الكفر ولما اجمل في السورة
الثانية ما فصله في الاولى وصفهم بالوصف الذي يدل على انهم حرموا انفسهم ما عرضوا له من
الثواب واوجبوا عليها اليم العذاب فبذلك ظلموها اعني بالكفر الذي كان منهم لما دعوا للرحمن
ولدا تعالى وتقدس الله تعالى منه الاية الثانية منها قوله تعالى فسوف يلقون غيا الا من تاب وامن و
عمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا وقال في سورة الفرقان ومن يفعل ذلك
يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما للسائل ان يسال فيقول ما بال الفعل
في الاية الاخيرة اكد بذكر المصدر معه من دون الفعل في الاية الاولى الجواب ان يقال اما
الاولى فانه بعد قوله فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون
غيا الا من تاب موضع اختصار لذكر المعاصي فبني الكلام عند ذكر التوبة على ما بني عليه عند ذكر المعصية
ولم يكن كذلك الموضع الثاني لانه بدا بقوله والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس
التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة
ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فلما ذكر الكبائر وان اولياء الله يجتنبونها
وان من اتاها ضوعف له العذاب الا ان يتوب ويعمل عملا صالحا كان الموضع موضع توكيد
لانه لمن يعمل العمل الصالح بعد ارتكاب الكبائر التي عدها فلما اكد الكلام هناك وجب تاكيده
هنا اعني محو السيئات المتقدمة والحسنات المستانفة فاختلاف التوكيد لما ذكرناه انقضت
سورة مريم عن آيتان وعن مسئلتين سورة طه الاية الاولى منها قوله عز وجل هل
اتاك حديث موسى اذ راى نارا فقال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بقبس او اجد
على النار هدى فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى
وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني الى قوله وما تلك بيمينك يا موسى قال هي

عصاي

عصاي وقال في سورة النمل اذ قال موسى لاهله اني انست نارا ساتيكم منها بخبر او آتيكم
بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله
رب العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم والق عصاك للسائل ان يسال فيقول قال الله
تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهل الاختلاف الا هذا الذي في
سورة في الاخبار عن قصة واحدة مرة انه قال لاهله لعلي اتيكم منها بقبس او اجد على النار
هدى وفي الاية الاخرى ساتيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب قبس وفي اية اخرى او جذوة من
النار ثم قوله فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك الى قوله وما تلك
بيمينك يا موسى وفي السورة الثانية فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن
حولها وسبحان رب العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم والق عصاك
وكذلك جاء في سورة القصص فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في
البقعة المباركة من الشجرة يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك
فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا والجواب ان يقال ان الله تعالى لم يخبر
انه خاطب موسى باللغة العربية بالفاظ اذا عدل عنها الى ما لا يخالف معناها كان
اختلافا في القران قادحا فيه بل معلوم ان الخطاب كان بغير هذه اللغة وانه
تعالى اخبر في بعض السور ببعض ما جرى وفي الاخرى باكثر مما اخبر فيه في التي قبلها
وليس يرفع بعضها بعضا فاما قوله تعالى آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فانه
معنى قوله ساتيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب قبس لان الخبر الذي ياتيهم به هو ان يجد
على النار من يهديه ويخبره ان الطريق هو ما عليه او غيره وجود الهدى وان يخبر
اهتدائه في طريقه او غيره شيء واحد لا اختلاف فيه واما قوله تعالى فلما اتاها نودي
يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك فهو مما جرى ولم يخبر الله تعالى به في سائر السور
فاخبر في هذه وكذلك القول في العصا وسواله وتقريره على وصف حالها حيث

يقول وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكأ عليها الى قوله سنعيدها سيرتها الاولى هو من ذلك الاية الثانية منها قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي الى قوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وقال في سورة الشعراء واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هارون ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون وقال في سورة القصص اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا يصدقني اني اخاف ان يكذبون قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون للسائل ان يسأل عما حكى الله تعالى من قول موسى عليه السلام لما بعثه الى فرعون واختلافه في السور الثلث لان ما في سورة طه سوى ما في سورة الشعراء وما في سورة القصص والجواب عن ذلك ان قوله رب اشرح لي صدري طلب امان له من ان يقتلوه وكذلك قوله في السورة الثالثة قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون وقوله ويسر لي امري اي سهله حتى اؤدي رسالتك فاذا أمن القتل فقد فعل ما طلبه واما قوله واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فهو معنى قوله ولا ينطلق لساني فارسل الى هارون وكذلك في سورة القصص واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا يصدقني اني اخاف ان يكذبون فطلب ان يحل عقدة من عقد لسانه لما حكاه الله عز وجل من قول فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين وسائر ما ذكر في سورة ولم يذكر في اخرى ليس من الاختلاف الذي يعاب واما قوله اذهب الى فرعون انه

ان تقتل من قتله وهذا
معنى قوله اخاف ان يكذبون
ويضيق صدري لانهم
لو صدقوه ما خاف صح

طغى

طغى وقوله في الشعراء ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون وقوله في القصص الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين ففي الاية الاولى ذكر فرعون وحده لان قومه تبع له وكانهم مذكورون معه وفي الاية الثانية ذكر قوم فرعون من دونه ومعلوم انه منهم ومخاطب بمثل خطابهم واذا انتهوا وامنوا كان فرعون وحده لا يقدر على مخالفتهم فترك ذكره في هذه الحالة في حكم التابع لهم وخطابه بهم خطابه واما الموضع الثالث فان الحكاية اتت على فرعون وملائه فبنيت على ما انطوت عليه الايتان من قبل ذكر بعض والاكتفاء به من بعض وهذا انما كان في موضع لمن موسى وحده اذهب الى فرعون وان ائت القوم الظالمين في لان هارون تابع له وداخل في حكمه وابان ذلك في موضع فقال فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وقال بعده فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل الاية الثالثة منها قوله عز وجل افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم وقال في سورة السجدة اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون فادخل من على قبلهم هنا ولم يدخلها هناك مع تساوي المكانين والمعنيين فقال للسائل عن ذلك لما كانت هذه الاية مفتتحة بقوله افلم وتلك مفتتحة بقوله اولم ولما اختلفتا من هذه الجهة فكان ما دخلته الفاء لانه يتعلق بما قبله الخبر بالمبتدا والجزاء بالشرط فيكون جملة تماما لجملة قبلها تشتغل فيختار فيه التخفيف وما دخلته الواو لا يقتضي ما يقتضيه الفاء بنفسها بل حقه الانقطاع عما قبله ولذلك يجوز ان يكون المؤخر بعدها في اللفظ مقدما في المعنى فاما دخول من وحذفها فقد بيناه في قوله ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك وفي موضع بعد ما جاءك وهو ان القائل اذا قال كم اهلكنا قبلهم فكانه قال في الزمن المتقدم على زمانهم فالزمان من اوله الى آخره ظرف للاهلاك لا يخص به بعضه دون بعض فان قال فلم جاء في سورة طه افلم يهد بالفاء قلت لانه تقدم قوله قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها فمعناه فتركت الاهتداء بها فقال افلم يهد لهم والتقدير من تأته اياتنا فعليه الاهتداء بها وانتم اتتكم اياتنا فلم تتوقوها

الحكاية اتت صح

موضع صح

ثم قررهم على ما نصب
لهدايتهم واحتج عليهم
بتركهم الاهتداء به صح

حتى فهل يعلم ما الرتكم فيها فالذي اوجب الثاني في هذا المكان هذا المعنى ولم يذكر مثله في
سورة السجدة من تعلق بما بعد او لم بما قبله تعلق هذه الآية بما تقدمها لان هناك
ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا
منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اولم يهد لهم فلما انفصل جاء بالواو ولما جاء بالواو ولم واحدا
يكن من شرطها تركيب الجملة مع جملة يكونان كلاما محققة فادخلت عليه من التي خففت
من الآية الاولى لتحديد ابتداء الزمان فيكون ابلغ في الاستيعاب ٥ انقضت سورة طه
عن ثلث آيات سورة الانبياء عليهم الصلوة والسلام الآية الاولى منها قوله عز وجل واذا راك
الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون وقال
في سورة الفرقان واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا للسائل ان
يسأل عن اظهار الفاعلين في راك الذين كفروا من سورة الانبياء واضمارهم من سورة
الفرقان الجواب ان يقال ان ما قبل الآية في سورة الانبياء عليهم السلام كل نفس ذائقة الموت
ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون فلم يجر للكفار ذكر في الآية التي قبل هذه فكان الاختيار
الاظهار واما في سورة الفرقان فان قبل الآية افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا
اي لم ير الكفار في زمانك القرية التي امطرت مطر السوء فيحذروا فلما كان الذكر متقدما في اول
الكلام اليها كان الاختيار الاضمار الآية الثانية منها قوله تعالى اذ قال ابراهيم لابيه
وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدون وقال في
سورة الشعراء واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد
نعبد اصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا
بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون للسائل ان يسأل عن اختصاص هذا المكان بقوله وخلو المكان بل
الاول منه الجواب ان يقال ان الآية الاولى وقع السؤال فيها على جهة بلح في الجواب

لا يقتضي

لانه قال

لانه قال ما هذه الاصنام التي تنحتونها تماثيل وعكفتم عليها وكانه سفه آراءهم وقال لهم
لم تفعلون ذلك وتعبدون ما تنحتون فقالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فاقتدينا
بهم وفي سورة الشعراء تقدم سؤاله ما ضربوا عنه ونفوا ما تضمنه لانه قال هل يسمعونكم
اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون فقالوا مضربين ما هذه الاشياء التي قد نحتوا عليها
من عباداتهم ما لا يسمع ولا ينفع ولا يضر وما لا يعلمون انه جماد لا حياة فيه ولا نفع ولا ضر
عنده فكانهم قالوا لا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون فلان السؤال هنا يقتضي
في جوابهم ان ينفوا ما نفاه عليه السلام اضربوا عنه اضراب من ينفي الاول ويثبت الثاني
فاختصاص المكان ببل لهذا الآية الثالثة منها قوله تعالى وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين
وقال في سورة والصافات وارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين للسائل ان يسأل فيقول
هذا في قصة واحدة جاء في موضع الاخسرين وفي موضع الاسفلين فهل في كل من
المكانين ما يخص اللفظ الذي خص به والجواب ان يقال اما في سورة الانبياء
فان الله تعالى اخبر فيها عن ابراهيم انه قال تالله لاكيدن اصنامكم ثم اخبر عن الكفار لما
القوه في النار وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين والكيد سعي في مضرة لتورد على غفلة
فذكر مكايدة بينهم وبين ابراهيم فكادهم ولم يكيدوه لانه كسر اصنامهم ولم يبلغوا
من احراقه مرادهم فذكر الاخسرين لانهم خسروا فيما عاملهم به وعاملوه من المكايدة
التي اضيفت اليهما واما التي في سورة والصافات فان الله اخبر عن الكفار فيها بما اقتضى
الاسفلين وهو انه قال قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فبنوا له بناء عاليا ورفعوه
التي فوقه ليرموا به من هناك الى النار اججوها فلما علوا ذلك البناء وحطوه منه الى اسفل
عادوا هم الاسفلين لانهم اهلكوا في الدنيا وسفل ابراهيم في الآخرة والله تعالى
امرهم نجى نبيه واعلاه عليهم فانقلب عليهم امرهم في صعود البناء وسافل ابراهيم عليه السلام
فلما حط الى النار ان صار ذاك سافلا وامر النبي صلى الله عليه وسلم عاليا فلذلك خصت هذه الآية فجعلناهم الاسفلين

الآية الرابعة منها قوله عز وجل وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم
الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم برحمة من عندنا
وذكرى للصابرين وقال في سورة صاد واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني
مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا
له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب للسائل ان يسأل عن الفرق بين
موضعي قوله رحمة من عندنا ورحمة منا وقوله وذكرى لاولي الالباب وقوله وذكرى
للعابدين وهل في كل مكان من المكانين ما يخص ذلك دون غيره والجواب ان يقال
اخبر الله تعالى في سورة الانبياء عن ايوب عليه السلام بانه نادى ربه وشكى اليه ما مسه
من الضر وسوء الحال بالمرض الذي طالت به ايامه حتى تاكل جسمه وتساقط لحمه وبالفقر
الذي ناله واحتاج ماله فبان ان الله تعالى ابتلاه بجميع ذلك وما احدث فيه المرض الذي اضعفه
عن تعهد حاله حتى زال جميع ملكه ليعطيه على صبره الثواب العظيم وليعوضه من نعيم الجنة ما هو
خير له مما سلبه من ماله وصحة بدنه فكانه لما قال مسني الضر قال مسني من عندك يا رب ما تعلم
وانت الاكرم الارحم فقال وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا اي كما كان الضر من
عندنا كان كشفه والرحمة مكانه من عندنا ومعنى من عندنا اي من حيث لا يبلغه قدر العباد
فكل مكان اختص بقدرة الله وحده يطلق عليه عند الله واما قوله وذكرى للعابدين فالمعنى
فعلنا به ما فعلناه رحمة له وتذكرة لمن عبد الله بعبده باخلاص منه فلا يحول عن حمده وطاعته
مع ما تصرف عليه من الدنيا ومصايبها التي ينزلها الله به بل يثبت معها على ادامة العبادة
وامدادها بالزيادة كما فعله ايوب عليه السلام فاما في سورة ص فان الله تعالى لما اخبر فيها عنه
فانه قال واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب وشكا الى الله ما لحقه
من اذى الشيطان بوسوسته الى الموفقين احتياله للحيلة ليضيق صدره وينقص حمده وشكره فيما ان
عليه المرض الذي ينقص منه الابدان في جنبه فيؤثر في الاديان ويخل بالطاعات ويشغل من الزمان

ملافيه

بعدا فعل الوسواس فلما كان هذا الاهم وخاف من جهته الضرر الاشد اغاثه الله برحمة
منه مضافة اليه مختصة بارادته اذ كانت افعال الله منها ما يختص به ويضيفها
الى نفسه كقوله تعالى ان تسجد لما خلقت بيدي ومنها ما يامر به بعض ملائكته وان اجراه
من فعله ومختص به كقوله تعالى فنفخنا فيها من روحنا يقال انه امر جبريل عليه السلام
فنفخ الروح في فرجها وخلق الله تعالى عيسى في رحمها فلما كانت شكوى ايوب عليه
السلام فيما اخبر الله به في سورة ص اعظم والبلوى بها اكبر اخبر انه رحمه رحمة وانعم عليه
نعمة لا يجري امثالها على ايدي خلقه بل هي مما يختص بفعله ولا يوليه مقربا من ملائكته
وان كان ما يقدرهم عليه من مثل ذلك مضافا الى قدرة الله تعالى فهذا فرق ما بين قوله
رحمة من عندنا ورحمة منا واما قوله وذكرى لاولي الالباب فلان اولي الالباب اعم من
العابدين واستدفاع وساوس الشيطان اعم من الاستشفاء للابدان فخص بكل آية
ما اقتضاه صدر الكلام وتعريض ايوب بالسؤال الآية الخامسة منها قوله عز وجل
والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وقال في سورة التحريم ابنت عمران التي ومريم ح
احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا للسائل ان يسأل فيقول هل كان مختارا ان يعود
ضمير المذكر في الآية من سورة الانبياء عليهم السلام فيجي فنفخنا فيه كما جاء في الاخيرة الآية ح
ام الحال مكان مما يخص الذي جاء عليه الجواب ان يقال لما كانت القصة في سورة
الانبياء الى الاخبار عن حال مريم وابنها وانهما جعلا آية للناس وكان النفخ فيها اللفظ ح
مما جعلها حاملا والحامل صفة الجملة فكانه قال والتي احصنت فرجها فصيرها النفخ
حاملا حتى ولدت والعادة جارية ان لا تحمل المراة الا من فحل ولا يولد
الولد من غير اب فلما كان القصد التعجب من حالتها وانها بالنفخ صارت ح
حاملا والضمير الى جملتها دون بعضها كان قوله فنفخنا فيه من روحنا فلما لم يكن
القصد فيه الى التعجب من حالها بالحمل عن النفخ وولادتها لا عن اقتراب الفحل لم يكن

من القصد الى وصف جملتها بغير الصفة التي كانت عليه قبلها ما كان في الاية الاولى فجار اللفظ على اصله والمعنى تنحنا في وجهها ولم يسق الكلام الى ما سيق اليه في سورة الانبياء على نبينا وعليهم الصلوة والسلام من وصف حالها بعد النسخ فاختلف لاجله الاية السادسة منها قوله تعالى وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون وقال في سورة المؤمنين وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون للسائل ان يسال عن خلاف فاعبدون وقوله فاتقون في الايتين وعن الواو والفاء في قوله فتقطعوا امرهم وقوله وتقطعوا الجواب ان يقال في قوله تعالى وان هذه امتكم امة واحدة ثلثة اقوال احدها ان يكون الاشارة بهذه الى امم الانبياء صلوات الله عليهم ويكون المعنى انهم امتكم في حال كونهم جماعة واحدة وعلى دين واحد في اصول الشرع كالتوحيد وصفات الله واثبات النبوات والمقام على طاعة الله فمتى تفرقوا في طرق الباطل لم يكن بينكم وبينهم نسبة والثاني ان يكون المعنى وان هذه امتكم مقصود بها دين واحد والامة كل جماعة يسلك بها مقصد واحد من امت اذا قصدت اي امتكم وان تفرقت ازمنة فانها يقصد بها دين واحد فهي امتكم مقصودا بها التوحيد وهو افراد الله تعالى بالعبادة والاخلاص له فيها والثالث ان تكون الامة الملة وهي الدين اي هذه ملتكم ملة واحدة لانها الاسلام وقوله وانا ربكم فاعبدوني وربكم القايم بمصالح اموركم من ابتداء كونكم الى انتهاء اجالكم هو انا فاخلصوا الي العبادة وقوله وتقطعوا جاء بالواو لانه لم يكن ما بعد الواو كالجواب لما قبلها كما كان ذلك في الفاء لانه يجوز ان يكون تقطعهم امرهم قبل ان خوطبوا بقوله فاعبدون فصار بعضهم يعبد الله وحده وبعضهم يعبد معه غيره وبعضهم لا يعبده كان قبل اخبار الله جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام

ان هذه الامم

ان هذه الامم اسمهم جماعة واحدة غير متفرقة وهو الذي دعا الى ان نبههم فقال خالقكم واحد وهو الذي يرزقكم هو فاقصدوه بالعبادة دون من سواه واذا كان كذلك كان قوله وتقطعوا امرهم اي تقطعوا امر دينهم قطعا وافترقوا فيه خبرا غير متعلق بما قبله تعلق الجواب بالابتداء بل ذلك هو ما بعد الفاء في قوله عقيب هذه الاية فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فان سعيه مقبول وهو عمل عمله مثاب ومن عمل صالحا والايمان معه مثل معونة الضعيف واغاثة اللهيف وصلة الرحم واضافة النعم والكف عن الظلم يقبل سعيه ومعنى ضمن قوله وحرام على قرية اهلكناها انهم
واما قوله في الاية الاولى وانا ربكم فاعبدوني واختصاصها بها دون قوله فاتقون فلانه خطاب للفرق التي تفرقت في طرق الباطل ولم يخلصوا العبادة لله فنبههم الى ان يعبدوه والتي في سورة المؤمنين انما هو خطاب للرسل لقوله يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون وقد جاء في خطاب الانبياء عليهم السلام والمؤمنين والصالحين بعد امرهم اتقوا الله قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد فلما كان الكثر من خوطب في السورة الاخيرة الانبياء والمؤمنين وهم يعبدون الله عز وجل وجههم اليهم من الفرق الذين غلبوا عليهم فخوطبوا بما يخاطب به المؤمنون وهو اتقوا الله اذ كان الكثر منهم له عابدين ومعنى اتقوه احترزوا بطاعته مما اعده لاهل المعصية وامتنعوا بموجبات الثواب عن موجبات العقاب فكان هذا موضع اتقون كما كان في الاولى موضع اعبدون واما في سورة المؤمنين في قوله فتقطعوا فلانه لما ذكر الزبر صار قوله فتقطعوا كالجواب لما قبله لانهم قطعوا امر دينهم كتبا منزلة من الله عز وجل فمنهم من دان بالتوراة وكفر بما سواه من الانجيل والقران ومنهم من دان بالانجيل وكفر بالقران فلما كان ما قبل الفاء خطابا للرسل وامهم وقال كونوا جماعة واحدة فصار

[illegible]

بالتوراة

انه صح

كانه قال امرتهم بائتلافهم والاتفاق في الدين فتقطعوا امرهم فيه فقطعوا وافترقوا
فيه فرقا وكل يتعذر على الصواب ويتمسك بما في الكتاب فهو فرح بما لديه معول عليه
فكان ما بعد الفاء هاهنا في تعلقه بالاول تعلق الجواب بالمبتدا كما بعد الفاء في
قوله في الاية الاولى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فانه مؤمن متعلق بما قبل
تعلق الجواب دون قوله وتقطعوا سورة الحج الاية الاولى منها قوله عز وجل
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق للسائل ان يسال
عن قوله من غم في سورة الحج وخلو الاية في السجدة منه الجواب ان يقال انه تعالى لما وصف
من احوال اهل النار في هذه السورة في الاية المتضمنة لهذه اللفظة بقوله فالذين كفروا
قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم
مقامع من حديد فاخبر ان النار تشتمل عليهم من جوانبهم كاشتمال الثياب وقيل ثياب
نحاس من نار وهو النهاية في الاحماء والاحراق ثم خص الرؤوس بصب الماء المغلي
عليها وقيل في التفسير انه ينفذ الى اجوافهم فيسلت ما فيها ويذوب ما في بطونهم من الشحوم
وتساقط ما عليهم من الجلود مع زبانية بايديهم مقامع من حديد يضربون بها رؤوسهم اذا
حاولوا الخروج من النار فلما وصفهم بان العذاب من جميع الجوانب اكتنفهم صاروا بما حاط
ذلك بهم وسد انفاسهم عليهم بمنزلة البعير المغموم بالغمامة التي تسد متنفسه فلا يجد
فرجة والطبق المغموم المستور قال القطامي اذا راس رايت طماحا شددت له الغمائم
والعصاعا وليس الغم هاهنا الحزن وان كان اصله من ذلك لكنه تغطيته بالعذاب والاخذ
بكظمهم ان يخرجوا من النار التي جلست عليهم كل ذلك اقبلت الزبانية تحثهم بما
يدق رؤوسهم والاية في سورة السجدة لم يشتمل من احاطة العذاب بهم
من الثبات من النار وصب الحميم اذابة الشحم ما ذكر في هذه الاية للسائل واما الذين
فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فلما لم يتقدم ذكر

وقيل من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق وقال في سورة السجدة كلما ارادوا ان يخرجوا منها ٩٤

فلما تقدمت وصفها احاط بهم ذكر هذا الغم اي كلما ارادوا من الكرب الذي ياخذ بكظمهم صح

ذكره

مايطبق

ما يطبق بهم ويغمهم ويصير كما يسد مخارج انفاسهم لم يذكر انهم يحاولون
الخروج من اجل الغم الذي اقتضت الاية في الحج ذكره ولم يقع مثله في السجدة
من مقتض فلم يقع المقتضي لذلك الاية الثانية منها قوله تعالى فكاين من قرية
اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وقال بعده بايات وكاين من قرية
امليت لها وهل لكل واحد ما يوجب اختصاصه بمكانه دون الاخر الجواب ان
يقال ان قوله فكاين من قرية اهلكناها جاء بعد قوله وان يكذبوك فقد كذبت
قبلهم قوم نوح الى قوله وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان
نكير فلما جاء عقيب ما وصف من اهلاكهم وصفهم بذلك والثانية بعد قوله ويستعجلونك
بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة فذكر عقيب استعجالهم العذاب والله يذكر
غيره من الاملاء لهم وتاكيدا لحجة عليهم فكل لفظة في مكانها الذي يليق به
الاية الثالثة منها قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
ورزق كريم وقال بعده بايات الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين امنوا وعملوا
الصالحات في جنات النعيم للسائل ان يسال فيقول هل كان يجوز في الاول في
جنات النعيم وفي الثانية لهم مغفرة ورزق كريم واما المعنى الذي خصص كلا
من اللفظين بمكانه الجواب ان الاول خبر عن حال القوم في الدنيا لقوله قل يا
ايها الناس انما انا لكم نذير مبين ثم قال فالذين امنوا وعدوا الغفران والرزق الكريم
ولم يجز هنا ان يقال لهم جنات النعيم الا على ضرب من المجاز انهم مستحقون لها
فكانهم فيها وليس الاية الاخيرة لانها خبر عن الحال في الاخرة لقوله الملك يومئذ
لله يحكم بينهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم اي يوم القيمة
يكونون في دار الثواب فلما اختلف المقتضيان اختلف المقتضيان فذكر كل

كذلكم

واحد في المكان الذي لاق به الآية الرابعة منها قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق وان
ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير وقال في سورة لقمان ذلك
بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير للسائل ان يسال
عن تخصيص الآية من سورة الحج بالتوكيد في قوله وان ما يدعون من دونه هو الباطل واخلاء
منه في لقمان الجواب ان يقال ان الاولى وقعت في مكان تقدمت فيه توكيدات مترادفة
في ستة مواضع وهي قوله والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم رزقا حسنا
فاللام والنون للتوكيد وبعده وان الله لهو خير الرازقين واللام مع هو مؤكدتان
وبعده ليدخلنهم مدخلا واللام والنون سبيلهما تلك السبيل وبعده ان الله لعليم حليم
اللام التي في خبر ان كذلك وبعده لينصرنه الله ان الله لعفو غفور فلما ترادفت التوكيد
وجاء في هذا الموضع وجاء بعده خبر بين خبرين الا وهو ذلك فان الله هو الحق وقوله
وان الله هو العلي الكبير اقتضت اشباهه مثله فجاء الخبر الثاني الواقع بين الخبرين وبعد
الاخبار المؤكدة مؤكدا بقوله هو فقال وان ما يدعون من دونه هو الباطل وليس كذلك
ما جاء في سورة لقمان لانه لم يتقدمه التوكيدات التي تستتبع امثالها كما تقدمت في
الاولى الآية الخامسة منها قوله له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد
وقال في سورة لقمان لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد للسائل ان يسال
عن اعادة ما في الآية الاولى في قوله له ما في السموات وما في الارض واخلاء الثانية منها وهو
لقوله لله ما في السموات والارض وعن قوله في الاولى وان الله لهو الغني الحميد فادخل اللام
على هو ولم يدخلها في التي في لقمان الجواب عن ذلك نحو الجواب الاول وهو شاهد يحقق
ما اجبنا به من اختيار التوكيدات حيث يقصد بناؤه على الكلام المتقدم له لان هذه
الآية تابعة لتلك لا تجاوزها الا قوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض
مخضرة ان الله لطيف خبير محمولة على نظائرها المذكورة قبلها وخالفته التي في سورة

لقمان

لقمان بكونه بموقعها فلم تؤكد كما اكدت الاولى سورة المؤمنين الآية الاولى منها قوله
عز وجل في قصة نوح عليه السلام فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر
مثلكم يريد ان يتفضل عليكم وقال بعد هذه القصة وقال الملأ من قومه الذين كفروا
وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم للسائل ان يسال
عن تقديم من قومه في الآية الاولى وهل كان يصلح احدهما مكان الاخرى والجواب
ان يقال لما انقطعت صفة الملأ في الآية الاولى الى المحكي من قولهم قرن الوصف بالذين
الى الموصوف ثم جيء بالجار والمجرور فكان منتهى بيان فاعل قال ولم يكن كذلك الفصل في
الاخيرة لانه عددت افعال عطف على الفعل الذي هو صلة الذي فقدم الجار والمجرور لئلا
يحال بين الصلة وما عطف عليها فقال وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة
واترفناهم في الحيوة فلو كان كل ذلك بما اتبع قوله كفروا وقال وقال الملأ الذين كفروا من
قومه وكذبوا بلقاء الآخرة لم يكن على النظم المرتضى فيما يستفصح من الكلام وان كان جائزا
فلذلك قدم الجار والمجرور في الآخرة واخر في الاولى الآية الثانية منها قوله من قصة نوح
حتى اذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وقال في سورة هود
وكان حق ذلك ان يذكر هناك حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها للسائل
ان يسال فيقول لم اختلف في الآيتين قوله قلنا احمل فيها وقوله فاسلك فيها وهل كان
يصلح كل واحد منهما مكان الآخر ام هناك معنى يخصص كلا بمكانه الجواب ان يقال
قوله قلنا احمل اخبار عما كان من الله تعالى الى نوح من الامر بحمل ما يحمله في السفينة ومن
يحمله من المؤمنين وتقدم اليه لاعدادهم للركوب معه ومنع من خط عليه استحقاقه بهم
بعد ذلك امره بقوله اركبوا فيها فالاول امر بتهيئة ما استبق من الحيوان ومن سبق
من المكلفين والثاني امر بركوب السفينة والثالث امر بالهبوط منها بقوله قيل يا
نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك فالذي جاء في سورة هود جاء على مقتضى

في الآية الاخيرة وتاخيرها ثم

او امراقه المفصلة من اعداد من يركب معه ومن الركوب ومن النزول
واما قوله في سورة المؤمنين فاسلك فانه تحمل ما فصل في الاية الاولى
اذ كان الشرح والبيان مقصورين عليها وكانت الثانية مشتملة على
بعض ما اشتملت عليه الاولى وفي قوله اسلك ما ينتظم احمل واركب فاخبر ومن ذلك
سمي الطريق مسلكا وسلكه ينابيع في الارض اي اجراه وسلك الطريق نفذ
فيه فلما كان موضع الاختصار اولى بالمجمل من الكلام وموضع البيان اولى
بالبسط فقصة نوح في سورة هود قد شغلت بها خمس وعشرون اية وهي
في سورة المؤمنين واقعة في ثمان آيات واقترن بكل من المكانين ما اقتضاه
القصد من زيادة بيان واختصار كلام الاية الثالثة منها قوله عز وجل
فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين وقال بعده في
ذكر القرون فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون
للسائل ان يسأل عن الذي اوجب في الاولى للقوم الظالمين وفي الثانية لقوم
لا يؤمنون والجواب ان يقال ان القصة الاولى وان خرجت على لفظ التنكير
وقال انشأنا قرنا آخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم فانه معلوم من المراد بالرسول
وبالمرسل اليهم وقيل على ذلك بان قال اهلكتهم بالصيحة وهم قوم صالح فلما كان في
اقوام معلومين الى بذكرهم معرفة وقيل فبعدا للقوم الظالمين وخص وصفهم
بالظلم لانهم عاملوا به غيرهم وعاملوا به انفسهم لتكذيبهم الرسل وظلمهم
بنسبتهم الى ما هم منزهون عنه ثم هم ظالمون لانفسهم بان منعوها ما عرضوا له
من النعيم الابد والثواب السرمد واما قوله فبعدا لقوم لا يؤمنون فانه جاء خاتمة
قوله ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين فلم يبين بالمعنى من المراد كما بين في الاولى
وكانوا منكرين للمسلمين فلما امرهم بلفظة الدعاء عليهم استعمل فيهم ما يستعمل فيمن لم

يتعين

يتعين ولم يشتهر فنكر اللفظ وقال لقوم لا يؤمنون اي اهلك الله كل قوم لا يؤمنون
عند ظهور آيات الله لهم ووجوب حجة الله عليهم والمعنى بعدا لكل قوم ليليق بقوله
كلما جاء امة رسولها كذبوه فاخبر خبرا عاما وامر بان يدعا عليهم عاما فوجب في كل
موضع ما جاء فيه دون الآخر الاية الرابعة منها قوله تعالى بل قالوا مثل ما قال
الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا
هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين وقال في سورة النمل وقال الذين كفروا
ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا
الا اساطير الاولين للسائل ان يسأل عن تقديم توكيد المضمر المرفوع بقوله نحن وتاخير المفعول
وهو هذا في الاية الاولى وعكس ذلك في الاية الثانية وهل لذلك فائدة تقتضي لكل مكان
ما خص به والجواب ان يقال لما كان الاول في حكاية تظاهرت فيها الافعال المسندة
الى ما عليها متصلة بها وهي بل قالوا مثل ما قال الاولون فهذان فعلان تعلق بهما هذا
الحكي وكل واحد منهما جاء بعد فاعله مستوا صلاله غير منفصل عنه ثم بعده قالوا ائذا
متنا فكل هذه الافعال قصدت بها حكاية ما جاء بعدها فلما قال لقد وعدنا وجب في
البناء على الافعال المتقدمة ان يتم حكم الفاعل وهو لتوكيده والعطف عليه فقدم نحن
وآباؤنا على المفعول الثاني وهو هذا الذكر لان الاصل اذا جرى عليه الشي اولى من
غيره واما الاية الثانية من سورة النمل فان الذي تقدمها وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا
وآباؤنا فاجرى المعطوف على اسم كان الذي هو كالفاعل لها وهو قوله وآباؤنا على المنصوب
الذي هو كالمفعول لها وهو قوله ترابا فصار ما هو كالمفعول مقدما على ما هو معطوف على
الفاعل فاقتضى البناء عليه تقديم المفعول ثم العطف على الفاعل المضمر فجاء لقد وعدنا
هذا نحن وآباؤنا من قبل كذلك الاية الخامسة منها قوله تعالى قل لمن الارض ومن فيها
ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب

افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه
ان كنتم تعلمون سيقولون الله قل صح

العرش العظيم سيقولون الله قل فانى تسحرون للسائل ان يسال عن خاتمة الاية
الاولى بقوله افلا تذكرون وخاتمة الثانية بقوله افلا تتقون وخاتمة الثالثة بقوله
فانى تسحرون والذي خصص كلا بمكانه والجواب ان يقال ان هذه الاي جاءت
بعدما اخبر الله تعالى عن الكفار من انكار البعث وهو في الاية التي تحملها فيها واحتكت
هذه بها فامر نبيه صلى الله عليه وسلم بان يسالهم لمن الارض ومن فيها اي من يملكها
ويملك الناس الذين فيها فانهم يقرون ان جميع ذلك لخالقها وهو الله تعالى فاذا اقروا
بذلك قيل لهم افلا تذكرون اذا قلنا لكم انه ينشئ نشاة ثانية كما كان من النشاة
الاولى كما قال وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اي عندكم وفي تقديركم
الفاعلين منكم فخصت بالتذكر لانهم اذا اثبتوا الخلق الاول لزمهم الخلق الثاني واما
قوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم فانما معناه من الذي به قوام السموات
السبع والعرش العظيم ولا يستغنى عنه وهذه الاشياء من اكبر ما يرى من خلق الله تعالى
وما ثبت بالصدق من الخبر عندنا من مكان ما لك السموات والارض والعرش العظيم
واقررتم له بذلك فلم لا تجتنبون معصيته ولا تتقون عقوبته اذا كانت هذه الاجرام
العظيمة لا تستغني عنه ساعة فانتم مع ضعفكم احوج الى ان تربكم وان تقوموا بحق ربانيته
لكم فتمتنعوا بطاعته من موجب عقابه فهذه لايقة بمكانها حالة في موضعها واما الثالثة
وهي فانى تسحرون فانها جاءت بعد تقرير ثالث وهو قل من بيده ملكوت كل شيء وهو
يجير ولا يجار عليه اي من الذي ملكه اتم ملك فهو يمنع ولا يمنع اي يمنع من المكروه من يشاء
ولا يملك احد منع من اراده بسوء وهذا اعظم ملك وابلغه فاذا الاوثان والاصنام
الهة وهي لا تسمع ولا تبصر مع القادر العليم الذي اقررتم له بتمام الملك وبكل الخلق الذي
يشهدكم والذي يغيب عنكم وقوله فانى تسحرون اي من اين يأتيكم ما يغلب على عقولكم فتخيل
الباطل لكم حقا والقبيح عندنا حسنا من علمكم بان الله مالك الارض ومن فيها ومن علمكم بانه

ربّ

وان الله تواب حكيم
وقال في آخر العشرين
ولولا فضل الله عليكم
ورحمته صح

رب السموات السبع ورب العرش العظيم ام من علمكم بان له الملك الاغلب والعز الاغلب
وانه يمنع ولا يمنع منه ويحمي من عقابه ولا يحمى منه وليس في شيء من ذلك ما ترى الفاسد صحيحا
والمر قويما فهذا الذي ختمت به الثالثة ناظم معناه بخواتم ما قبله وكل في مكانه اللايق به
سورة النور الاية الاولى منها قوله عز وجل في آخر العشر من اول السورة ولولا فضل الله
عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم للسائل ان يسال عن خاتمتي العشرين واختلافهما بقوله
في الاولى تواب حكيم وفي الثانية رؤوف رحيم مع حذف جواب لولا من الايتين الجواب ان يقال
لما ذكر في اول السورة حد الزنا والقذف وختم ذلك بقذف الرجل امراته والحكم فيه اعيد عليهم
ليتوبوا ولم يعاجلهم بالعقوبة على ما قارفوا فقال ولولا فضل الله وانه يرجع لمن يرجع اليه وان
من تاب تاب الله عليه لعجل اهلاككم ورماكم بالعقاب الدايم والعذاب الواصب وهذا
الجواب المحذوف فقد ذكر في الاية التي في اهل الافك وهي ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم فهذا معنى لولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله
تواب ومعنى حكيم ان افعاله مبنية على الحكمة ومن الحكمة ان لم يعاجل كل مذنب بعقوبته
عند وقوع خطيئته واما خاتمة العشرين بقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته فان
معناه لولا ان الله انعم عليكم ورحمكم وقد اجرى حكمه بانه يرحم امثالكم ويرون بهم
لما بقاكم عند هذا الذنب الكبير في الافك العظيم فهذا موضع ذكر الرحمة لما تخوفهم
بالعظمة فقال يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين والاول مطلق غير
محصور على قوم باعيانهم وانما المراد من فعل ذلك منكم تحده كذا في الدنيا وعذاب
دايم في الاخرى ومخاطبة اهل الافك لاقوام معينين اخبر بعظم ذنبهم وانهم لم يهلكوا
لرافته بهم فكان لكل موضع من الموضعين مقتضيا ما اختص به من الايتين الاية
الثانية منها قوله عز وجل كذلك يبين لكم الايات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم
فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم للسائل

ان يسال فيقول لم قال في الاولى وكذلك يبين الله لكم الايات وقال في الثانية كذلك يبين
الله لكم اياته والجواب ان الاول اشارة الى ما تقدم ذكره فيما اوله يا ايها الذين امنوا
ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات وجعل الاوقات
الثلثة ايات لهم علامات للمنع من دخول المماليك والاطفال على النساء وجوازه فيما سواها
وعبر عنها بالايات لما لم يكن تعيين الاوقات من الافعال التي تختص بقدرته ولما كان
بلوغ الحلم مما تختص بفعله ولم يقدرنا على مثله اضافه الى نفسه ثم قال كذلك يبين الله لكم
اياته ويبين ذلك قوله في العشر الاخير بعد قوله ليس على الاعمى حرج الى قوله ان تاكلوا من بيوتكم
نعد القرابات التي اجاز تناول طعامها كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون فلم
يضفها الى نفسه لانها ايات مثل الاول التي تقدمت في انها لا تختص بقدرته اي يبين
لكم العلامات التي ينصبها على ما يبيح وما يحظر وما يضيق فيه وما توسع ومثله قوله يعظكم الله
ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الايات والله عليم حكيم لما اشار الى
حد الزاني والقاذف والفرق بين المتلاعنين واخبر فان شاء الله

سورة الفرقان

الاية الاولى منها قوله عز وجل واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون
لانفسهم نفعا ولا ضرا اي لا يملك يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور
للسائل ان يسال عن تقديم نفع على ضر في سورة الرعد وعكس ذلك في سورة الفرقان وما
الذي اوجب هذا الاختلاف والجواب ان يقال اما في سورة الرعد فانه قدم فيه
الافضل على الانقص لان اختلاف النفع اشرف من استدفاع الضر وهو وليه فرحمة من
فاته ذاك طلب دفع الضر فهو على وجهه في الترتيب واما في سورة الفرقان فانه بنى على ما
قبله وهم لا يخلقون نفي وهم يخلقون اثبات فقدم النفي على الاثبات وكان الضر نفيا
والنفع اثباتا اذ النفع اثبات المصالح وايجادها والضر نفيها فكما قدم فيما قبله ما نفي
على ما اثبت حمل المعطوف عليه ليكون مشاكله الاية الثانية منها قوله تعالى ويعبدون

من دون

من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وقال في سورة
يونس وكان هناك يجب ان يذكر الاثنان ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله للسائل ان يسال في هاتين
الايتين عن مثل ما سال عنه في الاوليين الجواب ان يقال انما بدا في سورة
يونس فانه بدا بما هو ابلغ اذا ابتدى به لان امتلاك الضر اسهل من امتلاك النفع
فالواحد منا يقدر لغيره من الضر ما لا يقدر عليه من النفع ويتسهل عليه ضره ما لا
يتسهل عليه نفعه اي يعبدون اصناما لا يقدر على ما يتسهل على الفاعلين فكيف
ما يتعذر ثم ذكر بعده ولا ينفعهم لاستيعاب ما في الباب واما في سورة الفرقان
فانه نفع ما تقدم فيه من الافضل على الانقص لقوله وهو الذي مرج البحرين هذا
عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج وقوله بعده وهو الذي خلق من الماء بشرا
فجعله نسبا وصهرا فقدم خلطة النسب وهي المصاهرة ثم جاء بعد ذلك ويعبدون من
دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم فقدم النفع على الضر اتباعا لما تقدم

سورة الشعراء

الاية الاولى منها عز وجل ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث
الا كانوا عنه معرضين وقال في سورة الانبياء عليهم السلام وهو مما وجب ذكره هنا
ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون للسائل ان يسال ما الذي
خصص ذكر الرحمن بسورة الشعراء وذكر ربهم بسورة الانبياء الجواب انه لما خص
هذين الوصفين صفات الله تعالى في هذين الموضعين لان الرب هو القائم
بمصالح الخلق من ابتداء التربية الى اخر العمر والرحمن هو المنعم عليهم في الدنيا بما خلق
فيها والمعرض للنعيم الدائم بعدها واتيانهم بالذكر من عنده وهو القران مما يصلحهم
فوق ما يصلح من الاغذية المخلوقة لهم فذكر ان الرب الذي اصلح بانواع ما خلق
اجسادهم اصلح بما امرهم عليه من طاعته اديانهم فهو كما يقتضيه الوصف بالرب

على خلطة النسب ح

والوصف بالرحمن هو المنعم عليهم في الدنيا بما خلق فيها والمعرض للنعيم الدايم بعدها واتيانهم
بالذكر من عنده وهو القران مما يصلحهم فوق ما يصلحهم من الاغذية المخلوقة لهم فذكر ان
الذي اصلح بانواع ما خلق اجسادهم اصلح بما امرهم عليه من طاعته اديانهم فهو مما
يقتضيه الوصف بالرب والوصف بالرحمن فاما اختصاص سورة الشعراء بالرحمن فلان
السورة معقود بها ذكر الامم الذي بعث اليهم الانبياء عليهم السلام وختم كل قصة من قصصهم
بقوله ان في ذلك لآية وما اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واولها قصة
موسى عليه السلام واذ نادى ربك موسى فالتصف بالعزيز الرحيم لما يوجبانه من الخوف
والرجا اللذين بهما لزوم الطاعات والرغبة فيما علا من الدرجات واراد بالرحمة ان هذه
الامم لتقلع عن تمردها وتعود الى ربها وتتوب من ذنبها فلما لم تفعل عوقبت في الدنيا
سوى ما اعد لها في الاخرى وقال في اول هذه السورة ان نشا ننزل عليهم من السماء
آية فظلت اعناقهم لها خاضعين الآية اراد ان لا يكونوا كالملجئين في دينهم الى
اعتقاد ما يعتقدونه والهمهم رحمة منه بهم فقال ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث
فلانه عد اصلاح ما يغذونه من طعامه وخص هذا الموضع بذكر ربهم لانه
قال اقترب حسابهم وهم في غفلة معرضون ولا يعقلون الا اذا كانوا في رغد
من عيشهم ولا سبيل اليه بمظاهرة النعمة من الله وفعله هذا بهم تقتضي وصفهم
بربهم الآية الثانية من سورة الشعراء قوله تعالى واتل عليهم نبا ابراهيم اذ
قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين وقال في سورة
والصفات وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه
ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين للسائل ان
يسال عن زيادة ذا في قوله في والصفات ماذا تعبدون واخلاء ما في الشعراء منها
الجواب ان يقال ان قوله ما تعبدون معناه اي شي تعبدون وقوله ماذا في كلام

الرب صح

الرحمن محدث فاختص هذا الوصف بهذا لذلك واما قوله في سورة الانبياء ما يأتيهم من ذكر من صح

للسائل صح

العرب على وجهين احدهما ان يكون ما وحدها اسما وذا بمعنى الذي والمعنى ما الذي
ما تعبدون وتعبدون صلة لها والآخر ان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي
شي وهو في الحالين ابلغ من ما وحدها اذا قيل ما تفعل فما تعبدون في سورة الشعراء
اخبار عن تنبيه لهم لانهم اجروا مقالة مجرى مقالة المستفهم فاجابوه وقالوا نعبد
اصناما فنظل لها عاكفين فنبه ثانيا بقوله هل يسمعونكم اذ تدعون واما ماذا تعبدون
في سورة والصافات فانها تقريع وحال بعد التنبيه ولعلمهم بانه يقصد توبيخهم
وتبكيتهم لم يجيبوا كاجابتهم في الاول ثم اضاف تبكيتا الى تبكيت ولم يستدع منه
جوابا فقال ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فلما قصد
في الاول التنبيه كانت ما كافية ولما بالغ وقرع استعمل اللفظ الابلغ وهو
ماذا التي ان جعلت ذا منهما بمعنى الذي فهو ابلغ من ما وحدها وان جعلا اسما
كان ايضا ابلغ واوكد من ما اذا خلت من ذا الآية الثالثة منها قوله تعالى الذي
خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقال بعده
والذي يميتني ثم يحيين للسائل ان يسال فيقول لم الذي اوجب ادخال هو في قوله
والذي هو يطعمني ويسقين وقوله فهو يشفين واخلاء قوله يميتني منها ولم يقل والذي
هو كما قال والذي هو يطعمني الجواب ان يقال لو جاء والذي يطعمني ويسقين واذا
مرضت يشفين لكان معلوما ان مراده الله تعالى وذكر هو توكيد معنى الكلام وتخصيص
الفعل به دون غيره واحتاج ذكر الاطعام والشفا الى هذا التوكيد لانهما مما يدعي
الخلق فعله فيقال فلان يطعم فلانا والطبيب يداوي ويتسبب الشفا الى هذا التاكيد
لانهما مما يدعي الخلق فعله فيقال بعد فكان اضافة هذين الفعلين الى الله تعالى
محتاجة من لفظ التوكيد لما يتوهم من ان يضيفه الى المخلوق الى ما لا يحتاج اليه
اضافة الموت والحياة لان احدا لا يدعي فعلهما كما يدعي الثقافة فالهذا الشأن

الآية الرابعة منها قوله تعالى في قصة صالح قالوا انما انت من المسحرين ما انت الا
بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين وقال في قصة شعيب واتقوا الذين
خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان
نظنك لمن الكاذبين للسائل ان يسأل عن الواو في قصة شعيب في قوله وما انت
الا بشر مثلنا وحذفها من مثلها في قصة صالح الجواب ان يقال ان قوم صالح
في حال هذا الخطاب لم يدفعوا امره كما دفع امر شعيب قومه فيما حكى الله من قولهم
فقولهم لصالح انما انت من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا ثم لم يطلبوا منه ما ليس لهم
طلبه لانهم قالوا فأت بآية ان كنت من الصادقين وهذا الا شطط فيه ولا في
قولهم انت مثلهم ليس لهم طلبه لا وقولهم ما انت الا بشر مثلنا لان الله تعالى يقول لنبيه
صلى الله عليه وسلم قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي والمسحرون فيه اقوال احدها الذين لهم
سحر ورئة وقيل المعللون بالطعام والشراب كما قال امرؤ القيس ٥ ارانا موضعين لحتم غيب ٥
ونسحر بالطعام والشراب ٥ وقال لبيد ٥ وان تسألينا فيم نحن فاننا ٥ عصافير من هذا
الانام المسحر ٥ وقيل المسحرون المسحورون كانه سحر مرارا حتى خبل وفسد عقله واضطرب
رأيه عن مجاهد وقتادة وقيل المسحرون المخلوقون عن ابن عباس فالموضع الذي لا واو
فيه بدل من الجملة التي قبلها ثم قالوا فأت بآية ان كنت من الصادقين ولهم ان يقولوا
ذلك واما قوم شعيب فانهم في خطابهم المحكي عنهم مشتطون ومبالغون في رده وتكذيبه
فقالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا على خبرين عطف احدهما على الآخر
وقالوا بعده وان نظنك لمن الكاذبين على معنى وانا نظنك كاذبا اي الغالب في امرك
عندنا انك كاذب فلم يجعلوا الخبرين خبرا واحدا بل جعلوه اخبارا اولها قولهم انت من المسحرين
اي لست من الملائكة الذين هم رسل الله الى خلقه فلا يطعمون ولا يشربون بل انت من
المغتذين بالطعام والشراب وقولهم وما انت الا بشر مثلنا اي لا فضل لك علينا فهو خبر ثان

وقولهم

وقولهم وان نظنك لمن الكاذبين خبر ثالث ثم طلبهم اسقاط كسف السماء عليهم ليكون
امارة لصدقه خلاف ما طلبته ثمود حين قالت فأت بآية ان كنت من الصادقين ولم
تقترح فالحالة التي كانت فيها عند مخاطبة نبيها لها لم يقارنها من التمرد ما قارن حال
قوم شعيب حين ردوا عليه خبرا بعد خبر فكان موضع الواو في قصتهم كذلك ولم يكن
لها موضع في الاول لما بينا من ابدالهم الجملة الثانية من الاولى واقتصارهم على بعض
ما انبسط فيه غيرهم سورة النمل الآية الاولى منها قوله تعالى وولى مدبرا ولم
يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور
رحيم وقال في سورة القصص فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل
ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء للسائل ان
يسأل فيقول في سورة النمل ما ليس في سورة القصص والمحكي شيء واحد والزيادة
قوله الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وفي سورة القصص اقبل ولا
تخف انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك الجواب ان يقال الحكايات ليس شرط
فيها اذا اديت معانيها دون الفاظها استيعاب جميعها في مكان واحد بل يجوز ان
تفرق في اماكن كثيرة فهذا وجه ويكون معنى انك من الآمنين اي من المرسلين الذين
لا يخافون ويجوز ان يكون الا من ظلم خارجا عن الحكاية ويكون خبرا من الله تعالى به
نبينا صلى الله عليه وسلم فيعترض بين جمل ما يحكى كما قال فيما حكى من كلام صاحبة سبا
ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون فيكون
وكذلك يفعلون غير محكي وانما يكون خبرا من الله تعالى معترضا بين ما حكي بقوله تعالى ثم
قال عائدا الى حكاية قولها واني مرسلة اليهم بهدية ويجوز في هذا المكان ان يكون
معنى وكذلك يفعل هؤلاء يعني سليمان عليه السلام وخيله ومعنى قوله في الآية الا من
ظلم محمول على وجهين احدهما ان يكون استثناء من متصل الا من منقطع فيكون ٥

من المسحرين صح

ثم بدل صح

مستثنى مما يدل عليه لا يخاف لدي المرسلون وهذا دليل على ان غيرهم يخافون
فترك ذكرهم لقوة الدلالة عليه كما قال وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر فحذف البرد لعلم
المخاطبين به واذا كان لكن غير المرسلين يخافون متعذرا اتيانه كان الاستثنا
منهم انهم يخافون الا من محي ظلمه بتوبة فالله غفور رحيم والوجه الثاني الاستثناء
منقطع فتقديره لكن من ظلم من غير المؤمنين ثم بدل سيئة بحسنة ومحا ظلمه بتوبة
فالله غفور رحيم الاية الثانية منها قوله تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى الله خير اما يشركون امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا
به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها االه مع الله بل هم قوم يعدلون امن جعل الارض
قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا االه مع الله بل اكثرهم
لا يعلمون امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض االه مع الله قليلا
ما تذكرون امن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته االه مع الله
تعالى الله عما يشركون امن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض االه مع الله
قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين للسائل ان يسال عما ختمت به هذه الايات بعد قوله االه
مع الله وهل تقدم ما يوجب اختصاص ذلك بدون غيره الجواب اما قوله تعالى قل آلله
خير اما يشركون بنيت عليه هذه الايات وتكلم اهل النظر في قولك هذا افضل من هذا وهذا خير
من هذا فقال بعضهم يقال في الخير الذي لا شر فيه والشر الذي لا خير فيه على ذلك عند اهل
الاعراب وهو ان الاصل في باب افعل من كذا للتفضيل فاذا قيل هذه الاسطوانة اطول
من تلك فقد وصفها بالطول الا انه زيدت طول الاخرى والزم افعل من ابتداء الغاية
كان المعنى ابتداء زيادة طولها منتهى الاسطوانة الاخرى فلا يقال افعل من كذا الا
والمفضل عليه فاما قوله تعالى بعد وصف النار اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا
وزفيرا الى قوله وادعوا ثبورا كثيرا قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون

٢ [illegible]

٢ احداهما على طولها

والاخير

والاخير في الاول فانما المعنى ان هؤلاء الكفار يحرصون على ما يكسبهم النار كانهم يرونها
خيرا لهم ثم وصف ما يختارونه بصفته واتبعه الخير الذي لا شر معه فقال افعلكم فعل من
يرى النار خيرا من الجنة فانظروا واهل هي كذلك ام لا وكذلك قوله فما اصبرهم على النار
اي يتعرضون لها ويكتسبونها ففعلهم فعل من يصبر عليها وكذلك آلله خير اما يشركون
اي هم مشغولون بعبادة الاوثان عن عبادة الرحمن وفعلهم ينبئ انها تنفعهم
فوق ما ينفعهم خالقهم فكانهم قالوا ان الانعام لهم منه تبارك وتعالى ثم قررهم
فقال الله انعم ام الاوثان فبين عظم المنافع التي انعم الله بها ولم يشاركه غيره
فيها فقال امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء اي اذا عرفتم [illegible]
بان الله عز وجل يبين لكم المصالح ووفر لكم المنافع وخلق السموات والارض الكليتين بهما
امسك الخلق وانزل المطر من فوق واثبت به قوام الناس من تحته من بساتين ذوات
المناظر سوى الماكل الطيبة ثم قال االه مع الله اي يحتاج من يفعل هذا الى عضد ٧ الحسنة ح
ومعين بل الكفار قوم يعدلون عن الحق وقيل يعدلون بمن يفعل هذا غيره تعالى
عن ذلك فهذا موضع بل هم قوم يعدلون لان اول الذنوب العدول عن الحق وقبولهم
وان يثبت الها مع الله فيعدلونه وقوله جعل الارض قرارا وصف ما اظهر الله من قدرته
في البحر والبر مما به مسك الارض ثم قال االه مع الله اي اامع الله من يفعل مثل فعله بل
اكثرهم لا يعلمون فالهم في عبادة الله واخلاصها وما عليهم في اشراك غيره فيها اي
لو علموا ما ينتهي اليه عواقب هذين لما عدلوا عما هو انفع الى ما هو لهم اضر وهذا
مكانه بعد قوله بل هم قوم يعدلون وقوله بعد ذلك امن يجيب المضطر اذا دعاه
ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض اي يقيم المظلوم مقام الظالم في ارضه ويجعل
من في العصر الثاني خلفاء لمن في العصر من قبله وهذا موضع ينسى فيه الانسان
سالف شدته براهين نعمته فقال قليلا ما تذكرون ما مر في دهركم من بلائكم وشركم

٢ موضع صح

وهذا يليق به ما جاء بعده وهو قليلا ما تذكرون وقوله امن يهديكم في ظلمات البر والبحر
ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته االه مع الله تعالى الله عما يشركون قوله يهديكم
في ظلمات البر والبحر معناه ينجيكم منها بهداية وما نصب لكم من اية بالنجوم تعولون
عليها في الماء وفي البر اذ لم تهتدوا في الظلمات وهو مثل قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر
والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قل
الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون فلما كانت هداية في البحر وتبشيره
جواري الفلك بالريح ضم اليه الريح الاخرى المبشرة بالقطر فلما ختم الاية التي هي في
معناه بقوله ثم انتم تشركون ختم هذه بقوله امن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن
يرزقكم من السماء والارض االه مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين اي
من لابتداء كونكم وهو خلقكم ومن لانتهائه وهو بعثكم لمجازاتكم ومن الحال المتوسطة
هذين حفظ حياتكم باقواتكم وارزاقكم من السماء والارض االه مع الله
اهاهنا من يعدل رب العالمين هاتوا برهانكم وما يظهر في النفوس ان من ما
تقولونه حق وان ما عداه باطل فانكم لا تقدرون الا على هذه مما يدل على ان
ما يقولونه باطل وما عداه مما تخالفونه حق فقد بان بما صح ان كل خاتمة لاية
مكانها والله اعلم **سورة القصص** الاية الاولى منها قوله تعالى وما اوتيتم من شيء
فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ٥
للسائل ان يسال في هذا المكان عن مسئلتين احداهما وما اوتيتم من شيء بالواو
وفي الثانية بالفاء وما الذي خصص كل مكان بما جاء فيه والثانية قوله في الاولى
فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها فذكر الزينة في الاولى ولم تذكرها في الاخرى والجواب
عن ذلك ان هذه الاية جاءت بعد قوله وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون ثم
خاطب الذين اوعدهم بمثل ما اهلك به من قبلهم وانه ليس لكم فيما تؤتونه في الدنيا

تعالى الله عما يشركون لان المذكورين في الاية هاهنا هم المذكورون في تلك وا ما قوله صح

وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون وقوله فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا صح

عوض مما يعقبكم في الاخرى لان جميع ذلك لا ينفك مما تنتفعون به انتفاعا منقطعا
وان تطاول امده او تتزينون به في جميع اعراض الدنيا مستوعب بهذين اللفظين
اما ما لا يستغنى عنه الحيوان في طول العيش كما يحتاج اليه من ماكول وملبوس ومنكوح الا ان المتعة بها قليلة
وان كانت طويلة لانقطاعها بالموت وانتهائها الى حسرة الفوت واما ما لا حاجة
به اليه من فضول العيش كما يتزين به من الملابس الفاخرة والالات المذكورة والدور
المزوقة المتخذة والخيل والبغال والحمير ما ركب منها للحاجة اليها وما اتخذ زينة يتجمل عند
الاكفاء بها فما كان محتاجا اليه فهو متاع ايام قليلة وما فضل عن ذاك فهو مما يقتنى
لعدة وزينة والدليل على ان الخطاب خارج على ان الخطاب خارج على هؤلاء وان
صلح نقله لجميع الناس التفصيل الذي جاء بعده في قوله افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه
كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين اي يحضرون العقاب لتقدم
ذكر من يعطي الثواب فلم يكن لعطف هذه الجملة على الجملة المتقدمة غير الواو لا معنى
هاهنا من معاني الفاء واما ذكر زينتها فلاستيعاب جميع ما يبسط فيه الرزق للكفار والاية الثانية
قبلها وما اصابكم من مصيبة فيما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ولفظ ذلك عام ومعناه خاص
اذ كانت المصايب تصيب من لم يذنب ولا عقاب عليه فالمراد به بعض المصايبين وبعض
ثم تبعه قوله ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشا يفعل او يفعل اي ان يشا انجى اهلها
وان شاء اهلكهم بذنوبهم وقد لا يهلكهم فيعفو عما يستحق العفو ويمهل من علم منه
الصلاح والذين يجادلون في اياتنا وهم الكفار يعلمون وهم في السفن انه لا منجاء
لهم الا بالله ولطفه ثم خاطبهم فقال فما اوتيتم السلامة ورزقتم العافية فذلك البقاء
وان امتد اياما فليس القصد في هذا المكان استيعاب جميع ما يؤتيهم في الدنيا بل هو مطلوبهم
في تلك الحال من النجاة والامن في الحياة فلم يحتج الى ذكر الزينة ولم يكن الا موضع الفاء لان تعلق
ما بعدها بقوله ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص اي نغلب على ظنونهم ذلك

مشروب

عند الحي من ماكول وملبوس ومنكوح وبري العاقل المتعة بها قليلة وان كانت صح

١٢ ادم

الفاء

المصايب صح

٧ قليل صح

فان انجاهم الله واعطاهم مرادهم في تلك الحال فان ذلك سريع الزوال عنهم قليل البقاء معهم
والذي اعده الله للمؤمنين خير وابقى ثم وصف المؤمنين بصفات يرغبهم في الكون عليها
في قوله والذين يجتنبون كبائر الاثم الى اخر القصة كما زهدهم في التمسك بالدنيا الفانية
فالمراد بما يؤتونه انما هو مطلوبهم من السلامة والنجاة من تلك المهلكة والامن من
امثالها من الورطة وذلك عقيب ما اشرفوا عليه من الغرق ولا موضع لهذا الكلام احسن من العطف
على ما قبله لانه عقب ما لهم من المخافة بما اتوه من الامنة وحال السلامة الى ما يرد له
من النعمة فقد تضمن ما ذكرنا الجواب عن المسئلتين الاية الثانية منها قوله عز وجل
قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا
تسمعون قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل
تسكنون فيه افلا تبصرون للسائل ان يسأل عن تقديم الليل على النهار وانه لو قدم
النهار وانه لو قدم النهار هل كان على مقتضى الحكمة وقوله عقيب هذا افلا تسمعون وعقيب
الاخر افلا تبصرون الجواب عن ذلك ان يقال نسخ الليل بالنهار الاعظم ابلغ
في المنافع واضمن للمصالح من نسخ النهار بالليل الا ترى ان الجنة نهار دائم لا ليل معه
والمساق المتعبة ودار النعيم يستغني فيها عن ذلك لانها مقصورة على نيل المشتهى وعلى ما
تلذ النفس ولا يحصى كثرة من المنافع المتعلقة بالشمس احق واولى وقوله افلا تسمعون اي
افلا تسمعون سماع من يتدبر المسموع ليستدرك منه قصد القائل ويحيط باكثر ما جعل الله في
النهار من المنافع ام انتم صم عن سماع ما ينفعكم وقوله بليل تسكنون فيه افلا تبصرون
اي فلا تستدركون من ذلك ما يجب استدراكه فان عقيب السماع استدراك المراد بالمسموع
اذا كان هناك تدبر وتفكر فيه ولم يجعله السامع دبر اذنه سورة العنكبوت الاية
الاولى منها قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك
به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون وقال في سورة لقمان ووصينا الانسان
بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير

بالقاء صح

وان

وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا
واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون وقال في سورة الاحقاف
ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلثون
شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت
علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من
المسلمين للسائل ان يسأل عن اختلاف هذه الايات الواردة في الوصاة بالاحسان
الى الوالدين والبر بهما الا اذا دعوا الى الشرك وبعثا على الكفر وعن مواقعها وهل كان
يصلح احدها مكان الاخرى الجواب ان يقال اما موقع هذه الاية من سورة العنكبوت
فبينه مواقع الايات التي قبلها والتي بعدها وذلك انها جملة فيها الاخبار بقوله والذين
امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون
اشتمل هذا على جميع معاملة المؤمنين في الدنيا والاخرة وهي في الدنيا ايمانهم وصالحات
اعمالهم التي تكفر بها السيئات فلا يؤاخذ بها من ضمن جزاؤه على احسن عمله وهو
طاعة الله التي اخلصها له ولم يقصد ان يعلمها خلقه ثم قال ووصينا الانسان بوالديه
حسنا اي الزمناه حسنا في امر والديه وفيما يحقوقهما عليه ثم قال وان اراداه
على الشرك فلا طاعة عليك لهما فهذه جملة لم يتضمن ذكر السبب فيما اكده
الحق بل اقتصر فيها على ما لا غنى عن علمه ولا يعذر احد في جهله واما الاية في سورة
لقمان فانها ذكرت بعد حكاية الله تعالى عن لقمن من وصيته لابنه اذ يقول يا بني
لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم فذكر الله عقيب ذلك وصية الانسان بهما
ونبه على السبب الذي له عظم به حقهما فقال حملته امه وهنا على وهن اي
اي ضعف حمله ضعفا الى ضعف المراة وقيل ضعفا يتزايد على ضعف كما
يتزايد ثقل الجنين وارضعته على ~~تربيته وهنا ضعيفا~~ على انفردت بهما الام
وان الاب يتحمل شدايد في القيام بامر الام والولد حتى يقدر على تربيته وربما

عامين وهزان وان انفردت صح

في هم

ضيق على نفسه فيما يصرف اليهما من نفقته فقال ان اشكر لي ولوالديك والمعنى وصيناه
بان اشكر لي ولوالديك وان بمعنى اي وهو تفسير الوصية والتنبيه على عظم
النعمة ووجوب شكر الله على قدرها اولاه اذ كان هو خلقه وسوى اعضاه
ونفخ الروح فيه وانعم عليه قبل استحقاقه ثم عرفه للنعمة الشريفة والدرجة العلية
وشكر ذلك يستغرق الجهد ونفي الطوق فاما شكر الوالدين فهو ان يحسن اليهما
ويبرهما ويكرمهما ويطيعهما الا اذا امراه بمعصية الله فسقط عنه طاعتهما
لانه مع اسقاط حق الخالق لا يثبت حق الوالدان الله تعالى عقد شكرهما بشكره
فاذا دعواه الى معصية فقد ابطل شكره واخل شكرهما المعقود معه وقيل ان
هذه نزلت في سعد بن مالك وهو سعد بن ابي وقاص وروي عنه انه قال كنت برا
بامي فلما اسلمت قالت لي يا سعد ما هذا الدين الذي اراك قد احدثت والله لا
آكل ولا اشرب حتى اموت فتعير بي فيقال يا قاتل امه فلم تاكل يوما وليلة فاصبحت
وقد جهدت فلما كانت القابلة لم ياكل ولم تشرب فاصبحت وقد اشتد جهدها فقلت
لها يا امه تعلمين لو كان لك سبعون نفسا فخرجت نفسا نفسا ما تركت دين هذا
النبي فلما رات ذلك اكلت وشربت فانزل الله عز وجل هذه الآية نزلت في وهذه
الآية قد تضمنت من البيان والتفصيل ما لم تتضمنه الواجبات والمستحبات فيما
حكى الله عن اسمه في وصية لقمان لابنه ثم كان في ذكر اب وصى ابنه بجابنة الشرك
وقرن اليه ما كان من خلاف ابن لام بعنته جهدها على الكفر وبما روى عن
لقمان في معنى الوصية انه قال يا بني ان الله تعالى وصاني لك ولم يوصيني لك فلم يوصني
بر صنك بي فاوصاك بي وهذا الكلام شريف لينفع كثير ذكرناه ليتدبر معناه
فاما الآية الثالثة فانها وردت فيمن وصى بوالديه وهما مؤمنان لا يمنعانه
من الايمان وهو من طاب نعتا واصلا ورغب الى الله ان يطيب فرعا لانه قال

بعض حم

الاولى لان ما لك مذكورة
وهذه مذكورة لقصة
مشروحة فيما بين آيات
تضمنت حم

تعالى

تعالى حكاية عنه رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان
اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك وتبعد هذه ذكر ولد
كانوا استغاث اليه والداه لا قراره كان على كفره ولما اعياهم من مداراة امره
واما قوله وحمله وفصاله ثلثون شهرا فان المراد اقل حمله فهو ستة اشهر ويروى ان
عثمان رضي الله عنه اتي بامراة ولدت لستة اشهر فشاور الناس في رجمها فقام
ابن عباس رضي الله عنهما ان خاصمتكم في كتاب الله خصمتكم قال الله تعالى عز وجل
والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وقال وحمله وفصاله ثلثون شهرا
فالحمل ستة اشهر والفصال عامين فخل سبيلها واما معنى قوله تعالى وفصاله في
عامين او في انقضاء عامين لان الفصال هو الفطام اذا فصل الولد عن الام
فكان الوصية الاولى في سورة العنكبوت وصية لجملة عامة للناس فيمن منعه
احد والديه عن الايمان والثالثة فيمن آمن وآمن ابواه وسال الله ان يصلح
اولاده وكان هذا مذكورا مع انه لم يذكر ولد كافر يجتهد والداه في دعايه الى الايمان
والثالث في مؤمن ابواه مؤمنان والثاني في مؤمن احد ابويه يمنعه من الايمان
والاول عام كما ترى وقد استوعبت القسمة ما يحتاج الى ذكره في دعا من يدعو
ولده الى كفره الآية الثانية منها قوله عز وجل وما انتم بمعجزين في الارض ولا في
السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وقال في سورة حم عسق وما انتم بمعجزين
في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ومن اياته الجواري في البحر كالاعلام
للسائل ان يسال عن قايل قوله ولا في السماء في سورة العنكبوت والاقتصار على
ذكر الارض في هذه وهل كان يصلح احدهما مكان الآخر والجواب ان يقال
ان التي في سورة العنكبوت تحكي قول ابراهيم عليه السلام لكفار قومه وفيهم
نمرود بن كنعان الذي حاجه وفي كثير من الاخبار انه رام الصعود الى الجو يريهم

انه يجاوز السماء كما قال فرعون لهامان في بنا ما حكاه الله في كتابه في موضعين
فقال له ابراهيم عليه السلام لا تفوتون الله في الارض كنتم او في السماء ولا سبيل
لكم اليها كما قال الله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار
السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان واما الاية في سورة حم عسق
فانها بعد قوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وهذا عام
في المصايب والمراد به الخصوص لانه ليس كل مصيبة مستحقة باجترار ذنب اذ قد يصاب
من لا جرم له ولم يبلغ حد التكليف فيجب عقابه على ذنب يكون منه مستحقة باجترار
اذ قد يصاب والمخاطبون مخصوصون بالمعنى وان عموا باللفظ وقوله ويعفو عن
كثير اي عن ذنوب يتجاوز عنها ولا يواخذ بها ولا يكون ذلك للكفار لان العفو مبذول
لمستحقه واذا صح ان هذا الخطاب متوجه على المسلمين وتبعه قوله وما انتم بمعجزين في الارض
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير علم انه وعيد لهم وليسوا من القوم الذين يتحدّون
بقوله في الارض ولا في السماء ومعناه لا يكون مسلكا يلتجئون اليه من عقاب الله اذا
وجب عليكم وقد جاء هذا بغير لفظ الارض والسماء وهو قوله والذين ظلموا من هؤلاء
سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين فيكون هذا مطلقا في كل مجاز ومهرب وقد
قيل في قوله وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء اي ولا تفوتون من في الارض من الجن
والانس ولا من في السماء يعني الملائكة وهم خلق الله فكيف تعجزون الخالق تعالى الله
عن ذلك وقول ثالث وهو ان يكون المراد لا تفوتون انفسكم ما يحق من
عقاب الله عليكم ان هربتم في الارض كل مهرب وان صعدتم في السماء كل مصعد
لو استطعتموه كما قال فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في
السماء فتاتيهم باية اي لا يكون ذلك ابدا وفي الجواب الاول كفاية في الفرق بين
الموضعين وما يختار لكل واحد منهما الاية الثانية منها قوله عز وجل فما

كان

فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات
لقوم يؤمنون وقال بعده خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمؤمنين
للسائل ان يسال فيقول قال في انجاء ابراهيم عليه السلام من النار ان في ذلك لايات
لقوم يؤمنون وقال في خلق السموات والارض ان في ذلك لاية للمؤمنين فوحد الاية
هنا وجمعها هناك والايات في خلق السموات والارض اكثر منها في تخليص ابراهيم عليه السلام
من النار والجواب ان يقال اذا اخبر الله تعالى عن المؤمنين في كتابه فهو متناول من كان في
عصر النبي صلى الله عليه وسلم وهم محدودون واذا قال ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون
فهؤلاء قوم لم يتناهوا فكل من يؤمن الى يوم القيمة منهم فداخل فيهم ولكل لاية واية
بينة فجمعت لعدتهم التي لم تتناها وكما قال في خلق السموات والارض آية للمؤمنين
لانهم جماعة واحدة محصورون والاية الواحدة تجمعهم بما بين الخبر عنهم الخبر عمن جحدوا
(بوجلدهم) وعمن لم يجحدوا اكثرهم فاختلفت بهم الدلالات وجمعت لهم الايات لانتشار اعدادهم
وتباين آمادهم فاختلف الموضعان لذلك الاية الرابعة منها وما يجحد باياتنا
الا الكافرون وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون
بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد باياتنا الا الظالمون للسائل
ان يسال عن تسمية الجاحدين في الاية الاولى بالكافرين وفي الثانية بالظالمين واولئك
ظالمون كما ان هؤلاء كافرون فلم اذا اختصاص الاولى بتلك الصفة والثانية بهذه
والجواب ان من يجحد آيات الله فقد كفر نعمته وهذا اول افعاله لان ذلك متعلق
من قبله وتولى خلقه وانعم عليه بما اوجب به شكره فاول فعله كفر نعم الله ثم انه
مسيء الى النفس ظالم بان ابدلها من النعيم الذي عرض له عذابا لا يطيقه وكفره
(فوّت نفسه) اول في الذكر وظلمه لانه عظيم الاجر فيما اخير في العمل فتقدم الكافرون على الظالمين
لذلك الاية الخامسة منها قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم

من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا
وعلى ربهم يتوكلون وقال في سورة آل عمران اولئك جزاؤهم مغفرة من
ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين للسائل
ان يسأل عن اختصاص ما في سورة آل عمران بالواو في قوله ونعم واخلاء ما في سورة
العنكبوت منها الجواب ان يقال ان الآية من سورة آل عمران مبنية على تداخل
الاخبار لان اولها اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات ونعم اجر العاملين
فاولئك مبتداء وجزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبر المبتدا الثاني وهو مع خبره خبر
المبتداء الاول والجزاء هو الاجر فكانه قال اولئك اجرهم على اعمالهم محو ذنوبهم وادامة
نعيمهم وهذا الاجر مفضل على كل اجر يعطاه عامل على عمله فنسقت الاخبار بعضها
على بعض للتنبيه على النعم التي تقدمت لرجاء الراجين واكملت لها امنية المتمنين
والجزاء اذا ابعد خبره في مثل هذا المكان الذي يفصل فيه المواهب المرغوب فيها فحقه ان
يعطف على ما قبله بالواو كقولك هذا الجزاء كذا وكذا اي وهو ترك المؤاخذة بالذ
والتنعيم في جنة الخلد وتفضيله على كل جزاء جوزي به عامل وذلك تشريف
وكرامة واما الآية في سورة العنكبوت فان ما قبلها مبني على ان يدرج الكلام فيه
على جملة واحدة وهي متصل بمفعول لان الاول هم والثاني غرفا وغرفا نكرة موصوفة
بقوله تجري من تحتها الانهار وقوله خالدين فيها حال من لنبوئنهم فلما جمعت هذه الآية
كلها ودرج كلام واحد وهو جملة ابتداء وخبر فاحتمل قوله ونعم اجر العاملين ان
يجيء بالواو وان يجيء من دونها فاختير مجيئها بغير واو لتنبيه ما تقدم من عقد جملة على سبيل عطف
ونسق فجاء بغير واو ويحتمل ان يكون في موضع خبر مبتدا كانه قال ذلك نعم اجر العاملين ويكون
قوله ذلك اشارة الى ما ذكره الله من اسكانهم الجنة فتجري بلا واو مجرى ما هو من تمام الكلام الاول
كقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم

والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا فقوله الذين مبتدأ وقوله لنبوئنهم في موضع خبر وهذا الخبر صح صح

ذلك هو

ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقوله ذلك وان انقطع
عن الاول في اللفظ فانه متصل به من طريق المعنى وكانه قال لهم ما يشاؤون عند ربهم مبشرا
اليهم بانه الفضل الكبير وقوله نعم اجر العاملين والمعنى مبشرا اليه بالتفضيل على اجر العاملين
واذا كان الامر على ما ذكرنا في الآيتين لم يكن بكل واحدة منهما الا ما جاءت به فاعرفه الآية
السادسة منها قوله عز وجل يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء
عليم وقال في سورة القصص ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا
ان من الله علينا وقال في سورة الرعد الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة
الدنيا وقال في حم عسق له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل
شيء عليم للسائل ان يسأل عن الاولى وتخصيصها بقوله ~~وكاين من دابة لا~~ يقدر وبقوله
له وعن تخصيص ما في القصص بقوله من عباده من دون قوله له وعن الاخريين وتجردهما عن
ولفظي عباده والجواب عن ذلك ان يقال اما الاولى في سورة العنكبوت فانها جاءت
بعد قوله وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم فلما ذكر ان الله
تعالى هو رازق جميع الحيوان ما ادخر منها كالنمل وما لم يدخر كالطير يغدو خماصا ويروح
بطانا فبين لنا انه كما كان في غيرنا من الحيوان ما هو موسع عليه وما هو مضيق عليه كذلك الامر
فينا ثم قال الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له فالهاء في له يرجع الى من
من عباده ومن يشاء مفعول يبسط وكان من يقدر له هو من يبسط له في وقتين
مختلفين فاقتضى هذا المكان اللفظ الذي جاء فيه بالمعنى الذي هو غير الاول من جمع البسط
والقبض لواحد في حالين وكذلك قوله قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له
وما انفقتم من شيء فهو يخلفه واما قوله في سورة القصص واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس
يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر فالمعنى انتبهوا لان
الله يوسع الرزق لمن يشاء لا لكرامته كما وسع على قارون ويضيقه على من يشاء

او ذاك نعم اجر العاملين صح

من عباده ويقدر

فلما كان بعد القسمة الاولى لمن يبسط له الرزق في حال ويضيق له في اخرى فقال الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له صح

ومخف بنا كالخسف به فقوله لمن يشاء من عباده ويقدر اي يبسط لمن يشاء البسط له
ويقدر لمن يشاء ان قدره حح

لا لهوانه كما ضيق عن كثير ممن آمن به ثم قال تعالى حكاية عنهم لولا ان من الله علينا لخسف
بنا لولا ان من الله علينا بان صرف عنا الغنى الذي يقع الكفر معه لكفرنا لخسف بنا كما خسف به لكفره
عليه فاضمر الفعل الثاني مثل ما يتعدى اليه الفعل الاول وهو من يشاء لعلم المخاطبة به وانه
في المعنى غير الاول وان كان في اللفظ مثله واما الآيتان في سورة حم عسق وفي سورة
الرعد فانهما مقصورتان على ذكر البسط والقبض فحسب والذي في الرعد جامع قوله
والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون
في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا
بالحيوة الدنيا وفيه دليل على انه موسع عليهم في الرزق لقوله وفرحوا بالحيوة الدنيا
ولما كان لهم سوء الدار علم ان حظهم من الدنيا ليس لكرامتهم وان من ضيق عليه فليس
ذلك لهوانه فاقتضى المكان هذا الاجمل المعنى ووقع اختصار في اللفظ في الفعل الثاني
لان ما يتعدى اليه مثل ما يتعدى اليه المفعول الاول من المذكور بعده وكذلك قوله في
سورة حم عسق له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اجمل القول
في التوسعة والتضييق لما اخبر انه خلق لنا من انفسنا ازواجا من اجناسنا ذكورا
ذكورا واناثا ومن الانعام مثلها وانه يبسب بنا في هذا الخلق ولا يزال الآخر مخلوقا
في الاول في ظهور الآباء وبطون الامهات الى الوقت المعلوم وهو يملك ارزاق هذا الجمع
التي بالمطر والنبت فوادٍ خطا وواد مطر على ما يشاء رب العالمين فتبارك احسن الخالقين
الآية السابعة منها قوله عز وجل ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها
ليقولن الله وقال في سورة الجاثية واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق
فاحيا به الارض بعد موتها وقبلهما في سورة البقرة ان في اختلاف الليل والنهار والفلك تجري
في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث
فيها من كل دابة للسائل ان يسأل عن الآية من سورة العنكبوت لماذا اختصت من بين

قوله بعد موتها

قوله بعد موتها واخلي الموضعان الآخران منها الجواب ان يقال ان التقرير يؤثر
فيه من تحقيق الكلام ما لا يؤثر في غيره والظروف اذا حدت حققت تقول سرت اليوم
كان قلت من اوله الى آخره كان الحد تحقيقا لانه قد يطلق لفظ يوم وان ذهب ساعة
او ساعتان من اوله وان بقيت ساعة او ساعتان من آخره فاذا رفع الحد زال هذا
الوهم وقوله من بعد موتها لانه من اماكنه وقوله تعالى في الآيتين الاخريين فاحيا به
الارض بعد موتها ليس في تقرير كما كانت الاولى وان كان يؤدي معنى المحدود الا انه ليس
له لفظه فاختلفت الموضعان لما ذكرنا الآية الثامنة منه قوله تعالى ولئن سألتهم من
نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون
للسائل ان يسأل عن اختصاص الاولى بقوله لا يعقلون والثانية بقوله لا يعلمون الجواب
ان يقال ان الاولى في التنبيه على البعث والاحياء بعد الموت فاستعمل فيه لا يعقلون
اي لا يفهمون عن هذا الفعل مثله وفي مثل عليه يستعمل فيه مثل من فطن له وعقله
وادركه وشعر به وان صحت كل ذلك العلم الا انه علم على وصف وكذلك لما فصل الآيات
التي اقامها في السماء والارض وفي اصناف الخلق وذكرها في سورة الروم وعقب بعضها
بقوله ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وان في ذلك لآيات للعالمين وان في ذلك لآيات
لقوم يسمعون قال فيما معناه ما ذكرناه ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من
السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون دون ما تقدم من
الآيات المختومة بغيره من الالفاظ وليس كذلك الآية في سورة لقمان لان الكفار كلها
معترفون على ان الله وحده خالق السموات والارض وهم يعلمون ذلك ويثبتون معه
آلهة فكانهم لا يعلمون فلذلك قال ولكن اكثرهم لا يعلمون فاذا عبدوا الاصنام هذه
العبادة التي تحسن لمن خلق السموات والارض باقرارهم فكانهم لم يعلموا ما اقروا
به ونبهت معلوما لهم الآية التاسعة منها قال في آية خص ذكرها في سورة

لا يعقلون وقال في سورة
لقمان ولئن سألتهم من
خلق السموات والارض
ليقولن الله قل الحمد لله
بل اكثرهم لا يعلمون حح

وفي مثل هذا يقال عقلت
من كلامه كذا اي عقلته
وفهمته ومن تنبه على الشيء
علمه بعد ان لم يكن متنبها
حح

بعد فراغه مما جاء فيها فذكرناها في آخرها
ان قوله تعالى في سورة العنكبوت صح

العنكبوت ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا
لا تخف ولا تحزن فاكدت لما بان قرن اليها وهي في سورة هود ولما جاءت
رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب فلم يؤكد لما بان
تؤكيدها بها في سورة العنكبوت وما الفرق بينهما وحين ذكرها في سائر القران
خالية من التوكيد بان فالجواب ان يقال اقتران ان بها في سورة
العنكبوت تحملة لمعناها في نفسها لتدل بذلك فقد قارن جوابها متصلا بها

قال الذي في سورة العنكبوت قد
اتصل بجوابها وهو سيء
بهم وضاق بهم ذرعا
ما بجملة وبخلصه لتبطلا صح

بجملة وبخلصه لتحقيق او بطلان الروع السابق اليه ومثله فلما ان جاء البشير
القاه على وجهه فارتد بصيرا فقوله القاه جواب لما وقوله متصلا به فارتد بصيرا
تحملة للجواب وكذلك قول الشاعر ٥ ولما رايت ابني شميط ٥ وجوابه في البيت الثاني
لحالب العصا ٥ وتحملة قوله متصلا به ٥ وعلمت اني رهين مجبس ان ادركوني
وكذلك قوله فلما ان سيء قلة حرف فهذا جواب لما وبعده ما تدل على انه عوقب بانه
سمنه فكان تحملة للجواب لما فهي في قوله في سورة هود ولم يتصل بجوابها ما يخلص
لتحقيق او بطلان الا في الاية الخامسة عند قوله قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا
اليك فبعد هذا عن الجواب ولم يتصل به اتصالا ما يكون من تمامه سورة الروم
الاية الاولى منها قوله عز وجل اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وقال في سورة
فاطر اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد
منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض وقال في سورة المؤمن اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة واثارا
في الارض وقال في اول هذه السورة اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض للسائل ان يسال عن اختلاف الفاظ

ولا

هذه

هذه الايات واختصاص كل ما خالف الاخر بمكانه الجواب عن ذلك ان يقال ما التي
في سورة الروم فانها وقعت في سورة اجملت فيها القصص في ذكر الايات والمواعظ
والفرايض فبنيت هذه الاية على ذكر ما قبلها وهي اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله
السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون
وقال اولم يسيروا في الارض الى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بايات الله
وقال في تنزيه الله وتسبيحه في الصلوات فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
لصلوة الفجر وحين تظهرون لصلوة الظهر فاجال العقول فيما قدره كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم من قبلهم ومعنى من قبلهم واحد والعامل في الظرف كون محذوف
لان الكون المذكور هو لكيفية العاقبة وهذا الكون هم قبلهم وقد اظهر في سورة المؤمن
من حيث قال كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ثم استانف الاخبار عنهم بافعال
فعلوها قدم ذكر احدها ونسق الباقي عليه فقال كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض
وعمروها اكثر مما عمروها الى اخر ما بهم فكان حرف الواو الاختيار في هذا المكان لان التقدير
لما قال كيف كان عاقبة الذين من قبلهم صار كان سائلا سال فقال كيف كانوا وماذا
فعلوا فجاء كيف كانوا اشد منهم قوة يجيء الجواب المتضمن لافعالهم ثم ذكر بعده ما تضمن
الجزاء على اعمالهم واذا كان كذلك لم يحتج الى الواو كما احتاج اليها في سورة الملائكة لان
تلك يضم ما بعدها الى ما قبلها كانه قال فينظروا كيف اذلوا وكانوا اعز منكم عزة وكيف
اضعفوا وكانوا اشد منكم قوة لخلقهم ذلك في حال متناهية بهم من احوال الدنيا فابدلوا
حالهم غيرها وقيل ذلك فهل ينتظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن
تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اي ليس الكفار ينتظرون الا الهلاك الذي حل
لهم كما حكم الله به على الامم قبلهم والله تعالى سن ذلك في امة كل نبي بعده نبي آخر
وحكم في هذه الامة بان لا استاصل غيرها ولا الامة التي حكم عليها فيحول اليها الحكم الذي
بالهلاك بترك حكمه فيها وجعل مكان الاستيصال
المستحقا ولا التي حكم عليها بعز الاجتماع تحتاج

قبلهم صح

قوم صح

على لسان الرسول صلى
الله عليه وسلم فلما كان
الموضع موضعا مقصود
فيه ذكر الجمل قال اولم
يسيروا في الارض صح
فينظروا اصح

١٠٥

سنة في غيرها وهؤلاء الذين بعث على تدبر حالهم هم الذين اهينوا بعد عزة
واضعفوا بعد قوة فبدلت حالهم فكانه قال اضعفوا وكانوا اشد منكم فكان وجه
الكلام هنا الواو اذ لم يكن في ابتداء خبر تنسق عليه اخبار تخرج ~~قصة موسى عليه السلام~~
كما كان في الآية الاولى واما التي في سورة المؤمن اولا فانها في موضع بسط وشرح
الا ترى انها افتتاح قصة موسى عليه السلام مع فرعون وفيها نحو ثلثين آية
فاقتضى ذلك في هذه الآية الشرح الذي لم يكن في غيرها فقال اولم يسيروا فينظروا
كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ظرفا له ثم قال كانوا هم اشد منهم قوة وهم
للفصل لتوكيد الخبر فاختص التوكيد والشرح بموضعهما واما التي في آخر هذه السورة
وهي افلم يسيروا في الارض فقد تكلمنا في الفاء مكان الواو في اولم وهي انها في موضع حمل
كالآية في سورة الروم لا لما قبلها ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك
ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله فاذا جاء امر الله
قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون فبنيت الآية على الايجاز لما بنيت عليه تلك
فقال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر
منهم واشد قوة وكانوا اكثر آثارا في الارض ومثله مما احمل فيه القول افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها وقوله
افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها وكانت لقريش
رحال الى الشام يجتازون فيها بديار عاد وثمود فيرون آثارهم ويشاهدون ديارهم
فاستدعت هذه الآيات لعادهم فيما افسدوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون
الآية الثانية منها قوله عز وجل ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا
اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق
السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ومن

آياته

عن الكفار صح

لانها تحذفت الواو من كانوا استئناف اخبار بحاله قد كانوا اكثر منهم واشد قوة صح

آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن
آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك
لآيات لقوم يعقلون وفي الثانية للعالمين وفي الثالثة لقوم يسمعون وفي الرابعة
لقوم يعقلون والجواب ان يقال اما اختصاص الاولى بيتفكرون فان المراد
بما ذكر قبله يؤدي الفكر فيه الى معناه وهو قوله ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
لتسكنوا اليها اي خلق لكم من شكلكم وجنسكم نساء وهذا ادعى الى الالفة والمحبة بموجب
المشاكلة وقوله لتسكنوا اليها اي جعلها على حال تعظم المسرة بها ويطمئن القلب
اليها فاذا فكر الانسان في خلقها ونعمة الله على الرجال بها سوى انهن اوعية الاولاد
الاولاد الذين اذا ابروا حق البر نعم الله على العباد فالفكر في ذلك والمعاني التي لها
خلقن يؤدي الى العلم بقادر عليم وجامع حكيم وواحد قديم لا يقدر احد
كقدرته ولا يعرف حكيم حق الحكمة محتاج في التفكر على العلم بهذا كله وقوله وجعل بينكم
مودة ورحمة اي ميل بالمجانسة ورقة قلب تبعث على التعاطف ليتعامل سرور كل
منهما بصاحبه وذلك من فعل الله تعالى ونظره لخلقه واما ان في ذلك لآيات للعالمين
فلانه جاء بعد قوله ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ولا
احد الا والسماء تظله والارض تقله فلا ينفك منهما ولا يخلو من كونه بينهما يعلم ذلك
باضطرار واما اختلاف الالسنة فالمراد ان الآلات الكلام متقاربة واجناس الاصوات
والنغم مختلفة حتى يرى كل واحد من المنافقين مختصا بلطيفة من الله تعالى في صورته
وفي جرس لسانه لا يخفى بها على من عرفه اذا سمع كلامه السمع يميز بينه وبين من سواه
قبل ان يراه ويعلم هذا الكل من نفسه وممن يجاوره ويباشره ويناطقه حتى لا
لا تكاد ترى اثنين في الخلق العظيم والعدد الكثير يتشابه صوتهما ويلتبس
كلاماهما وهذه لا سبيل الى وصفها حتى يتهيأ وصف كل صوت بما يحضره على حد
اللطيفة

للسائل ان يسأل عما ختمت به هذه الآيات فجاء في الاولى ان في ذلك لقوم يتفكرون صح

النفس صح

ويخصه بها طوبة تبارك الله احسن الخالقين وكذلك قوله والوانكم ليس المراد بها السواد
والبياض والسمرة والادمة والصفرة وانما المعنى اختصاص كل واحد من الناس
بخلقة وانفراده بصورة تفاوتها لطف تدبير الله تعالى بخلقه على لون ونوع
من التصوير والتميز به عن الناس سائر امثاله حتى لا يلتبس بواحد من اشكاله فلا
تكاد تجد في بلد يحوي من لا يحصى بعدد اثنين يشتبهان تشابها لبس بل لكل خصوص
خصوصية في وجهه يعرف بها من غيره وهو ايضا مما يعجز بالنعت ولا يمكن ابانة واحد من
الآخر بالوصف حتى يستغني به عن المشاهدة ويقوم من جهة الواصف له مقام الرؤية
فهذه آيات يشترك في معرفتها الناس كلهم وان استمرت الغفلة بهم ووقع عن تأمله
سهو منهم فلذلك قال ان في ذلك لآيات للعالمين اي لجماعات الناس فكل جماعة منهم
عالم واما قوله ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله فهو من باب امن
المخبرين المعنى منامكم بالليل السكون وابتغاؤكم من فضله بالنهار كما قال فيما قبله
ومن رحمته جعل الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله بالنهار وكل من سمع هذا علم
ان النوم عجيبة من فضل الله لا يقدر الانسان على اجتلابه اذا امتنع ولا على دفعه اذا
ورد وانه بالنهار لا بد له من تصرف لمعاش وطلب قوت وطعام به قوام الاجساد فلذلك قال
ويحتمل معنى يسمعون يستجيبون لما يدعوهم اليه الآيات ويصرفون افكارهم اليها واما
قوله يعقلون فقد ذكرناه في سورة العنكبوت حيث قال ولئن سألتهم من نزل من
السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون
الآية الثالثة منها قوله تعالى اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان
في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فقال في سورة الزمر اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون للسائل ان يسأل عن الموضع الذي
ذكر فيه اولم يعلموا والموضع الذي ذكر فيه اولم يروا وما الذي اوجب اختصاص كل واحد من

بالنهار صح

المكانين

المكانين باللفظ الذي خص به الجواب ان يقال قوله في سورة الروم اولم يروا
جاء عقيب واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم
يقنطون والمعنى اذا انعمنا عليهم بنعمة يرى عليهم وتملأ صدورهم ومراحهم وتعمر
افنيتهم وابنيتهم ملكهم الفرح واستولى عليهم البطر وان اصابتهم عقوبة على ما قدموا
من معصية ونالتهم شديدة من قحط وجدب يصفر لهما الاناء ويفرغ الصاحي لا يرى
لهم ناعية ولا راعية لم يصبروا ولم يقلعوا عما اتوا مما جر عليهم تلك الشديدة وفعل
فعل من ييأس من ان يأتيه الله بعد تلك بنعمة الا تدرك سيئة بقوله فكان
الاليق بهذا المكان اولم يروا اي اولم يروا اموال من يبسط الرزق فيعلموا انه يوسع
لمن يشاء ويضيق على من يشاء وكلتا الحالتين مرئيتان عندهم مشاهدتان في
قلوبهم فان من بسط له الرزق ترى ماله ولم تخف على المشاهد حاله ومن انقلب امره
وانقطع خبره ادركت العين منه خلاف ما كان قبل فلما جاءت هذه الآية بعد ذكر النعمة
اذا وهبت وحال الانسان فيها اذا سلبت والنعمة مرئية لاق بهذا المكان اولم
يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر واما الآية في سورة الزمر فان قبلها فاذا
مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة
ولكن اكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون الى
قوله اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فقوله واذا مس الانسان ضر
دعانا والضر سوء الحال من مرض في النفس ونقص في المال هو الذي شكاه ايوب
عليه السلام بقوله مسني الضر وقوله ثم اذا خولناه نعمة منا اي اذا اعطيناه بعد العلة
صحة وبعد القلة ثروة ادعى انه اوتي ما اوتي بعلمه وانه جلب العافية الى نفسه بطبه
وانه لم تعاوده الصحة من قبل ربه ويقول هما نحن حاله الى افتقرت من قبل لا اني
قصدت والآن علمت كيف التأتي للاكتساب واستفادة الغنى بعد الافتقار

قوله صح

وتلك النعمة من الله وهي فتنة له اي شديد في التكليف عليه لانه مطالب بمعرفتها التي هي
عنها وعن حكمها من شكرها والهاه الانغماس في لذتها عن حمد من تفضل بها عليه واكثر الناس
لا يعمل بموجبها فكانه لا يعلمه فهذا معنى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ثم قال قد قالها الذين من
قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اي قد كفر مثل كفرهم من كان قبلهم فلما نزل عذاب
الله بهم لم يملكوا دفعه بعلمهم ولا باموالهم لكن اصابهم عقوبات ما ساء من اعمالهم
والظالمون في عصرك يا محمد صلى الله عليه وسلم سيصيبهم عقوبة ما عملوا ثم قال او لم يعلموا ان
الله يوسع على الفقير حتى يستغني ويفتح له ابواب الرزق حتى يثري وانه يضيق
على من يشاء ان يضيق عليه ويسقم من يشاء اسقامه ويصح من شاء صحته فقال
ما ادعوه من العلم لما قال كافرهم انما اوتيته على علم عندي بان قال هلا علمتم ما هو
اوضح من احوالكم فتعلموا الخصب والجدب ليسا بايديكم وكذلك المرض والشفا ليسا اليكم بما
تعلمونه من بسط الله الرزق اذا ارسل السماء عليكم مدرارا وما تتاملون منه اذا ظلل يعلمه ا
السحاب بقطره وابتلى احدكم بفقره فكان او لم يعلموا اولى بهذا المكان من قوله او لم
يروا كما كانت او لم يروا في سورة الروم اولى والله اعلم الاية الرابعة منها قوله
تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره
ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وقال في الجاثية ولتجري الفلك فيه بامره للسائل ان يسأل
عن قوله فيه في سورة الجاثية وتركها في سورة الروم وكان الجواب قريبا عن من له
ادنى معرفة وهو ان الهاء في قوله فيه عايدة الى البحر وقد ذكر في سورة الجاثية فعاد اليه الضمير وهو
قوله الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولم يتقدم للبحر ذكر في الاية التي ذكر فيها جري الفلك
في سورة الروم وانما نبه على النعمة بالرياح واظهار اياته فيها فقال ومن اياته ان يرسل الرياح
مبشرات اي باختلاف السحاب واعتصاره للامطار وهو الذي يذيقنا من رحمته مع ما يلقح
منها الاشجار في وقته فقال ولتجري الفلك بامره اي بالرياح اذا اذن لها وهذا ما لا اشكال فيه

سورة

سورة لقمان الاية الاولى منها قوله تعالى الم تر ان الله يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير
وقال في سورة الزمر يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل
يجري لاجل مسمى للسائل ان يسال عن اختصاص ما في سورة لقمان بقوله يجري الى اجل
مسمى وما سواه يجري لاجل مسمى الجواب ان يقال ان معنى قوله يجري لاجل مسمى
يجري لبلوغ اجل وقوله يجري الى اجل معناه لا يزال جاريا حتى ينتهي الى وقت جريه
المسمى له وانما خص ما في سورة لقمان بالى التي للانتهاء واللام تؤدي نحو معناها لانها
تدل على ان جريها لبلوغ الاجل المسمى لان الايات التي تكتنفها اتت منبهة على النهاية
والحشر والاعادة فقبلها ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وبعدها يا ايها الناس
اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
فكان المعنى كل يجري الى ذلك الوقت الذي تكور فيه الشمس وتنكدر فيه النجوم كما اخبر الله تعالى
في ساير المواضع التي ذكرت فيه اللام انما هي في الاخبار عن ابتداء الخلق وهو قوله خلق
السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر
كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها
فالايات التي تكتنفها في ذكر ابتداء الخلق وابتدا جري الكواكب وجعل ذاك تجري لبلوغ
الغاية وكذلك قوله في سورة الملايكة انما هو مع ذكر النعم التي بدانا بها في البر والبحر اذ
يقول وما يستوي البحران الى قوله ولعلكم تشكرون يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه لا يملكون
من قطمير فاختص ما عند ذكر النهاية بحرفها واختص ما عند الابتداء بالحرف الدالة على العلة التي
وقع الفعل من اجلها سورة السجدة الاية الاولى منها قوله عز وجل يدبر الامر من السماء الى
الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وقال في سورة سال سائل

يعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة للسائل ان يسال
فيقول لهذا اليوم جعل مقداره في السورة الاولى الف سنة وجعل في السورة
الثانية خمسين الف سنة وقد قدره بالف سنة في موضع آخر من سورة الحج فقال
وان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون فكيف تجمع بين هذه الاخبار
الجواب عن ذلك من وجوه احدها ان يكون المعنى ان الله تعالى يدبر امر
اهل الارض في السماء من دعائهم الى الطاعات وتكليفهم انواع العبادات
فينزل به من يامره من ملائكته ليبعث بذلك رسله ويضم اليهم آياته وكتبه
ثم تصعد الملك الذي جاء به الى المكان الذي نزل منه في يوم من ايام الدنيا وهذه
المسافة التي قطعها الملك في النزول والصعود مقدارها مسيرة الف سنة من
غيره لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام فيقع الصعود والنزول
في يوم تستغرق اوقاته سير الف سنة من السنين التي يعدها اهل
الارض في الدنيا وهذا التدبير الذي يدبر في السماء للارض هو ما يكلفون في العبادات
وما يقدر من مدد اعمارهم وما يحدث في اللوح المحفوظ مما يدل الملائكة انهم
مامورون بان ينزلوا به الى المصطفين من عباده بالرسالة ثم يعودون الى
اماكنهم في يوم تقديره الف سنة من ايام الدنيا فاما قوله في سورة الحج وان يوما
عند ربك كالف سنة مما تعدون اي يقع في يوم من تنعيم المطيعين وتعذيب
العاصين قدر ما يناله المنعم في الف سنة من ايام الدنيا ويعذب العصاة في يوم
مقدار ما يعذب به الانسان في الدنيا الف سنة لو بقي فيها فعذابه عذاب
الف سنة وذلك لما يتضاعف عليها من الالام والملاذ ويتصل اليهما من الغموم
والسرور والدليل على ان المراد في هذه الآية ذلك قوله قبله ويستعجلونك
بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون

هل الا

المطيعين صح

فجعلهم

فجعلهم باستعجالهم العذاب الذي هذا وصفه واما قوله في سورة سال
سائل تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
اي يصعد الملائكة وجبرئل عليهم السلام الى حيث يعطي الله فيه الثواب باهل
طاعته ويحل فيه العقاب باهل معصيته وان ذلك في يوم هو يوم القيمة
ويفعل الله من محاسبة عباده وتبليغ كل منهم حقه ما لا يكون مثله في الدنيا
الا في خمسين الف سنة وجواب ثان وهو انه يجوز ان يكون يوم القيمة بلا آخر
وفيه اوقات مختلفة طولا وقصراً كما في ايام الدنيا كان الوقت بين صلاة
الفجر وصلاة الظهر اطول مما بين الظهر والعصر وكما كان ذلك بين صلاتي العشاء
الاولى والعشاء الآخرة فبعضها الف سنة وبعضها خمسون الف سنة وجواب ثالث
وهو ان يكون اليوم الذي اخبر الله عنه في السجدة والذي في الحج هما من الايام التي
خلق فيها السموات والارض وكل يوم منها الف سنة من سني الدنيا فاما ما في سورة سال
سائل فان المراد به انه لثقله على الكافرين واستطالتهم له وصعوبته وهوله عليهم
يصير كخمسين الف سنة وفي كل واحد من الاجوبة التي ذكرناها ما يكفي في جواب السائل
الآية الثانية منها قوله تعالى واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان
يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون وقال في سورة
سبا فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار
التي كنتم بها تكذبون للسائل ان يسال فيقول ما الذي اوجب في سورة السجدة ان يعود
الوصف بالذي الى العذاب الذي هو مذكر ويعود مثله في سورة سبا الى النار التي هي
مؤنثة وهل كان اختيار الرجاء هذا على العكس فكان ما في سورة السجدة يرجع الوصف
فيه الى النار التي هي [crossed out] الوصف فيه الى العذاب والجواب ان يقال
ان النار في قوله في سورة السجدة ظاهر موضع المضمر لتقدم ذكره في قوله واما الذين فسقوا

فيه صح

عند الله هو من الايام التي هو

وما في الآخر يرجع

نمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فاضمرت وقوله لهم ذوقوا عذاب
اي عذابها فوقعت مظهرة مكان المضمر والتي في سورة سبا لم يجي هذا المجي
لانها في مكانها مظهرة فلما كان المضمر لا يوصف تعذر عن الوصف ما حل محله الآية
سد مسده فوصف ما اضيف اليها وهو العذاب فجاء عذاب النار الذي كنتم به
تكذبون ولما لم يتقدم ما في سورة سبا ما ينزله منزلة المضمر صح الوصف له فاجري
عليه وجاء عذاب التي كنتم به تكذبون الا ترى ان قوله ويقول للذين ظلموا
ذوقوا عذاب النار التي بها تكذبون الآية الثالثة منها قوله تعالى ولقد آتينا
موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه فاتى بالنون في تكن وقال تعالى في هود
في موضعين فلا تك وكان حق ذلك ان يذكر هناك بغير نون وهو قوله ومن يكفر به
من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا
يؤمنون وقال في آخرها الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك في مرية مما يعبد
هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل للسائل ان يسأل عن حذف النون
حيث حذفت واثباتها حيث اثبتت وما الذي خصص كلا بمكانه الجواب ان
يقال هذه النون في قوله لا تكن لما اشبهت بسكونها حروف المد واللين ثم كثرت استجيز
حذفها للسببين جميعا فان تحركت خرجت عن شبهها نحو لم يكن الرجل منطلقا لا يجوز
لم يك الرجل منطلقا فاما اذا تحرك ما بعدها متى تعلقت بالجمل الكثيرة ويختار اثباتها اذا
تعلقت بالقليلة لان الكثرة احد سببي جواز حذفها وهذه الكثرة اعني انها في ام الافعال
التي هي كان ويعبر به عن كل فعل الا ترى انه لا يجوز لم يك زيد ولم يض زيد في لم يمض
ولم يصن وكثرة الجمل التي يتعلق بها تعلق بآيات ذوات جمل تقدمته وهي افمن
كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون
به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك فقد تقدمته
جمل جاء عقيبها متعلقا بها فثقل من اجلها فاختير تخفيفا بحذف نونها وكذلك قوله

وقد

فاما اذا سكنت وتحركما
بعدها لكن ان تاتي
بها ولك ان تحذفها
كما جاء في موضعين ثم
انه يختار الحذف اذا

هي التي يتعلق بها
تعلقت بما من قبلها
او من بعدها فخلا
في سورة هود فلا تك
في مرية منه انه الحق من
ربك جاء بعد صح

وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا جاء بعد قوله قال رب انى يكون لي غلام وكانت
امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك
من قبل ولم تك شيئا وقع في جواب الله تعالى له بعد الكلام الذي كان منه لما بشر
بالولد فطال الكلام جدا وخفف بالحذف في موضعه اختيارا له وكذلك قوله اولا
يذكر الانسان انا خلقناه ولم يك شيئا فاما قوله قال رب اني وهن العظم مني واشتعل
الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا فانه قلت الجمل قبله ولم يتعلق بما تقدم تعلق
ما ذكرناه فلم يثقل فاختير الاتمام على الاصل وكذلك قوله ولقد آتينا موسى الكتاب فلا
تكن في مرية من لقائه لم يتقدمه ما يتعلق به من الجمل ما تقدم غيره مما ذكرنا وهذه النون
حذفها في حال سكونها لشبهها بحروف المد واللين اذ كان صوتا جاريا في هواء
الانف كما ان تلك اصوات تجري في هواء الفم ثم انضاف الى هذا السبب كثرتها في الكلام ووجه
انها تدخل على كل فعل فيقال كان زيد عاقلا ولم يك زيد عاقلا فلما كانت الكثرة احد
سببي حذف النون في الاصل صارت كثرة المتعلقات احد سببي اختيار حذفها فان
سأل عن قوله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم وقبله عطاء
غير مجذوذ وقد انقطع الكلام ولا تعلق لقوله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء بما قبله
قلت لم تعدد متعلقات الجملة التي فيها لكن ما قبلها دون ما بعدها وهذا وان لم يثقل
بتعلقها بما قبلها فانها تعلقت بما بعدها كقوله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون
الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص اي لا شك فيما يعبد هؤلاء الكفار
من الاصنام انهم يعبدونها بحجة فانهم لا يعبدونها الا تقليدا لآبائهم الذين كانوا يعبدونها
من قبل وكل يجري بمستحقه وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به هو ومن آمن به فقد تعلقت
فلا تك في مرية بهذا الكلام كله ليس في سورة الاحزاب شيء من ذلك

سورة سبا

الآية الاولى منها قوله تعالى عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا

من قبل صح

يتعلق هذا بقوله ويقول
الانسان أإذا ما مت لسوف
اخرج حيا او لا يذكر الانسان
انا خلقناه ولم يك شيئا صح

اصغر من ولا اكبر الا في كتاب مبين وقال بعده في هذه السورة قل ادعوا الذين زعمتم من
دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم
من ظهير وقال في سورة يونس اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين للسائل ان يسال عن تقديم
السموات على الارض في الموضعين في سورة سبا وعن تقديم الارض على السماء في سورة
يونس وكان موضع ذكر هذه الاية هناك الا انها تاخرت الى هذا المكان الجواب عنه ان
يقال انما ذكر السموات على الارض في سورة سبا لان هذه الاية مبنية على مفتتح السورة قدم م
وهو الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة فتقدم ذكر السموات لان
ملكها اعظم شانا واكبر سلطانا وكذلك الاية التي بعدها من سورتها واما التي في سورة يونس
فانها جاءت عقيب قوله وما تكون في شان وما تتلو منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا
عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء فكان
القصد الى ذكر علمه بما يتصرف فيه العباد من خير او شر فذلك في الارض فاتحة بقوله وما يعزب
عن ربك من مثقال ذرة فاستوعب جميع ما في الارض ثم اتبعه ذكر السماء لان الابتداء وقع بما
يتعلق بها وما يعمل العباد فيها فلذلك قدمت الارض عليها الاية الثانية من سورة سبا
قوله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
وقال في سورة بني اسرائيل قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا
للسائل ان يسال عن اظهار اسم الله في سورة سبا في قوله من دون الله واضماره في سورة بني
اسرائيل في قوله من دونه وقد جرى الذكر قبل في الموضعين لان قبل هذه وما كان
له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل
شيء حفيظ وهناك ربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
وآتينا داود زبورا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه الجواب ان يقال انما اختير

الاضمار

الاضمار في سورة بني اسرائيل لقوة الذكر قبل الا ترى انه تكرر في عدة مواضع مضمرا واحد م
ومظهرا لقوله ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم وان يشا يعذبكم وفي اعلم ضمير واحد وفي ان
يشا فيه ضمير وفي قوله يرحمكم وقوله وان يشا فيه ضمير فاعل وما ارسلناك النون والالف ذكره
تعالى وربك اعلم اسمان ولقد فضلنا قوله نا اسمه وكذلك آتينا داود زبورا وكان
الاضمار تلو الاضمارات اولى بهذا المكان فلذلك جاء قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
واما في سورة سبا فان الذي تقدمه وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن
بالاخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ فالذكر تقدم في ثلثة مواضع وهناك
في اكثر من عشرة مواضع فحسن الاظهار هنا وقوي الاضمار هناك فلذلك اختلف

سورة الملائكة الاية الاولى منها قوله تعالى هو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن
كفر فعليه كفره الاية وقال في آخر الانعام وكان حكم هذه الاية ان تذكر هناك وهو الذي
جعلكم خلائف الارض فاضاف خلائف الى الارض بغير واسطة في وهناك نكرها واضاف فيها
بفي وللسائل ان يسال عن التعريف اولا والتنكير ثانيا وعما خص كل مكان بما اختص
الجواب ان الذي في سورة الانعام اجري مجرى المعرفة لانه بعد ذكر متكرر وخطاب
متردد من مبتداء قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم فلما خوطبوا بالفاظ المعرف
اتبع ما هذه الاية من ذكرهم في موضع النكرة وهو المفعول الثاني من جعلكم ذكر المعرفة
وكسي لفظها فصار التقدير وهو الذي جعل كل واحد منكم الخليفة في الارض التي عما تقدمه ورثها م
فمنكم الاعلى ومنكم الاوسط ومنكم الاسفل وليس كذلك الامر في سورة الملائكة لان ما تقدم
هذه الاية منها ذكر اهل النار من مبتداء قوله والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور الى قوله فذوقوا فما للظالمين من
نصير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور ثم قال هو الذي جعلكم خلائف
في الارض فاخرج لفظ خلائف مخرج النكرة كانه قال جعلكم خلفا لمن تقدم غير معلوم

الا عند الله ما يكون من امركم فانهم مجهولون عند اشباهكم وامثالكم ممن كفر منكم
فضرر كفره راجع عليه فكان التنكير اولى بهذا المكان لانه لم يتقدمه من الاسماء
المضمرة التي للخطاب المعرفة بحكم الاضمار ما تقدم في سورة الانعام ثم نزلهم منزلة قوم
مجهولين يتوقع ما يكون من امرهم من ايمانهم وكفرهم فلم يجعلوا في حكم الخطاب ٥
الاول في قوم باعيانهم للانقسام الواقع عليهم فهذا فرق ما بين المكانين والله اعلم

سورة يس الاية الاولى منها قوله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال
يا قوم اتبعوا المرسلين وقال قبله في سورة القصص وجاء رجل من اقصى المدينة
يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك للسائل ان يسأل عن تقديم قوله من
اقصى المدينة على رجل الذي هو الفاعل في سورة يس وتأخيره في السورة التي
قبلها الجواب ان يقال ان الفاعل في الموضعين لما كان نكرة والمعنى جاء جاء
وقد دل الفعل على جاي ولا يكون الجاي من اقصى المدينة في الاعم الاغلب الا
رجلا وكان الذي يقابل المخاطب ان يعرف انه جاء من مكان بعيد الى مجتمع الناس
في القرية وحيث لا يفوته من مجاري القصة ولا يحضر موضع الدعوة ومشهد الحجة
فقدم ما تبكيت القوم به من اعظم والتعجب منه اكثر فقال جاء من اقصى المدينة رجل
ينصح لهم ما لا ينصحون مثله لانفسهم ولا ينصح لهم اقربوهم مع انه لم يحضر جميع
ما يحضرونه ولم يشاهد من كلام الانبياء ما شاهد فبعثهم على اتباع الرسل المبعوثين
اليهم مقبول ما يأتون به من عند مرسلهم واما الاية الاولى من سورة القصص فان المراد
جاء من لا يعرفه موسى عليه السلام من مكان لم يكن مجاور المكانة فاعلمه ما فيه الكفاية من
ائتمارهم به فاستوى حكم الفاعل والمكان الذي جاء منه فقدم ما اصله التقدم وهو
الفاعل اذ لم يكن هنا تبكيت القوم بكونه من اقصى المدينة كما كان ذلك في الاية المتقدمة
الاية الثانية منها قوله عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون وقال

في

في سورة الفرقان واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون للسائل
ان يسأل عن اظهار اسم الله تعالى في سورة يس وفي سورة مريم في قوله واتخذوا
من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا واضماره في سورة الفرقان حيث قال
واتخذوا من دونه آلهة الجواب عن ذلك ان يقال انه لما قال في سورة الفرقان
فاخبر عن نفسه لا كاخبار المتكلم بلفظة التاء والنون والالف مثل فعلت وفعلنا بل كما
يخبر المخبر عن غيره فقال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده الى قوله وخلق كل شيء
فقدره تقديرا كان ذكر الله تعالى قد تقدم في الايتين فاجرى ذكره في الثالثة مجراه
في الاوليين على مقتضى كلام العرب في الاضمار بعد الذكر ولم يكن كذلك الامر في الايتين
في سورة يس ومريم لان ذكر المتقدم انما هو على لفظ المخبر عن نفسه كقوله كلا سنكتب
ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ثم قال واتخذوا من
دون الله آلهة اي اتخذوا من دون الله من يحق له العبادة اصناما يعبدونها
ولا يحق عبادتها فاظهر اسمه تعالى اذ كان لم يتقدم ظاهر يقع الاضمار بعده وجهلوا
بان اشركوا بالله ما ليس باله فقابلوا بباطلهم واروا شنعة هذا الفعل من فعلهم
وكذلك كان الامر في سورة يس حيث قال اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا
انعاما فهم لها مالكون الى قوله واتخذوا من دون الله آلهة

سورة والصافات الاية
الاولى منها قوله تعالى وقالوا ان هذا الا سحر مبين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
وقال في هذه السورة قال قائل منهم كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون للسائل ان يسأل عن قوله لمبعوثون اولا وفيما بعد
لمدينون ولماذا اختلفا في المكانين وان فيما يراد من تحقيق الاحياء بعد الموت سواء
والجواب ان يقال الاول حكاية ما قاله الكفار من انكار البعث والمبعوث هو الذي
يبعث من قبره ويحيا بعد موته والمدين هو المجازى بما كان من كسبه والبعث قبل

الجزاء وهو يفعل من اجله وحكاية الاخ الذي قال ائنا لمدينون انما هي عند حصوله
في النار وهو الجزاء الذي انكره لقوله تعالى قال هل انتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم
فهذا المؤمن الذي حكى الله تعالى قوله وانه اخبر عن قرينه في الدنيا بانه كان يستنكر ان نحيا
ونُدان بما صنع هو الذي اذا رآه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي
لكنت من المحضرين فالتقريع على ما انكر يقع اذا تحقق وحصل فيه من كفر نعوذ بالله من عقابه
الآية الثانية منها قوله في اواخر قصص الانبياء عليهم السلام سلام على نوح في العالمين انا
كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبعدها في قصة ابراهيم سلام على ابراهيم كذلك
نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين فجاء في كل آية انا كذلك الا في قصة ابراهيم عليه السلام
ما به جاء فيها كذلك من دون انا فللسائل ان يسأل عما اوجب اختصاص هذا المكان بسقوط انا منه
واثباتها فيما سواه من الآيات التي انتهت بها قصص الانبياء عليهم السلام الجواب عن ذلك
ان يقال ان قوله انا كذلك نجزي المحسنين لما جعل امارة لانتهاء كل قصة وكانت قصة ابراهيم
عليه السلام متضمنة ذكره وذكر ولده الذي رأى في المنام ذبحه فقيل له بعد ما تله للجبين قد
صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين فجاء انا كذلك في هذا المكان وقد بقيت من
القصة آيات وهي ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم جاء ما جعل جزاء في
آخر كل قصة من قصصهم وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين
فلم يذكر انا هنا لسببين احدهما تقدم ذكرها في هذه القصة حيث قال قد صدقت الرؤيا
انا كذلك نجزي المحسنين والاخرى ان يخالف بين منتهى هذه الآية لانها من القصة الاولى
التي ختمت بانا كذلك نجزي المحسنين وبين منتهى قصة ليس ما قبلها منها فكان انا كذلك لما
ذكرت في هذه القصة مرة اكتفي بها ولم يكن مقطعا لها فخالفت ما تقدمها وما تأخر
عنها لذلك الآية الثالثة منها قوله تعالى وابصرهم فسوف يبصرون وقال بعده وابصر
فسوف يبصرون للسائل ان يسأل عن تعدية الفعل الاول وهو ابصرهم وحذف ما تعدى

انه من عبادنا المؤمنين وبعدها في قصة موسى وهارون سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين ... وبعدها في قصة الياس وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين

اليه

اليه ابصر الثانية ثم عن تكرير ابصرهم فسوف يبصرون الجواب ان يقال ان هذا بعد ما
بشر الله عباده حيث قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان
جندنا لهم الغالبون ومعناه ان المرسلين ومن تبعهم من المؤمنين اذا حاربوا اعداء
الله بامر الله فان الله تعالى قد حكم بالظفر والنصر في عاقبة امرهم وان كان بعد مدة فقوله
تعالى فتول عنهم حتى حين اي اعرض عن محاربتهم الى الحين الذي يعلم الله ان يظفرك
بهم وابصرهم في الوقت الذي تنصر فيه عليهم ودلهم فسوف يبصرون قهرك لهم فاخذف
هم من ابصر الثانية فلذكرها في الاولى ولان هناك معان اخر تنضم الى ذكرهم فيترك ذكر
المفعول ليسرع الفعل الى تلك المعاني كلها ويتبين ذلك في الجواب عن فايدة التكرار وهي
ان قوله فتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون اي بعد ان تنصر عليهم فيهلكوا في
الدنيا الوقع ما يحل بهم في الاخرى وابصرهم هناك انواع العذاب التي تصب عليهم وعمل النار
فيهم ثم ما لهم فيها من البقاء والخلود مع تبديل الجلود وسائر ما اعد الله للكفار من عذاب النار
فقوله ابصر مودع كل ذلك فسوف يبصرون تهدد لهم اي سوف يلقون ما وعد الله به اهل
معصيته من اليم عقوبته سورة ص الآية الاولى منها قوله وعجبوا ان جاءهم منذر
منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب وقال في سورة ق بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم
فقال الكافرون هذا شيء عجيب للسائل ان يسأل عن اختصاص وقال الكافرون بالواو في ص
واختصاصها بالفاء في ق الجواب ان يقال التي في سورة ق خبر عن عجبهم في انفسهم
واتصال قولهم به فقال وعجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب فكان
آخر الكلام راجعا الى اوله الذي هو خبر عن ضميرهم من حصول العجب فيه وقولهم عقيب هذا
شيء عجيب ليس كذلك ما في ص لان قوله هناك وعجبوا ان جاءهم منذر منهم خبر عن عجبهم فعلا
وقولا وقولهم بعد ذلك ليس هو راجعا الى قوله عجبوا رجوع ما في سورة ق اليه لانه اخبر انهم
قالوا هذا ساحر كذاب الى قوله وعجبوا رجوع قولهم اليه هذا شيء عجيب فيقع عقيبه ويقتضي

الفاء اقتضاه اذ لم يكن قولهم هذا وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب
ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وقال في ق كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود
وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد
للسائل ان يسال عن اختلاف الترتيب في هاتين الآيتين وعن قوله في خاتمها فحق
عقاب في سورة ص وفحق وعيد في ق الجواب ان يقال ان في سورة ق مبنية فواصلها
على ان يردف آخر حرف منها بالياء او بالواو وعلى ذلك جميع اياتها وسورة ص بنيت فواصلها
على ان تردف اواخرها بالالف فكانت الاولى من هذه العشر مختومة الفاصلة بوصف
فرعون بذي الاوتاد وبعدها اولئك الاحزاب وبعدها فحق عقاب وجاء بازاء ذلك
في ق واصحاب الرس وثمود مكان فحق عقاب فحق وعيد وكذلك في هذه السورة وعندهم
قاصرات الطرف اتراب وفي سورة والصافات وعندهم قاصرات الطرف عين كانهن
بيض مكنون لان فواصل الآيات التي من سورة الصافات مردفة اواخرها بالياء
او بالواو والقصد الى التوفقة بين الالفاظ مع صحة المعاني كما كان قالوا امنا برب
العالمين رب موسى وهارون وقال في طه برب هارون وموسى فاعرف ذلك فانه مما
يكثر سورة الزمر الآية الاولى منها قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد
الله مخلصا له الدين وقال في هذه السورة انا انزلنا عليك الكتاب بالحق فمن اهتدى فلنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل للسائل ان يسال عن المكان الذي خص
بقوله انزلنا اليك دون قوله انزلنا عليك وما الفائدة المختصة كل واحدة من اللفظتين
بمكانها الذي استعملت فيه الجواب ان يقال قد تقدم قولنا في الفرق بين انزلنا
اليك وانزلنا عليك وان على تتضمن معنى فوق وان الوحي جاء من تلك الجهة وان الى
النهاية ولا تختص بجهة دون جهة ولذلك كان اكثر المواضع التي ذكر فيها انزال القران على النبي
صلى الله عليه وسلم عدي بعلى كقوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وكقوله

ينزل

ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقال نزل به الروح الامين على قلبك
وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء واكثر ما جاء ذكر انزاله على الناس جاء معدى
بالى كقوله يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا ثم كل موضع
فيه انزلنا اليك فلشدة فيه التكليف عليه ونزل منزلة امة فيما يجب على عالمهم بتبيينه
لمتعلمهم كقوله في هذه السورة انا انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وكان المراد
في المواضع التي استعملت فيها الى انه تناهى الى حيث لا متعدى وراءه من عالم تبيينه مقصور
عليه وكل موضع عدي فيه الانزال بعلى فان المراد به انه جاء اعلى بلاغ لتؤدي ما عليك
فتنذر وتبشر فمن قبل فحظا اصاب ومن اعرض فنفسه اوبق ويكون فيه تهدد لمن ترك
القبول لقوله تعالى الحمد لله انزل على عبده الكتاب ثم قال لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر
المؤمنين وكما قال في هذه السورة وما عليك الناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل
عليها وما انت عليهم بوكيل فقد اسقط عنه في ظاهر اللفظ القصد الى الوعيد الزمه عند قوله
في الآية التي في سورة النساء انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن
للخائنين خصيما فمن عرف حقيقة اللفظتين وتخصيص كل مكان بواحدة منهما علم ان ما جاء
عليه في اول السورة هو متميز عما جاء عليه في وسطها ولم تخف عليه الفرقان الآية الثانية
منها قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين للسائل ان يسال
فيقول لاي معنى عدي امرت الاولى الى قوله ان اعبد الله وعدي امرت الثانية باللام قال وامرت
لان اكون اول المسلمين لكان الكلام مستغنيا عن اللام الجواب ان يقال ان القصد في
الامر الثاني غير القصد في الامر الاول وذاك ان الاول معدى الى العبادة والثاني معناه وامرت
ان اعبد الله لان اكون اول المسلمين لاني انما امرت باخلاص العبادة لله وبعثت رسولا لان
اكون اول من يبدا بطاعة الله وعبادته على الاخلاص المطلوب فاللام ليست مقحمة على ما ذهب اليه
كثير من النحويين وانما معناها ما ذكرنا من الامر بالعبادة لاجل ان يفعل اول ما امر به ثم تحمل

انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين فقد امر باخلاص الدين والمراد هو وامته وكقوله انزلنا اليك ح

انا انزلنا عليك الكتاب للناس

وما فائدة اللام في قوله وامرت لان اكون ح

الناس على مثله وهذا واضح فاعرفه الآية الثالثة منها قوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوأ
الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون وقال في سورة النحل ما عندكم
ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون للسائل ان
يسأل عن الموضع الذي استعمل فيه باحسن ما كانوا يعملون وقوله احسن ما كانوا يعملون
الجواب ان يقال كل واحدة من الآيتين تقدم فيها ما اقتضى حمل هذين المختلفين
عليه اعني الذي وما وهما اذا كانتا موصولتين بمعنى الا في قصور عما يتسع له الذي لانك
اذا قلت رايت ما عندك يدخل تحتها المميزون واذا قلت الذي عندك فانه يتصلح
للمميزين والبهايم والجماد ثم انه يحسن حذف المبتدا من صلة الذي اذا كان ضميرها
كقوله في قراءة من قرا ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن والمعنى على الذي هو
احسن وكما حكى ما انا بالذي قائل لك شيئا ولا يحسن ذلك في ما ولا في لو قلت رايت ما عالم
تريد ما هو عالم ورايت من عاقل تريد من هو عاقل لم يحسن بحسنه في صلة الذي لما
بالذي على من وما في اللفظ والتصرف فلوقوعهما على الجنس كقوله تعالى والذي جاء بالصدق
وصدق به اولئك هم المتقون فاقتضى التي بالذي وفضلت بفعل تعلق به قوله ليكفر
الله عنهم اسوأ الذي عملوا وقد حسن عملهم النبي وحسن عليهم الحسن فكان استعمال الذي في
هذا المكان اولى ايتلام اللفظان المتعلق احدهما بالآخر معناهما واما الآية من سورة
النحل فان فيهما على مثال ما في سورة الزمر حمل اللفظ على نظيره مع مطابقة المعنى له
وذلك ان اول الآية هناك ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون
ما عندكم ينفد وما عند الله باق فلما جاء ذكر الجزاء وهو عند الله كان استعمال اللفظ الذي يرجع
الى ما تقدم اولى من استعمال غيره فقال ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فلنحيينه حياة
طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فاستعمل من وهو للمؤمنين عامة فهم يكلفها
بازائها في غيرهم فلما استعمل ما هنا شرطا كان استعمال ما التي هي قرينتها فيما يتعلق بالجزاء

والموضع الذي فيه في قوله صح

كالتيلام صح

الامر

فقال في الذين عند الله عند الذي هو قال ما عندكم ينفد والمعنى الذي عندكم فاستعمل ما في قوله ما عند الله باق صح

شرطها

شرطها اولى بها لايلامها فلما كان الذي في سورة الزمر احق بمكانها كانت ما في سورة النحل
احق بموضعها والسبب واحد فيهما والله اعلم الآية الرابعة منها قوله عز وجل وبدا لهم سيئات
ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وقال في سورة الجاثية وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون للسائل ان يسال عن اختصاص سورة الزمر بقوله كسبوا وفي سورة
الجاثية بقوله عملوا وعن الفائدة في ذلك الجواب ان يقال انما جاء قوله كسبوا في هذه
السورة بناء على وقوع الخبر له عن الظالمين في الآية التي قبل هذه حيث يقول افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب يوم القيمة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون ثم اعترضت آيات تؤكد
ما على الظالمين من الوعيد وتقوية للمصدقين من الوعد الى ان انتهت الى ذكر هؤلاء الظالمين
الذين قيل لهم ذوقوا ما كنتم تكسبون فقال تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا
لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فكان المعنى ولو ان للظالمين الذين تقدم
ذكرهم ما في الارض ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب ثم قال وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي الجزاء
على ما كسبوا من سيئاتهم كما قيل ذوقوا ما كنتم تكسبون اي جزاءه ثم يتبعه ذكر الكسب في الآيات التي
بعدها في قوله قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين
ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين واما الآية التي في سورة الجاثية والطريق
في اختيار عملوا فيها كالطريق في اختيار كسبوا في سورة الزمر لان قبلها قوله وترى كل امة جاثية
كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون وبعده انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فاما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتبع ذلك قوله وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به
يستهزءون فبني عملوا على ما سبق كما بني هناك كسبوا على ما تقدم فاعرفه ان شاء الله تعالى
الآية الخامسة منها قوله عز وجل في حال اهل النار حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها وقال لهم
خزنتها الم يأتكم رسل منكم وقال في اهل الجنة حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم

ذوقوا صح

طبتم للسائل ان يسأل عن الواو في وفتحت وتركها في الاول وهل كان يجوز حذفها من الثانية
واثباتها في الاول الجواب عن ذلك ما ذهب اليه بعض المفسرين ان في ذلك دلالة على ان
ابواب جهنم كانت مغلقة ففتحت لما جاؤوها وان ابواب الجنة كانت مفتوحة قبل مجي المؤمنين
اليها وهذا محتاج الى بيان وهو ان قوله فتحت ابوابها جواب لقوله حتى اذا جاؤوها لان في
اذا معنى الشرط وفي جوابها معنى الجزاء ولا بد لها منه وانت تقول اذا جئت زيدا فتح لي الباب
اردت ان الباب كان مغلقا ففتح لك وتقول اذا جئت زيدا وفتح لي الباب فان بعد الواو ولا يقوم
مقام الجزاء واكتفي بدلالة الشرط عليه وذلك اذا كان لفظها واحدا جاز حذفه وعطفها بعده
عليه فيكون المعنى حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها فتحذف جاؤوها الثانية لدلالة عليها وعلى
هذا قول امرئ القيس فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي قفاف عقنقل معناه
فلما اجزنا ساحة الحي اجزناها وانتحى بنا فان قال وهل تختلف المعنيان اذا حذف او لو
واذا اثبت قلت يختلفان بان الفتح يقع عند مجي اهل النار لان قوله فتحت جزاء للشرط وحقه
اذا كان فعلا ان لا يدخله واو ولا فاء وتكون عقيب الشرط واذا حذف الجزاء وعطف فعل عليه
فقيل حتى اذا جاؤوها وفتحت كان التقدير حتى اذا جاؤوها وجاؤوها وابوابها مفتحة هذا
حكم اللفظ فاما حكم المعنى فان جهنم لما كانت اشد المحابس ومن عادة الناس اذا اشتدوا امرها ان
لا يفتحوا ابوابها الا لداخل وخارج وكانت جهنم اهولها امرا وابلغها عقابا اخبر عنها الاخبار
عما نشهد من احوال الحبوس التي تضيق على محبوسها فوقع الفتح عقيب مجيئهم ليتطابق لذلك اللفظ
والمعنى ولم يكن هناك حذف واما الجنة فلان من فيها يشتاقون للقاء اهلها ومن رسم
المنازل اذا بشر من فيها بانتقال اربابها اليها ان يفتح ابوابها استبشارا لهم ومطلعا اليهم
ويكون ذلك قبل مجيئهم فاخبر عن المؤمنين وحالهم على ما جرت به عادة الدنيا في امثالهم
فيكون حذف الجزاء وافتعال الواو على الفعل المعطوف عليه لذلك فاعرفه سورة المؤمن
الاية الاولى منها قوله عز وجل ان الساعة لآتية فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وقال في سورة

ان الساعة آتية اكاد اخفيها للسائل ان يسأل عن اللام الداخلة على آتية في سورة المؤمن
وخلوها منها في سورة طه والجواب ان يقال ان اللام التي تقع في خبر ان واسمها اذا حل
محل الخبر يؤكد الكلام والعرب تحرص على التوكيد في موضعه وتركه في غير موضعه قال الله
تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح
الجميل ان ربك هو الخلاق العليم وقال قبل الاية في سورة المؤمن لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس ومن قدر على خلق الناس قدر على خلقه ثانيا وهذا من
مواضع التوكيد وتحقيق الخبر ان الساعة حق وانها آتية لا ريب فيها والخطاب لقوم كفار
يذكرونها والتي في سورة طه خطاب لموسى عليه السلام وهي في ضمن كلام الله تعالى اني انا
ربك فاخلع نعليك فقال واقم الصلوة لذكري ان الساعة آتية اكاد اخفيها ولم يكن موسى
ممن تنكر ذلك فيؤكد الكلام عليه لتوكيده على منكريه والجاحدين له على انه يجعل له ليعلم قومه
وهو فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى واذا كان الامر على ما بينا وضح
الفرق بين الموضعين اللذين ذكرناهما الاية الثانية منها قوله عز وجل ان الله لذو فضل على الناس
ولكن اكثر الناس لا يشكرون وقال في سورة يونس ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم
لا يشكرون وما يكون في شان الاية للسائل ان يسأل فيقول كيف اظهر الناس في موضع
الاضمار في سورة المؤمن وقد اضمر في موضع الاضمار من سورة يونس وهل كان يجوز
وقوع ذلك الا موضع هذا الجواب ان يقال ان كل موضع يحتمل الاضمار
لتعظيم الامر وذكر اخطر الاسماء المقصود بالتقريع والتنفيذ فانه يحمل على ما يلايم
الايات المتقدمة له ليكون قد جمع الى صحة المعنى واللفظ مشاكلة ما قبله من الاي
واما قوله في سورة المؤمن ولكن اكثر الناس لا يشكرون بعد قوله ان الله لذو فضل
على الناس ولو قال ولكن اكثرهم لا يشكرون لقرب الذكر لكان من الجائز الحسن فانه
محمول على الايات التي قبله وهي قوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس

ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقال بعده ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون ثم جاء ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون فاظهر ذكر الناس
كما اظهر في الآيتين قبلها لمكان الملائمة وليس كذلك الامر في سورة يونس لان الكلام
هناك مبني على الاضمار في الآي المتقدمة الا ترى انه قال تعالى مخبرا عمن يدخل النار من
الظالمين ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار هل تجزون الا بما كنتم تكسبون
فانقضى هذا الكلام واستأنف خبرا عن القوم الذين بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم
اليهم قال ويستنبئونك احق هو قل اي وربي ثم قال بعده الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم
لا يعلمون فاضمر ما اضاف اليهم اكثر ثم انتهى الى قوله بعده ان الله لذو فضل على الناس
ولكن اكثرهم لا يشكرون فاقتضى ما عليه الكلام في هذه الآي ان يكون ما بعد اكثر بلفظ
الاضمار كما كان ما تقدمه فاختلاف الموضعين في الاضمار والاظهار لما ذكرنا الآية الثانية
منها قوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما يستوي
الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ان الساعة
لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يشكرون للسائل ان يسأل عن المواضع الثلثة التي جاء
فيها يعلمون وجاء فيها لا يؤمنون وجاء فيها لا يشكرون وعما خص كلا بمكانه وهل كان
يجوز وضع احدهما موضع قرينه ام كل آية اقتضت ما ختمت به الجواب ان يقال
ان من اقر بخلق السموات والارض وانكر الاعادة والبعث ثم نبه على ان يعلم ان من قدر على
الاكبر قادر على الاصغر وهذا موضع يفتقر الى العلم الذي نفاه عمن لم يعرف فقال ولكن اكثر
الناس لا يعلمون فاختص هذا الموضع بنفي العلم والعلم هو المحتاج اليه والمبعوث عليه وقوله
ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون نفي انكر البعث يحتاج الى الايمان به
بعد علمه بان القادر على خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم واما الآية الاخيرة
قوله ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يقابلون نعمة الله بما يستديمها

تفضيل صح

نجي صح

وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون صح

لهم

لهم من الشكر الذي يرتبط الزيادة بهم فقد بان كل ما ختمت به آية انه في مكانه اللائق به ولا
يقتضي سواه

سورة السجدة

الآية الاولى منها قوله تعالى قل ائنكم
لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها
رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى
الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن
سبع سموات في يومين للسائل ان يسأل فيقول ذكر في هذه اولا خلق الارض في يومين
ثم قال وجعل فيها الجبال مع سائر ما ذكر في اربعة ايام وقضى السموات السبع في يومين
وهذه ثمانية ايام وقد قال خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما اجاب
به المفسرون وهو ان معنى قوله في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام ويكون خلق
الارض بيومين وخلق ما فيها من الجبال والاقوات والشجر والماء وغيرها من عامر
وغامر بيومين فتكون الاربعة المذكورة معها يوما وهذا كما يقول سرت من البصرة
الى بغداد في عشرة ايام وسرت الى الكوفة في خمسة عشر يوما وهو معنى خمسة عشر مع
العشرة التي سار فيها من البصرة الى بغداد فيخبر عن جملة الايام التي وقع السير فيها وكذلك
اخبر الله تعالى عند ذكر ما خلقه في الارض عن جملة الايام التي وقع فيها خلق الارض
وما اتصل بها وانما ضم اليومين الى اليومين المتقدمين لاتصال خلق ما في الارض
بخلق الارض وهذا ما اجاب به اهل النظر واولوا المعرفة بكلام العرب وهي سؤال
تحتاج الى جوابه وهو ان يقال ما الذي اوجب في العربية ان يضم اليومان اللذان ارسيت
فيها الجبال واخرجت فيهما من الارض المياه الى اليومين اللذين وقع فيهما خلق الارض
وهلا ذكر يوما ذلك مفردين عن اليومين المتقدمين ليزول الاشكال ولا يقع الاعتراض
الجواب عن هذا سوى ما يقوله النظار من رد المتشابه الى المحكم وبنائه عليه
بموجب النظر ليبين مزية اهل العلم ما خصوا به من الفضل وعدوا من جزيل الاجر

هو ان يقال في الكلام ما اوجب ضم اليومين الى اليومين الاولين فنذكر اربعة ايام
في هذا المكان وهو من دقيق الكلام في الاعراب وذلك انه تعالى قال قل ائنكم لتكفرون بالذي
خلق الارض في يومين فتمت الذي بصلتها وصلتها خلق الارض وانقطعت الصلة بقوله
وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين لان تجعلون معطوف على قوله لتكفرون فانقطعت
الصلة بالعطف على ما قبل الموصول والصلة وقوله بعد ذلك وجعل فيها رواسي من فوقها
عطف قوله خلق الارض وانقطعت الصلة بقوله وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين
لان تجعلون معطوف على قوله لتكفرون فانقطعت الصلة بالعطف على ما قبل الموصول
والصلة وقوله بعد ذلك وجعل فيها رواسي من فوقها عطف على قوله خلق الارض في يومين
ولا يصح العطف على فعل هو صلة للذي وقد حجز بينهما كلام اجنبي بينهما لو قلت الذي
خرج محمد وركب لم يجز لان قولك ركب معطوف على خرج وخرج صلة الذي وقد انقطعت
بقولك محمد ولا يصح العطف على الصلة مع حجزه ولو قلت الذي خرج وركب محمد صح
كان كذلك وجاء قوله وجعل فيها رواسي معطوفا على الارض وامتنع هذا العطف لما ذكرت
ثم لا بد من احد امرين اما ان ينوي بهذه الجملة المعطوفة التقديم حتى على خلق الارض
وينوي بقوله وتجعلون له اندادا التاخير وهذا مما يجوز في ضرورات الشعر وهو قبيح فيها
واما ان تعطف على فعل ما وقع في الصلة بدلالة الاول عليه فيضمر خلق الارض وهو ما
دل عليه الاول ثم تعطف وجعل فيها رواسي عليها فيصير كانه قال ائنكم لتكفرون بالذي خلق
الارض وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام فتضم اليومان
اللذان يقتضيهما خلق الارض الى اليومين اللذين تخلق ما فيها للمعنى الداعي الى اضمار
قوله خلق بعد قوله وذلك رب العالمين فهذا الذي اوجب من طريق اللفظ والمعنى ان
يتناول الخبر الثاني المعطوف على الاول جملة الايام التي وقع فيها خلق الارض وما اتصل
بها وهو بين لمن تنبه اليه متعرفا عرفه الاية الثانية منها قوله تعالى حتى اذا ما جاؤها

شهد

[هامش: العطف يصح في يومين ولا [يصح العطف] على فعل هو صلة للذي وقد حجز بينهما كلام اجنبي منهما لو قلت الذي خرج محمد وركب ثم يجز لان قولك ركب]
[هامش: خلق — يعطف صح — مثل صح — ها]

شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقال في سورة الزخرف
حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين وقال قبله حتى اذا
جاؤها وفتحت ابوابها يعني ابواب جهنم وقال حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها يعني
ابواب الجنة للسائل ان يسال عن زيادة ما بعد اذا في سورة السجدة وحذفها من المواضع
الاخر الجواب ان يقال اذا قصد توكيد معنى الشرط الذي يتضمنه اذا القوة معنى الجزاء
استعملت ما بعدها واذا لم يقصد ذلك لقرب معنى الجزاء من الشرط لم يستعمل ما فقوله تعالى
حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم بشهادة السمع وسائر الجوارح من المعاني
العقوبة التي لا يقتضيها الذي هو الجمع الاثري استنكارهم لها حتى قالوا لجلودهم لم
شهدتم علينا فاجابوا بان قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وليس كذلك حتى اذا جاؤها و — انطق صح
نالوا المنى عندها وادركوا مطلوبهم ومرغوبهم فيها فقد صار المكان مكان حصار
وحذف ما لا بد للكلام منه فكيف يزاد فيه ما يستغنى عنه وكذلك حتى اذا جاءنا قال
قال يا ليت بيني وبينك اي قال الادمي لقرينه من الجن اللذين اشتركا في الدنيا في معصية
الله ثم اشتركا في العذاب في الاخرة ليتني لم اتبعك وكان بعد ما بين المشرقين بيني وبينك
وهذا ايضا مما يتوقع كونه منهما من تبرء بعض من بعض فليس في الجزاء ما يوجب قوة الشرط
عن المعنى الذي لا يتوقع ولا يستفاد الا به ومنه ولا يكون في الشرط تنبيه ما اشارة اليه فيترك التوكيد
حيث لا يدعو داع الى الاتيان به حسن واذا دعا الداعي اليه فالاتيان به احرى واقمن الاية
الثالثة قوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وقال
في سورة الاعراف واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم للسائل ان يسال
عن التوكيد في سورة السجدة في قوله انه هو السميع العليم وتعريف الصفتين بالالف واللام
وترك التوكيد بقوله هو وترك التوكيد وترك التعريف في سميع عليم من الاعراف الجواب
ان يقال ان الذي في سورة السجدة لما كان بعد دعاء الى ما يشق على الانسان فعله وهو ان

يدفع السيئة بالحسنة ويقابل غلظة عدوه بالملاينة التلطف في البشرة واذيه حتى يعود
الى التلطف في المقال والجميل الفعال فيصير وان كان عدوا كانه صديق قريب للقربى
ثم قال وما يلقاها الا الذين صبروا اي ما يوفق لذلك الا من ملك امر نفسه وصبر على احتمال
الاذى من عدوه ولا يوفق له الا من له نصيب وافر من الدين وحظ جزيل من الاسلام
وهذا الذي بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسائر المومنين عليه بما ينتهز الفرصة
عنده ويبعث على عداوة من تجلب عداوته ضره ويوسوس الى العصيان بالحمية والانفة
فاذا كان الانسان ثابت القدم ماكا لانفه عند الغضب فجاءه من قبل الشيطان هم
مثل ما ذكرت مما يحمل على خلاف ما رغب الله فيه ويدعوا الى معصية الله ووجد في نفسه فاذا
تبين له من جهة شيطانه فهو مامور عند ذلك فالاستعاذة بالله من شر الشيطان ومن ضرما
تحمل عليه ليعيذه الله منه فلما كان الامر الذي بعث الله عليه اولياءه شاقا عظيما حتى قال وما
يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم كانت وسوسة الشيطان في منعه اعظم
والمؤمن لها ايقظ ومن قبولها ابعد وكان النزغ في مدافعته ابلغ وتقرير علمه الله ما يلاقيه
من ذلك اوكد فجاء قوله انه هو السميع العليم اي لاسميع عليم قديم الا هو فهو لم يزل يعلم ما يكون قبل
ان يكون فكيف ما يتكلف من المشاق فيما دعوت اليه فهذا وجه التوكيد والتعريف في هذه
الاية واما الاية في سورة فان قبلها خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ولم يعظم فيها
الافعال التي دعى اليها كما عظمت فيما سورة السجدة بل كان ما هناك بعثا على احسن الاخلاق
ولم تخص نوعا من المشاق كما خص في سورة السجدة فلم يقع المبالغة في اللفظ واقتصر في
الخبر على الاصل وهو انه سميع عليم اي يسمع ما يكون منك ويعلمه مع كل مسموع ومعلوم
فجعل اسم ان معرفة وخبرها نكرة وذلك الاصل قبل تاكيد الالفاظ لتاكد المعاني الاية
الرابعة منها قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من
ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وقال في سورة حم عسق ولولا كلمة سبقت من

الاعراف حم

ربك

ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب
للسائل ان يسال عن خلو هذه الاية من ذكر النهاية المذكورة في الاخيرة وهو قوله الى اجل
مسمى والجواب ان خبر الله تعالى عما اتاه موسى عليه السلام من التورية يدل على ان
اولئك القوم اختلفوا فيه كاختلاف من في عصر النبي صلى الله عليه وسلم في القران الذي انزل
عليه ثم قال ولولا كلمة سبقت من ربك اي لولا ان الله تعالى قال الى ان اوفي كلا من المطيع
والعاصي حقه من الثواب والعقاب في الاخرة لانزل بكل ما يجب له وعليه عند فعله في
الدنيا فاخبر ان سبيلكم في الامهال سبيلهم لما سبق من حكم الله وقوله في تاخير المستحق من
الثواب والعقاب في الاخرة فاما اختصاص ما في سورة حم عسق بذكر النهاية في قوله الى اجل مسمى
فلان قبله وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فاخبر بمبتدا كفرهم وهو انكارهم
بعد مجيء العلم اي القران والايات التي اوقعت العلم بصحة ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
فلما قال الا من بعد ومن لابتداء الغاية وكان ذلك ابتداء كفرهم ذكرت النهاية التي امهلوا
اليها ليكون ابتداء عقابهم فيكون الحد مذكورا مع الحد ولانه جرى ذلك محدودا من الطرفين
قال بعده ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم اي لولا قوله اني افصل في الاخرة لفصل في الدنيا
وهذا بين واضح فاعرفه الاية الخامسة منها قوله تعالى ولئن اذقناه رحمة منا
من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وقال في سورة هود ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء
مسته ولم يكن في سورة هود منا ولا من والجواب ان يقال ان قوله منا تمام بالكلام
الى ذكره حاجة وقد استغنى عنها في سورة هود لتقدم ذكرها في الاية التي قبلها وهي
ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور واما قوله من بعد ضراء فلا
لما حد الرحمة والجهة الواقعة منها حد الطرف الذي بعدها لتشاكل المعنيان في
التحقيق ولما لم يكن ذلك في الاية من سورة هود موجودا في الاول لم تحتج اليه في الثاني
الاية السادسة منها قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل

ليقولن ذهب السيئات عني الى ان سال ... ولئن اذقنا ارحمة منا من بعد ضراء

ممن هو في شقاق بعيد وقال في سورة الاحقاف قل ارايتم ان كان من عند الله
وكفرتم وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي لا
يهدي القوم الظالمين للسائل ان يسال عن قوله ثم كفرتم به في الاولى وقوله وكفرتم به
في الثاني وهل يصلح كل واحد منهما مكان صاحبه الجواب ان يقال ان معنى قوله قل
ارايتم ان كان من عند الله ارايتم ان كان ما آتيتكم به من كلامه وسائر ما اديته اليكم من امور
دينه وكان قصاراكم واخر امركم الكفر به فهل ترون اضل منكم عن الصواب فان لم تحققوه
فلا بد من ان تتشككوا فيه فتعلموا ابعدكم عن الهدى وايغالكم في الضلال فذكر فعليس حلهما
ان كان من عند الله وختمه بقوله ثم كفرتم به على معنى انكم بعد امهالي لكم لتدبره وحثي اياكم على
تامله كان عاقبة امركم الكفر به فلم يحسن في المعنى الاتم للمهلة بين الاستدعاء الى الحق وخاتمة اعمالهم
بالكفر وهذا من مواضع ثم واما في سورة الاحقاف فان قوله وكفرتم به ثم تجعله اخر ما اخبر به في
القصة وخاتمة امره معهم في الدعوة بل ذكر وكفرتم به وعطف عليها افعالا بعدها وهي وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم فكانه قال فابليتم بالكفر ما اتيتكم به واحتج عليكم من بني
اسرائيل من قرأ الكتب وعرف فيما اتيت به الصدق فامن وتكبرتم عما التزم من التذلل في طاعة
الله الا تكونوا الظالمين بذلك والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما يهدي اليه المؤمنين فلما لم تجعل
قوله وكفرتم به الكفر الذي يوافي به الاخرة لما ذكر بعده من الاحتجاج عليهم وتوقع من ايمانهم
وشهادة لمن كان على دينهم وايمانه واستكبارهم خالف المكان الذي ختمت افعالهم فيه
بالكفر فاستعملت الواو بدل استعمال ثم هناك سورة الشورى قد مرت منها ايات
شابهت الايات التي في السور قبلها ومما لم يمر من الاية الاولى منها قوله في سورة حم عسق ان
ذلك لمن عزم الامور للسائل ان يسال عما اقتضى توكيد الخبر باللام في سورة حم عسق في قوله
لمن عزم الامور وتركه في سورة لقمان والجواب ان يقال ان ما رغب الله تعالى فيه
عبده من الصبر على ما الم قلبه من جناية جان عليه حتى يغفر لمن ظلمه ويهب من القصاص
حقه ترغيب فيما يشق على الانسان فعله الا ان الله حسنه بما وعد من عفا عما يجب

لمن

قوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقال قبله في سورة لقمان يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك
واصبر

له من الاجر الذي ضمنه فغيه مع جزيل الثواب اصلاح ما بين عشيرته وعشيرة الجاني
عليه باطفاء النائرة عنهما واذا كان من اصعب ما يحمل الانسان وجب من توكيد الكلام
فيه ما لا يجب في غيره فادخلت اللام على من عزم الامور على انه من الامور التي يحتاج
الى توطين النفس عليها وتخير ارفعها واعلاها وليس كذلك ما في سورة لقمان لانه قال واصبر
على ما اصابك وليس يخص صبرا على ظلم بلحقه فيرغب في العفو عن الظالم بل يكون شدايد
لا تهيج النفوس للانتصار فيها ولا تدعو دواع الى الانتقام من الرزايا في الانفس والاموال
وما يكون من قبل الله تعالى مما يتعبدنا فيه بالصبر وليس لنا غيره فاما الموضع الذي ابيح فيه
الانتصاف فالصبر فيه اشق وكظم الغيظ معه اشد والكلام فيه الى التوكيد احوج الا ترى
ان الصبر من قتل بعض اعزته رغبته فيما وعده الله من مثوبته ليس كصبر من مات له بعض
احبته فافتقر المكان الاول من تقوية الكلام فيما يثبته على الافضل ما لم يحتج اليه المكان
الاخر الاية الثانية منها قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم
من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير وقال في سورة
الروم فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون
للسائل ان يسال عن اختلاف ما انقطع اليه قوله يومئذ لا مرد له من الله فجاء في هذه
السورة ما لكم من ملجا وفي الروم يومئذ يصدعون الجواب ان يقال ان قوله
فاقم وجهك للدين القيم معناه استقم انت ومن تبعك من المؤمنين على الدين المستقيم
من قبل ان يجيء يوم لا ينفع فيه الايمان فكانه خاطب الناس بالاجماع على الايمان والتالف
على الاسلام قبل يوم القيمة الذي يتفرق فيه الجموع ففريق في الجنة وفريق في السعير ويتميز
يصدا ابناسرا شتاتا ليروا اعمالهم فلما كان قوله اقم وجهك للدين القيم امر الناس كلهم
بالتجمع على الحق ورفض الباطل حذرهم التفرق في الاخرة ومصير المطيع الى دار الثواب والعاصي
الى دار العقاب وكان كان ملائما لما قبله والاية في سورة حم عسق جاءت بعد قوله الا ان

الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن
يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم
من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فلما قال ان الظالمين لهم ينكر من دون الله قال
عنده وهم اليوم الذي لا مرد له ما لكم من ملجأ اي لا معقل لكم تعتصمون به من عذاب
الله ولا يمكنكم انكار ما يحل بكم بدفعه عن انفسكم بنصرة ناصر فاقتضى ما تقدم من
ذكر انه لا ناصر لهم يدفع عذاب الله عنهم يسد طرق النجاة دونهم بانه لا مزيل لهم
ولا ذاب عنهم ومن دهمه العظيم الذي لا يطيق احتماله فلم يجد مهربا ولا ناصرا
لم يبق الا الاستسلام الآية الثالثة منها قوله تعالى يخلق ما يشاء يهب لمن
يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما
انه عليم قدير وقال بعده وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل
رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم للسائل ان يسأل عن مجيء عليم قدير بعد
ذكر الجهة التي منها يرد امر الله لعباده بطاعته ونهيه عن معصيته واختلاف احوال
الرسول صلى الله عليه وسلم في خطابه لهم وامره اياهم وهل للصفتين الاوليين
اختصاص بالآية التي ختمت بها وللصفتين الاخريين اختصاص بما جاء بعده
والجواب ان يقال لما نبه الله العباد على ما يشاهدون خلقه من اولادهم ذكورهم
واناثهم وانه يخص من يشاء بالاناث ويخص من يشاء بالذكور او يولغهم بنات
وبنين يجمعها الواحد ومن اراد ان يعقمه من الوالدين حتى لا يكون له نسل حرمه الولد
والناس في الاولاد لا ينفكون من الاحوال الثلث قال عقيبه انه عليم قدير اي
يعلم الغيب ويطلع على العواقب فيفعل ما يصلح دون ما لا يصلح وهو قادر ولا قدرة كقدرته
فاختلاف الاحوال التي ذكرها هو لعلمه بما يصلح منها وقدرته على ايجادها فاقتضى الفعل
المتقدم هذين الوصفين واما قوله انه علي حكيم فالعلي القادر على الشيء القاهر له

(في الهامش: وحيا... الاولاد اناثا ومن الذكران والاناث ... والنعمة منهما على العباد ... ومجيء علي حكيم بعد ذكر ...)

ولذلك قال الشاعر

ولذلك قال الشاعر اعمل لما تعلو فما لك بالذي لا يستطيع من الامور يدان فجعل
ما لا تعلو لا تستطيع فالقادر على الشيء التم قدرة يكون عاليا قاهرا له فذكر هذا الوصف
بعد الاشرف من الافعال من بعثة الرسل على اختلاف السبل وانه قاهر لما اراد فعله من
ذلك ايما اراد فعل على وجه الصواب لا مزيد عليه وهو الوجه الذي تقتضيه الحكمة
وجواب ثان في قوله علي حكيم لانه تعالى ان يكون كلامه لمن يكلم كالكلام غيره ممن شاهد
المكلم والمتكلم مشاهدة رؤية فهو علي عن ذلك وحكيم في ابلاغهم كلامه من الوجه
الذي ذكره والقسم الذي قسمه فقد تبين ان كل آية اتبعت ما اقتضته وقد ذهب بعض
اهل النظر الى ان معنى قوله او يزوجهم ذكرانا واناثا انه يزوجهم ذكرانا عبيده بانا ثهم
وهذا لا يكون بادلانه لا يهب الاناث ولا الذكور الآبان يزوج ذكرانهم باناثهم
فليس هو قسما ثالثا يدخله او حتى يقال فيه هذا او هذا وانما وجه الكلام ما ذكرناه
والقسمة التي لا مزيد عليها ما قسمنا فاعرفه سورة الزخرف الآية الاولى منها
قوله تعالى وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون
وقال في سورة الشعراء قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون للسائل ان يسأل عما اوجب
التوكيد في قوله لمنقلبون في الزخرف ولم يوجبه في الشعراء حتى لم يدخل اللام على خبر ان
دخولها في الاول الجواب ان معنى قوله ويقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا
الى آخر الآية لتذكروا انعام الله عليكم وتشكروه وتخالفوا الكفار بان تقروا بما انكروه
فتتوقنوا بالبعث والحياة بعد الموت وهذا خطاب لكل من كان في ذلك العصر ومن يكون
بعدهم الى انقضاء الدهر والتوكيد لمثله لازم وفي الكلام الذي للتأبيد واجب والذي في
سورة الشعراء انما هو خبر عن السحرة آمنوا ووصفوا حالهم واستهانتهم بما خافوا
ان ينالهم من عقوبة فرعون اذا كان منقلبهم الى ربهم وكانوا مجازين على صدقهم
وصبرهم فلم يحتج من التوكيد الى ما احتاج اليه ما هو على التأبيد الآية الثانية منها

قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون وقال في
سورة الجاثية ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك
من علم ان هم الا يظنون للسائل ان يسال عما بعد قوله ما لهم بذلك من علم في سورة
الزخرف وان هم الا يخرصون وما بعده من سورة الجاثية ان هم الا يظنون وهل
لاختصاص كل باللفظة التي تقارنه فايدة تقتضيها الجواب ان يقال ان
قبل الآية من سورة الزخرف وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم
ستكتب شهادتهم ويسألون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان
هم الا يخرصون فاخبر عنهم انهم قالوا الملائكة بنات الله وان الله اراد ان نعبدهم
قالوا لو شاء الله ما عبدناهم وليس كذلك عن علم بل هم كافرون فيما يدعونه ويخبرون به
فابطل خبرهم بالتكذيب لهم وهو الذي يليق بالموضع والذي في سورة الجاثية
خبر عن الكفار الذين دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام بانهم قالوا البعث
لنا وانما هو ان يموت الاسلاف ويحيى الاخلاف فكلما مر الدهر قوما فافناهم نشأ
فيه آخرون احياهم فهؤلاء لم يقولوا ما قالوه بمعرفة بل قالوا على سبيل الظن فكان
ان هم الا يظنون لائقا بهذا المكان كما لاق بالاول وان هم الا يخرصون الآية
الثالثة منها قوله تعالى بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على
آثارهم مهتدون ثم قال بعده وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها
انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون للسائل ان يسال عن قوله مهتدون
في فاصلة الآية الاولى ومقتدون في فاصلة الثانية وهل يصلح هذه مكان تلك ام هناك
معنى يخصصها بمكانها الجواب ان يقال ان الاول حكاية قول الكفار الذين
حاجوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال مخبرا عنهم ام آتيناهم كتابا من قبله اي من قبل
القرآن فهم به مستمسكون اي كتابا فيه حجة بصحة دعواهم فهم متعلقون به فاعرض

عن ذاك

عن ذاك وقال تعالى لا حجة لهم لكنهم قالوا وجدنا آباءنا على ملة وطريقة في الدين
مقصودة ونحن في اتباع آثارهم على هداية فادعوا الاهتداء بسلوكهم سبيل
آبائهم واما الآية الثانية فانها خبر عن الامم الكافرة بانبيائها وقال وما
ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم
مقتدون للسائل ان يسال عن قوله مهتدون في فاصلة الآية الاولى ومقتدون
في فاصلة الثانية وهل يصلح ذو التنعم والاموال من اهلها قريبا من قول هؤلاء الذين
في عصرك يا محمد فكان اقصى ما احتجوا به ان قالوا انا وجدنا آباءنا على ملة فاقتدينا بهم
ولم يذكر الخبر عنهم بدعواهم الاقتداء كما اكده عمن كان في عصره ممن يدعيه لبطلان
الجميع وزوال الماضين عن احتجاجهم وثبات هؤلاء في حجاجهم وقوله قل اولو جئتكم
باهدى مما وجدتم عليه آباءكم خطاب لمن قال انا على آثارهم مهتدون دون الذين
قالوا انا مقتدون سورة الدخان ليس فيها شيء من ذلك سورة الجاثية
الآية الاولى منها قوله ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث
من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق
فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون للسائل ان يسال
عما ختمت به الآية الاولى وهو لآيات للمؤمنين وما ختمت به الثانية وهو آيات لقوم
يوقنون وما ختمت به الثالثة آيات لقوم يعقلون وعن الفائدة في اختصاص هذه
بهذه دون تلك والجواب ان يقال لما قال الله تعالى قبل خلق الله السموات والارض
بالحق ان في ذلك لآيات للمؤمنين وقال في سورة ص وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
باطلا ذلك ظن الذين كفروا فاخبر ان في خلقهما بالحق آيات للمؤمنين وانه ما خلقهما
باطلا الا ليعبد فيهما وبطل ظن الكافرين كانت الاولى من سورة الجاثية محمولة
على ما تقدم من اثبات الآيات فيها للمؤمنين ومن تلك الآيات انه لا شيء اعظم في

قوله

الآية

الموجودات منها اتساق النجوم فيها وتسخيرها على انتظام مما يدل على مدبرها وقوتها
مع عظمها ونقل جرمها بغير دعامة من تحتها ولا علاقة من فوقها يدل على قادر لا يشبهه قادر
ثم وفي النظر في ذلك وفي سائر ما فيهما من الآيات الأخر حق اداه الى الايمان بالله تعالى
فلذلك قال الآيات للمؤمنين خصهم لانتفاعهم بها وان كانت الآيات منصوبة
ولغيرهم الا انهم لما لم ينتفعوا بها صارت كأنها لم يكن لهم آيات واما قوله وفي خلقكم
وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون فالعجائب في خلق الحيوان وما له من الاعضاء
والحواس التي بها يدرك المحسات ثم ما في باطنه من جواذب المواد التي بها قوام الحياة
ثم الروح التي بها ثبات الاجساد اكثر من ان تحصى وبعد فان عرضت شبهة للملحد بان
كون الولد بوطي الوالد امه ومن نطفته يأخذ شبهة فانه يطرح ذاك ويزاح
بالآيات التي ليس الى الوالد فعلها ولا حاجة من جوارحه يحيط علمه ببنيتها والحكمة
في تركيبها فكيف ان يكون فاعلها فيترك وتعالى من صنعها وزينها بالعقل الذي يؤمن
اكثر نعمه فهذا هو التفكر في ذلك ينتقل من ظن الى علم ويتيقن بعد شك واليقين علم
تحصل بعد شك ~~وهو من اكثر فيها~~ ولذلك لا يوصف الله تعالى بانه موقن ولو وصف
بانه عالم فلهذا قال الآيات لقوم يوقنون واما الآية الاخيرة وهي واختلاف الليل والنهار
وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم
يعقلون فقد تقدم من قولنا في الفرق بين يعقلون ويعلمون ما يبين الجواب عن الفائدة
في اختصاص هذه الآية بقوله يعقلون كما قال تعالى في سورة البقرة ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء
من ماء فاحيا به الارض ~~بالمطر حتى تكتسي بالنبات والشجر~~ منهم والسحاب المسخر بين السماء
والارض لآيات لقوم يعقلون فخص هذا المكان ايضا بقوله يعقلون لان المعنى انهم
يفطنون بمعلوم لمعلوم آخر فيعقلون من احياء الارض بالمطر حتى تكتسي بالنبات

بعد موتها وتصريف الرياح لآيات لقوم يعقلون واما الآية الاخيرة وهي واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء ... فقد تقدم من قولنا في الفرق بين يعقلون ويعلمون ... كما قال تعالى في سورة البقرة ... صح صح

والنجا

عقل منه صح

والنجاة انه يحيي العظام وهي رميم وهذا الموضع يقال فيه كذا كذا اي استدركه بالعلم بعد
ان لم يكن مستدركا له فكأنه في معنى يفطنون ويدرون ويشعرون كما ان الاصل
الوصف بالعاقل موضوع لحالة ثانية ومعرفة طارية فلذلك خصت الآية الثانية — اللفظة صح
بهذه الآية الثانية منها قوله عز وجل ويل لكل افاك اثيم يسمع آيات الله
تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا ~~واستيفاء الكلام~~ فبشره بعذاب
اليم للسائل ان يسأل عن فائدة قوله كأن في اذنيه وقرا واستيفاء الكلام عنها في سورة
الجاثية مع ان الفصلين متشابهان الجواب ان هذا الكافر لما اخبر عنه في
سورة لقمان بانه يعرض عن القرآن اذا سمعه غير منتفع به حتى كأنه لم يسمعه ويستهزئ به فهذه
الحال كما يستهزئ به صمم وقوله في الجاثية ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها يدل على ما دل
عليه كأن في اذنيه وقرا لان الاصرار عزم لا يهم معه باقلاع فاذا اصر على التصامم
فهو كمن في اذنيه وقر صار احد اللفظتين يغني عن الآخر ويقوم مقامه ويؤدي
من المعنى اداه فلذلك لم يجمع بينهما وكان الموضع الذي ذكر فيه ولى مستكبرا احق
بقوله كأن في اذنيه وقرا والموضع الذي ذكر فيه الاصرار على ترك الاستماع اغنى
عن ذكر كأن في اذنيه وقرا الآية الثالثة منها قوله عز وجل ولقد آتينا
بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين
وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا حتى جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون وقال في سورة يونس ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ
صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي
بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون للسائل ان يسأل عن اختلاف
ما اختلف من الآيتين من زيادة الفاظ ما في سورة الجاثية على ما في سورة
يونس عليه السلام وابدال الفاظ مكان الفاظ الجواب ان ما في بعد

القرآن صح

ان ربك يقضي بينهم صح

كانوا فيه صح

ان يقال ان سورة الجاثية لم يذكر فيها من قصة بني اسرائيل غير هاتين الآيتين
والتي في سورة يونس انما هي بعد سبع عشرة آية قصرت على ذكر موسى عليه السلام
وما دار بينه وبين فرعون من حيث قال ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون
الى فرعون الى الآية التي ذكر فيها غرق فرعون المختومة بقوله فاليوم ننجيك ببدنك
لتكون لمن خلفك آية وكانت هذه السبع عشرة آية قد اختصر فيها جميع ما بسط
في الآيات الكثيرة من سورة طه وسورة الشعراء فكان الموضع موضع اختصار
فاختصر قوله ولقد بوأنا بني اسرائيل كما شرح في الآيتين اللتين في سورة
الجاثية كما ودعت آية واحدة من سورة يونس ما اودع آيتين من سورة
الجاثية فقوله ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق انما هو منزل اختيار
ورفعة وجلالة وتفضيل وكرامة ولا منزلة في الدنيا اعلى مما تجمع النبوة والكتاب
والحكومة بين الناس كتفضيل العلم فقوله مبوأ صدق مشتمل على كل ذلك
وقوله ورزقناهم من الطيبات في الآيتين سواء وقوله فما اختلفوا امر من
تمام الآية من سورة يونس وهي آية مفردة من سورة الجاثية اولها وآتيناهم
بينات من الامر يعني امر الدين فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم تضمنت اربعة
الفاظ منها وهي الا من بعد ما تضمنه لفظ واحد من الآية في سورة يونس وهو
حتى وذلك ان حتى للنهاية اي لم يختلفوا وكانوا متفقين الى ان جاءهم العلم وهو
كتاب الله فحتى لمنتهى الاتفاق وقد حلت على جاءهم العلم فجاء العلم منتهى ما
تقدم ومبتدأ الاختلاف ولم يكن الا بعد وجوده فاحتملت الآيتان من سورة
واحدة في قصة واحدة من بسط الالفاظ وشرح المعاني ما اختير اختصاره
حيث شغلت بتلك القصة القصة آيات كثيرة وهي مع كثرتها مبنية على الايجاز
فكان من البسط قوله الا من بعد ما بدل قوله حتى وقوله [illegible] بغيا بينهم بيان

مادعاهم

ما دعاهم الى الاختلاف وهو البغي والحسد وعداوة بعضهم لبعض وقوله ان
ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا في المكانين واحد ما في سورة الاحقاف
قد تقدم ذكره في غيرها وليس في سورة محمد صلى الله عليه وسلم شيء من ذلك
سورة الفتح الآية الاولى قوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما وقال
بعده واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما
للسائل ان يسأل عن قوله في الآية الاولى وكان الله عليما حكيما وقوله في الثاني وكان الله
عزيزا حكيما والجواب ان يقال ان قوله انا فتحنا لك فتحا يفسر على وجهين احدهما انها
نزلت عليه مرجعه من عام الحديبية مبشرة بما يكون من الفتح في القابل ومعناه انا قضينا
بفتح مكة عن محاربة منك لاهلها ومغالبتهم على دخولها ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ويتم
نعمته عليك بان تملك جميع ارض العرب وقد علم الله ما يكون قبل كونه وقرن الحكمة بصنعه
وهو مبشر لكم بما لم يعجله في وقته لما اقتضت الحكمة من تأخيره فهذا معنى وكان الله
عليما حكيما والوجه الآخر ان يكون قد نزلت بما فتح الله له مكة وقد كان وعد الله قد
سبق لها ولغيرها من البلدان فلما فتحت مكة ازداد المؤمنون بصيرة الى بصيرتهم لما صدق
الله من وعدهم فوثقوا ثم ثقة باعتلاء امرهم وقوله وكان الله عليما بما يكون يعني صح
مما اخبركم به وبما بر المعلومات وحكيما في افعاله المخصوصة بالاوقات فيقدم ويؤخر على
مقتضى الحكمة لا على مقتضى ارادة الخليقة واما قوله ولله جنود السموات اي ملك من فيها والارض صح
من الملائكة والانس فاذا اراد تسليطهم على كفار عباده لينتقم منهم فعل وقيل لطاعة
الله جنود السموات والارض اي خلقوا لذلك ومنها نصرة دينه واما قوله بعد وكان الله
عزيزا حكيما فانما جاء بعد قوله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
فذكر قدرته على عقابهم وقهره لهم بعذابهم فلما عزهم بان اذلهم واباح للمؤمنين

فملكهم وغنمهم اموالهم كان هذا المكان مقتضيا ان يتصف تعالى بالقهر والعزة والحكمة فيما
يظهر من القدرة فصار لكل من خاتمتي الايتين في موضعه وهذا كما قال في هذه السورة
في اهل البيعة تحت الشجرة واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا
حكيما فاتصف بالعزة والحكمة لما كان في موضع القهر والغلبة الاية الثانية منها قوله
تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا وقال في سورة
المائدة قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه للسائل ان
يسال عن زيادة لكم في قوله فمن يملك لكم في هذه السورة وخلوها في سورة المائدة
الجواب ان يقال ان هذه الاية في قوم تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غير عذر وتاخروا عن الجهاد معه والغزو وقالوا شغلتنا اموالنا واهلونا وسالوه
صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لهم يكتمون بذلك نفاقهم ويظهرون وفاقهم وانهم محتاجون
الى استغفاره لهم وقصدهم استمالته وان لا تظهر عداوته ثم قال فمن يملك لكم من الله
شيئا اي من يملك لكم نفعا ان اراد بكم نفعا ومعناه ان اراد انزال العذاب بكم لم
يكن لكم من يدفعه عنكم كما انه ان اراد الانعام عليكم لم يضره اساءة المسيء اليكم فلما
كان في قوم مخصوصين احتيج الى قوله لكم للتبيين فاما الاية في سورة المائدة فانها لم
تخرج على ان تكون مخصوصة في فرق دون فرق بل عم بها اي لا يملك احد دون الله
شيئا فيما يريده من خير وشر في عباده ويدل عليه قوله ان اراد ان يهلك المسيح ابن
مريم وامه ومن في الارض جميعا فلما سيقت الاية الاولى للعموم لم يحتج الى لكم التي
للخصوص الاية الثالثة منها قوله تعالى ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل كان
الله بما تعملون خبيرا وقال بعده وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن
مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا للسائل ان يسال
عن اية الاولى لما ختمت بقوله خبيرا وعن الثانية لماذا ختمت بقوله بصيرا وعن

الجواب

الجواب ان يقال لان الاولى في ذكر ما اسره المنافقون من نفاقهم وانهم
اضمروا خلاف ما اظهروا وطلبوا الاستغفار لهم ولا ارادة فيه منهم فكانه قال كان
الله خبيرا بباطنكم والاية الثانية بعد قوله كف ايديكم عنهم بما قذف في قلوبهم
من الرعب وكف ايديكم عنهم بان امركم ان لا تحاربوهم ففعل كل ما اراده منهم
والله تعالى ابصر فعلكم وهذا ظاهر يوصف بان الله يراه والذي في الاولى باطن
يوصف بان الله يخبره فلذلك خصت بخبير والثانية ببصير ليس في سورة الاولى
الحجرات من ذلك شيء سورة ق الاية الاولى منها قوله عز وجل فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه هذا ما لدي عتيد وقال بعدها الذي
جعل مع الله الها اخر فالقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن
كان في ضلال بعيد للسائل ان يسال عن ادخال الواو في قوله وقال قرينه هذا
ما لدي عتيد وحذفها من الثاني حيث قال قرينه ربنا ما اطغيته الجواب ان
يقال ان القرين الاول فيه وجهان احدهما ان يراد به الملك الشهيد عليه وهو
المشاهد لما يعمله الانسان فيكتبه عليه فيقول له يوم القيامة هذا ما لدي
معد محفوظ عليك والوجه الاخر ان يقول قرينه من الشيطان كان في الدنيا
هذا ما عندي من العذاب الحاضر المعد لي وعلى الوجهين هو خطاب للانسان
من قرينه واما الاية الثانية فانها منفصلة لان القول هناك ليس للانسان ولا ما
بعده خطابا له فلما لم يكن القائل ولا المقول له انقطع واستونف الا ترى
انه للقرين وانه مخاطب الله تعالى بقوله ربنا ما اطغيته فلما لم يكن هو
القائل ولا المقول له المخاطب صار كانه مستانف كالايات التي اجريت بهذا
المجرى بعده وهي قال لا تختصموا لدي وكقوله ما يبدل القول لدي فلم يكن في
واحدة منها واو عاطفة الاية الثانية منها قوله تعالى فسبح بحمد ربك

قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وقال في سورة طه فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها للسائل ان يسأل عن الموضعين وان يقول لما كان في سورة
طه وقبل غروبها وفي هذه قبل الغروب فما للسائل الا يسأل عن الموضعين وان
يقول لما كان في سورة طه الجواب وهو ان فواصل اكثر الآيات في سورة
طه اواخرها الف فعدل الى غروبها وهو الاصل لان الطلوع مضاف الى الشمس
وحق الغروب ان يكون مضافا الى ضميرها وضميرها بعد الالف واما في سورة
ق فان فواصلها مردفة بواو وياء كالسجود والخلود والعتيد والعبيد والمريج
والغروب متى ذكر علم انه اريد به غروبها فكان ذلك اشبه بالفواصل التي ه
تقدمتها في المكانين فلذلك اختلفا سورة والذاريات الآية الاولى منها قوله تعالى
ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين
الى قوله انه لحق مثل ما انكم تنطقون وقال في والطور ان المتقين في جنات ونعيم ه
فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم
تعملون للسائل ان يسأل عن اختلاف ما اختلف من الاخبار عن اهل الجنة في
هاتين السورتين الجواب ان يقال انه اخبر عنهم في والذاريات انهم صاروا
الى الجنة باعمال عددها ودعا العباد ليفعلوا فعلهم لها فقال ان المتقين في جنات
والمراد بالجنات ما ذكره في سورة الرحمن قال ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال
بعده ومن دونهما جنتان ثم قال وعيون لانه لما كان المعنى في الجنات البساتين
التي لها ظلال والظل والماء مطلوبان للعرب وذلك باذن الله من النعم قرن
الى الجنات العيون كما قال ان المتقين في ظلال وعيون وجعل ذلك بازاء ما
يعذب به اهل النار حيث يقول يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم اي ه
يحرقون ليزال عنهم الخبث وكلهم خبث لا يخلص منهم ما يستغنى عن الاحراق

ثم قال

ثم قال آخذين ما آتاهم اي متقبلين عطية ربهم لانهم احسنوا في هذه الدنيا
في فعلهم فاقتدوا بهم لتكونوا كمثلهم واقللوا الهجوع بالليل لتنالوا مثل نيلهم
واستغفروا لتفوزوا كما فازوا باستغفارهم واخرجوا فضلات اموالكم لمن سأل
من الفقراء ومن يحرم نفعه بترك السؤال كما اخرجوها فتنبهوا واعتبروا بالآيات التي
نصبها الله في الارض كالجبال الراسيات والعيون الجاريات وما يطلع منها من نام
وغير نام من جواهر المعادن فانهم اعتبروا وبه وصلوا الى ما وصلوا وهذه الآية تدل
على ان وصف اهل الجنة في هذه السورة بالاعمال التي قدموها لحض امم المكلفين على مثل
ما جعل خبرا عنهم انهم فعلوه الا ان الطريق وفي اموالهم حق للسائل والمحروم غير
طريق وفي الارض آيات للموقنين اذا لم تحمل على ما ذكرنا فلما كان القصد في هذه السورة
الحث على فعال اهل الجنة بالآيات المتصلة بوصفهم المخلصة لخطاب من يدعى الى مثل
فعلهم تمم الكلام على هذا النظم الى ان انتهى الى ذكر الانبياء عليهم الصلوة والسلام
واممهم الكافرة وما انزل من العذاب بامة امة منهم واما الآية في والطور فانه تعالى وصف
نعيمهم في الجنة واضاف ما جعلوا فيه من اللذة فقال فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم
ربهم عذاب الجحيم الى قوله انه هو البر الرحيم لانه اذا ذكرت الافعال التي يستوجب بها ه
الجنة ذكر من الجزاء فيها ما تشتهي اليه اللذة وتقترحه الشهوة وهو ما فضله الله تعالى
في الطور ثم ختم الآيات بقوله فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون فاختلاف
الآيات في السورتين لما ذكرنا والله اعلم الآية الثانية منها قوله عز وجل ففروا الى
الله اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه نذير مبين للسائل
ان يسأل عن تكرار قوله اني لكم منه نذير مبين وعن موقع الانذار مرة بعد الاخرى
في آيتين متواليتين الجواب ان يقال قبل هاتين الآيتين ومن
كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ومعناه خلقنا من الحيوان ذكرا وانثى

ومن غيرها الشيء وما يتراوح بما يماثله او يضاده فيقابله لتذكروا ان خالقكم بعيد
عن شبههكم وانه وحده لا نظير له يكلمه ولا ضد له يناصبه ويقابله لان الحي الكوح
بخلاف خلقه لا يجوز ما ذكرنا في نعته ففروا الى ما حذرتكم من معصيته الى ما حثثتكم عليه
من طاعته فاني انذركم ما توعدكم به من عقوبته وهذا تحذير من المعاصي كلها
وبعث على جميع الطاعات ثم خص ما اعظم فقال ولا تجعلوا مع الله الها آخر اي
لا تتخذوا الاصنام آلهة تعبدونها مع عبادتي فاني احذركم ان تجعلوا له مثلا ه
فالنذارة الاولى متعلقة بترك الطاعة الى المعصية والثانية متعلقة بالشرك الذي
هو اعظم المعاصي واذا كانت متعلقة بغير ما تعلقت به الاولى لم يكن ذلك تكرارا

سورة والطور

الآية الاولى منها قوله عز وجل ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون
ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وقال
في سورة ن والقلم فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
واملي لهم ان كيدي متين ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم
يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت للسائل ان يسأل لما انقطع الآية
ام عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب في السورتين وكان
في الطور ينقطع الى قوله ام عندهم الغيب وفي سورة ن والقلم ينقطع الى قوله فاصبر
لحكم ربك الجواب ان يقال ان عبدة الاوثان من قريش مع ادعائهم انهم
اهل الحجى واولوا النهى الزموا في سورة الطور الزامات يستنكرونها ولا يعتدون
بها اذا صدقوا عقولهم عنها وهي خمسة عشر الزاما اولها ام يقولون شاعر نتربص
به ريب المنون بعد قوله فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون والقوم عرفوا
الشعر وهذا الكلام واسلوبه وعلموا انه ليس بشعر وان النبي صلى الله عليه وسلم
ليس بشاعر والثاني ام تأمرهم احلامهم بهذا ام يدعوهم عقولهم الى عبادة

من هم

من هم فوقهم لانهم احياء وتلك اموات وهم يعقلون وتلك لا تعقل وهم
يفعلون وتلك لا تفعل فهذا على سبيل الانكار وما بعده على سبيل الايجاب وهو
ام هم قوم طاغون اي طالبون اعتلاء بالباطل والظلم وهذا الثالث والرابع ام يقولون
تقوله اي اختلق القران فان كان عندهم كما زعموا فليأتوا بمثله وهو الذي عجزوا
عنه فلزمتهم الحجة فيه هذا رابع والخامس ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون فلا
امر عليهم وهذا ايضا سادس لا يقولونه ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون
هذا ايضا سابع لا يدعونه وهو ان السموات والارض ليس لهما خالق قديم لا
يشبه المخلوقين وهم خلقوها بل لا يسلكون طريق الفكر في ذلك فيؤديهم الى برد اليقين
والثامن ام عندهم خزائن رحمة ربك ام يملكون ما يخلقه الله لعباده من ارزاق
وما في علمه ان ينعم به عليهم فاذا علموا من انفسهم عجزهم عنه وجب ان يعلموا ان الله تعالى
هو المالك لجميع ذلك فيفردوه بالعبادة والتاسع ام هم المسيطرون اي المتسلطون على
الناس والمقدمون لهم وليس لهم ذلك والعاشر ام لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم
بسلطان مبين ام لهم ما يستمعون به الى السماء وسماع كلام الملائكة وما يتذاكرونه من اخبار
ما يحدثه الله في الارض فيعلمون بذلك انهم على الحق ومن يدعوهم الى الدين على الباطل
فان كان كذلك فليأت مستمعهم بحجة قاهرة وهي اخبار عن غيوب تصح وليس لهم ذلك والحادي
عشر تعجيب الخلق مما ادعوه من ان الملائكة بنات الله فقال تؤثركم البنين وتجعل لنفسه البنات
وصاحب البنين اعلى كلمة من صاحب البنات والثاني عشر ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون
اي ام ثقل عليهم تصديقك لانك الزمتهم بما لا يغرمونه لك اجرا على ما هديتهم له ولا عذر
لهم في ذلك لانك لم تفعله والثالث عشر ام عندهم الغيب فهم يكتبون اي ام يدعون علم
الغيب وما يكون في مستقبل الدهر فتصور لهم ان امرك لا يثبت وانه يضمحل عن قريب
خلاف ما وعد الله في قوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين

كاتو قيل ام يعلمون الغيب يوحى من السماء فيكتبونه ويلقونه الى الناس كما يفعله الانبياء
عليهم السلام والرابع عشر ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون اي ام يريدون
بالممانعة والمدافعة والانقياد للمتابعة احتيالا عليك لابادة اصحابك وقتلكم وتدبير ذلك
ميسر امنكم والكفار هم الذين ينقلب عليهم ما يدبرونه على المؤمنين فيكونون هم المقهورين
المغلوبين من الهالكين المفتونين فانقطعت الاية الثالثة عشرة عن الاحتجاجات
الى المغالبات بالمكرات لاستيعاب اكثر ما في الباب وختمت هذه الجماعة عشرة وجوه ام لهم
اله غير الله اي خالق يحق عليهم عبادته غير الله الذي خلق السموات والارض وذلك يجب ان يكون
على صفة الله من القدرة والانعام مما يحق به العبادة سبحان الله عن ذلك واما الاية التي
في ن والقلم الخمسة من الزامات الكفار الذين دلت على ان المسلمين عندهم كالمجرمين ه
فانكره الله تعالى وقال افنجعل المسلمين كالمجرمين ثم احتج لبطلان دعواهم انه انزل عليهم كتابا
يعتمدونه ويتركون ما دونه ولا يلتفتون معه الى مخالفه وقد قامت الحجة به عليكم فتمسكتم له
بدعواكم وفيه ان لكم في الدنيا والاخرة اختياركم وقد علمتم ان هذا ليس لكم والثاني ام لكم ايمان
علينا ايمانكم تجرونها بايمان بالله خلقنا ما لكم بان لا نخالفكم فيما تحكمون به من اتخاذ الالهة
واقامة العبادة لغير الجهة فتلزموننا تصديق له بما نعالكم وهل احد منا كفيلا يدلون عليه
بضمان ذلك منكم اذا جمعكم اياهم يوم يكشف عن ساق ويشتد الامر ويستدعي منكم
السجود الذي به تنفع استاهكم وهو ما انفتم منه في دنياكم فتستكبرون وتتورعون
بذلك فلا تقدرون عليه فتخزون به وتعرفون انكم تركتموه حيث كان ينفعكم حتى فاتكم
ثم الرابع والخامس ما ينغ دنيا العوام تثقل عليكم باجر النبي صلى الله عليه وسلم المبعوث اليكم
ام نزول كتاب عليكم بان الحق فيما لديكم وكل ذلك لا حجة فيه فلما بان من هذه الاوجه
ان الحق ليس كالمبطل وان المسلمين كالمجرمين دعا الله نبيه صلى الله عليه وسلم الى الصبر
وتوقع نزول النصر وترك العجلة والامر ومباينة صاحب الحوت في التضجر بالكفر فانقطعت

الاية

فانقطعت الاي هنا الى ذكره ووصف جمل امره بعد شرح كثير من حاله في السورة
المتضمنة له سورة والنجم الاية الاولى منها قوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى اي هي الا
اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن ه
وما تهوى الانفس وقال بعده ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة ه
تسمية الانثى وما لهم بذلك من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق
شيئا للسائل ان يسال عما انقطعت اليه ان يتبعون الا الظن في الايتين واختلاف
والفائدة في تقدم ما تقدم وتاخر ما تاخر وهل كان يجوز عكس ذلك الجواب ان يقال
لما كان قبل الاولى افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى والانثى تلك اذا قسمة (الكم الذكر وله ع)
ضيزى ثم قال ان هي الا اسماء سميتموها اي سميتم هذه الاصنام الهة والملائكة بنات
الله وتسمية باطلة لا حجة لكم بها فلم تحصل لكم الا الفاظها فاما المعاني فانكم تتبعون فيها
الظن وهوى النفس وما في الطبع من حب الالف وقد اتاكم من ربكم ما ينبئكم الى ه (عنه ع)
الرشاد ومن جاءه من الله الهدى فتركه لاتباع الهوى فقد ضل وهوى بلكراه
معاليبين صارفهم عن الحق ثم قال ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة
تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق
شيئا فخص الذين يقولون الملائكة بنات الله بالذكر لتوكيد الالزام لهم والحجة عليهم
وانهم يتبعون الظن في مقالهم والظن لا يقوم مقام العلم ولا يغني عنه والمراد
بالحق هاهنا هو العلم فوصف ان الذين تعتمدونه لا يجوز ان يعتمد لانه ظن وبازائه
علم يبطله وهدى من الله يدفعه ويصرف عنه الى الحق الذي لا مهرب منه ومن لم يقبله بعد
وضوح الحجة له فاعرض عنه وهو قوله فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ففي الاية الاولى ذكر صارفهم
عن الحق ودواعيهم الى الباطل واثبات الشيء اولى في العقل ووصفه بانه صحيح او سقيم
ثانيا في الرتبة فلذلك اختصت الاولى بما اختصت به والثانية بما تبعها

سورة القمر الآية الاولى منها قوله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت
عاد فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع
الناس كانهم اعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل
من مدكر للسائل ان يسال عن قوله فكيف كان عذابي ونذر في ابتداء قصة عاد وتكريره
له في آخرها وقد سال سائل عن ذلك بعض اهل النظر فاجاب بان الاول ليس هو تخويفا
لعاد وان الثاني لها فلا يكون تكريرا اذا جعل كل واحد من الخبرين خبرا عن غير ما اخبر
به عن الآخر وهذا الذي ذهب اليه لا وجه له لانه قال كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر
انا ارسلنا عليهم فلا يصح ان يدخل الفاء في قوله فكيف كان عذابي اخباره عن عاد
بانها كذبت ثم تصرف عن ان يتعلق به تعلق الجزاء بالشرط هذا ولم يتقدم في
السورة سوى قصة نوح وقومه وقد عقبت بقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر
فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر وهو الذي ذهب اليه من ذكرنا
قوله لا يصح الا ان يراد كذبت عاد فلم يعتبر كيف كان عذابي ونذر لمن كذب قبلهم
من قوم نوح ويكون ذهابا عن الظاهر الى اضمار لا دلالة عليه الجواب عن
ذلك من وجهين احدهما ان يقال ان عادا اختص ما نزل فيها من كتاب الله بذكر عذابين
لما قال الله لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون
فيكون الاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة ويكون قوله الثاني كيف كان يحتمل
وجهين احدهما ان يجري مجرى ونادى اصحاب الاعراف في ان ما حق من وعيد الله كالكائن الواقع
لصحته فيخبر عن مستقبله الاخبار عن ماضيه لاستوائهما في زوال المرية عن وجودهما والثاني ان
يكون المعنى فكيف ما كان قدمته اليها من الوعيد الذي صح بسطه وهو وعيد الدنيا ودل
على وقوع ما في الآخرة بما صح في الاولى الجواب الثاني ان يكون المعنى في الاولى فكيف كان
وعيد عذابي ونذر لما حذرناهم قبل ان اوقعنا بهم ويكون الثاني بعد ارسال الرياح

عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم فلا يصح ان يدخل الفاء في قوله فكيف كان عقيب صح

عليهم

عليهم وايقاع العذاب لهم والمعنى كيف كان عذابي محققا ونذري مصدقا فيسلم
من التكرار سورة الرحمن جل جلاله قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان الا
تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان للسائل ان يسال عن اعادة
ذكر الميزان ثلث مرات في اواخر هذه الآي وقد كان حقها الاضمار وهل في اختيار
الكلام ان يتكرر في موضع السجع في النثر او القافية في النظم مثله ولا في ثلثة اسجاع
متوالية او ثلث قواف متواطية حتى يرتضى في ثلث فواصل كترادفه والذي اجاب به
عن ذلك اهل النظر انه اعيد ذكر الميزان لان هذه الآيات لم تنزل معا في وقت واحد ولو
نزلت معا لاضمر ذكر الميزان ولكن لما نزلت متفرقة لم يجز الا اظهار ذكر الميزان لانه لم
يجر له ذكر في وقت انزلت فيه احدى هذه الآيات وهذا ان تاتى في الميزان الثانية
فانه لا يتاتى فيما قبله لان الثاني تفسير الاول اذا كانت ان بمعنى اي او علة اذا كانت
ان مقدرة معها اللام اي لان تطغوا وكل ذلك لا يجوز مع انقطاع الثاني عن الاول
ولا الاول عن الثاني وقد اجيب عن ذلك بجواب آخر وهو ان يكون اعيد ذكر الميزان
لتكون كل آية مستقلة بنفسها غير مفتقرة الى غيرها اذ الاضمار يضمن الثاني الاول
ولا يقوم الثاني بنفسه ولا الثالث لو اضمر فيهما ما ذكر في الاول الجواب الذي يعتمد
هو ان يجعل لكل واحد معنى غير معنى الآخر يريد والسماء رفعها ووضع البنية المعدلة
وهي بنية الانسان التي خلقت من امشاج ومن تاليف مختلفات على اعتدال من
حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة ومعنى رفع السماء ووضع بنيته للاعتدال ما ذكره في
قوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما اي رفعنا
السماء عن الارض وخلقنا الهواء بينهما ولم يكن للحي الذي اراد خلقه بد من هواء تخترقه
الروح وتنساب عنه الريح فخلق عز وجل آدم ابا البشر من طين وفيه مسارب للهواء فحصل
فيه الطين الارضي والماء الذي قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون

والهواء الذي يجذب اليه الانفاس من خارج ما برد ويخرج منه من باطن ما حمي والنار
التي اذا فقدها الحي خمد وبطل فلما دبر الله خلقه على اعتدال من هذه الاصول
كان هذا الذي يجمع ما ذكر مركبا من الاشياء التي وصفنا لكل معتدل عنده قبول
ونكر عن كل خارج عن حد الاعتدال [illegible] له فنفار ونبو حتى ان راى مربعا مستوى
التربيع وآخر مختلفا خارجا عن الاعتدال في الابنية وخيرهما لقبول الاول وبناء
الثاني وكما في الطبع قبول البيت من الشعر اذا اعتدلت اجزاؤه واتزنت فعاله
التي وقع عليها ورده للمنكسر الذي فقد التعديل في البناء وهذا مما يضطر الانسان
الى علمه كما يضطر في الاول الى كراهة المعوجات وقبول المستويات فقال تعالى
رفع السماء وركب بنية الانسان المعدلة وكان معنى ذلك ان لا تجاوزوا في حكم
المعاملة بعد المعادلة والميزان الثاني الاحكام التي فيها على اعتدال وقرر في
الطباع كل كراهة ما خرج منها على اعتداء القتل نفسين بنفس والجانية
احداهما وقطع اذنين باذن وانفين بانف وفقوء عينين بعين واخذ اموال
بمال ودواب بدابة وغير ذلك من مجاوزة الحد في القصاص والارش مما
ثبت به حكم الطبع قبل حكم السمع وكان المعنى عدل خلقة الانسان ليتوخى المعدلة
في الاحكام فالميزان الاول بنيته الاعتدال وهي بنية الانسان على الوصف الذي
ذكرنا والميزان الثاني الحكم بالعدل والثالث آلة التعديل وهي التي يقع بها الاخذ
والعطاء فيتبين بها مقادير الحقوق ليقتصر كل ذي حق على مقدار ما يجب له منها
فلا ياخذ اكثر مما له ولا يعطي اقل مما يجب عليه وهو القسط الذي امر الله به
بالتبايعين لا رجحان ولا نقصان واذا كان كذلك لم يكن في اعادة لفظة
الميزان تكرار فلان الاول بمعنى غير معنى الثاني والثاني بمعنى غير معنى الثالث
كما يخرج التوالي عن الابطاء اذا اتفقت الفاظها واختلفت معانيها الاية الثانية

منها قوله

منها قوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان وتكريره احدى وثلثين مرة للسائل ان
يسال عن العدة التي جاء عليها هذه الآية متكررة وعن فايدتها الجواب ان يقال
نبه الله تعالى على ما خلق من نعم الدنيا المختلفة في سبع منها وافرد سبعا للترهيب
والانذار والتخويف بالنار وفصل بين السبع الاول والسبع الاخر بواحدة تلك
آيات سوى فيها بين الناس كلهم فيما كتب من الفناء عليهم حيث يقول كل من عليها
فان اي من على الارض وهذه الفاصلة للتسوية بين الملائكة وبين الانس والجن
في الافتقار الى الله تعالى والى المسئلة والى الاشفاق من خشيته وهي قوله يسئله من في
السموات والارض كل يوم هو في شان وانما كانت الاول سبعا لان امهات النعم خلقها
الله سبعا سبعا كالسموات والارضين ومعظم الكواكب وكانت الثانية سبعا لانها
على قسمة ابواب جهنم لما كانت في ذكرها وبعد هذا السبع ثمانية وصف الجنان واهلها
على قسمة ابوابها وثمانية اخر بعدها للجنتين اللتين دون الجنتين الاوليين لانه
قال في مفتتح الثمانية المتقدمة ولمن خاف مقام ربه جنتان فلما استكملت هذه
الآية ثماني مرار قال ومن دونهما جنتان فمضت ثمانية في وصف الجنان واهلها سوى ه
للثمانية المتقدمة مماثلة فتكمل الجميع احدى وثلثين مرة فان قال قائل قد بين
الجنة والنار في الاعتداد بالانعام على الثقلين بوصفهما بوصفها وانما النعمة
في احداهما دون الاخرى الجواب ان يقال ان الله تعالى منعم على عباده
نعمتين نعمة الدنيا ونعمة الدين وعظمهما في الاخرى واجتهاد الانسان رهبة مما
يؤمله اكثر من اجتهاده رغبة فيما ينعم فالترهيب زجر عن المعاصي وبعث على الطاعات
وهو سبب النفع الدائم فاية نعمة اذا اكثر من التخويف بالضرر المؤدي الى سلب النعم فكما جاز
عند ذكر ما انعم به علينا في الدنيا وعند ذكر ما اعده للمطيعين في الاخرى ان يقوله عند ذكر
ما تخوفنا مما يصرفنا عن معصيته الى طاعته التي تكسبنا نعيم جنته لان هذا سوق الى

تلك الكرامة من وصف ما اعد فيهما من النعمة فان قال ان السبع الاول قد عرف من سبب
منها نعمة الله علينا في البر والبحر والسابعة كل من عليها فان فاي نعمة في ذلك حتى تعد
من نعم الدنيا الجواب ان يقال فيه التسوية بين الصغير والكبير والامير والمامور
والمالك والمملوك والظالم والمظلوم في الفنا المودي الى دار البقاء ومجازاة والمسي بحقه
من المحسن انما المظلوم يوخذ حقه والظالم يفزع فيترك الظلم وسبب الفنا يعلمه الانسان
باضطرار فكلا نعمة اذا اكبر من هذه فان قال ذكر بعد قوله ومن خاف مقام ربه جنتان ثمان
مرات قوله فباي الاء ربكما تكذبان الى ان انتهى الى قوله ومن دونه جنتان وجاءت بعده ثمان
مرات قوله فباي الاء ربكما تكذبان كما جاءت بعد الجنتين الاوليين وفي اثناء الثمانية الاخر
من معاني الجنتين ما في اثناء الثمانية الاول فما الجنتان الاوليان وما الجنتان الاخريان
حتى يبعث على قلب هاتين كما بعث على طلب تينك ويجاب عن ذلك باجوبة اولها ان
يقال ان التثنية ههنا في الجنتين اي كلما كان الولي في جنة وصلت باخرى فلا ينقطع
غرايب الجنان عنه ابدا كما كان جنانيك وعاد طلبا الرحمة متصلة فلا ينقطع اذا كان
كذلك وكقولهم لبيك وسعديك وسايرما جاء مثنى يراد به هذا المعنى فان
قال فما معنى الجنتين الاخريين وفي الاوليين كفاية اذا قصد المعنى الذي ذكرت
قلت المراد بالجنتين الاوليين جنتان خارج قصره والمعنى كلما كان في جنة وصلت
بثانية غريبة مستطرفة ثم اذا كان في الثانية كانت حالها في ايصال اخرى بها كحال الاولى
وعلى ذلك ابدا فكانه قال ولمن خاف مقام ربه جنتان خارج قصره متتابعة لا ينقطع
واما ومن دونه جنتان داخل قصره وهما في ان الجنة منها متصلة باخرى بعدها فلا
يزال المكرم فيها ينتقل من واحدة الى اخرى تليها وجواب ثان وهو ان تكون الجنتان
الاربع في الجهات الاربع بين يديه وخلفه ويمينه وشماله واقربهما ما كان نصب عينيه
ومرمى طرفه فلا يحتاج الا يلتفت له الى خلفه وجواب ثالث وهو ما ذهب اليه الحسن

من ان الجنتين الاوليين للسابقين وهم الذين سبقوا الى اتباع الانبياء عليهم
الصلوة والسلام ووهبوا الطاعة لله حرمة الاباء والابناء وجاهدوا معهم في
توطية الاسلام وبذلوا ارواحهم في قتال الكفار واولئك اعظم درجة واعلى رتبة ومن
دونهم جنتيهم جنتان للتابعين ثم على ذلك كما قال الله تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم
على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا سورة الواقعة الاية الاولى منها قوله
عز وجل افرايتم ما تمنون انتم تخلقونه وبعده افرايتم ما تحرثون وبعده افرايتم الماء
الذي تشربون وبعده افرايتم النار التي تورون للسائل ان يسال عن ترتيب هذه الاشياء
التي تختص بقدرة الله الاول هو خلق الانسان من نطفة والنعمة في ذلك قبل النعمة في
الثلثة الاجزاء التي بعده فوجب تقديمه ثم بعده ما به قوام الانسان من فائدة الحرث
وهي الطعام الذي لا يستغني عنه الجسد الحي وذلك الحب يختبز فيحتاج بعد حصوله الى
حصول ما يعجن به من الماء ثم الى النار التي بعده خبزا فالترتيب على حسب الحاجة والنعمة الثانية
بعد الاول فان قال فقد قال في الاول فلولا تذكرون وقال في الماء فلولا تشكرون فهل كان
يجوز احدهما مكان الاخر قلت الاولى تنبيه على البعث والاعادة وهي النشاة الثانية
بالنشاة الاولى وحمل ان يتذكر الاول الذي هو الاصل ليثبت به الثاني الذي هو فرع مع ان
القادر كما كان لم يتغير واما قوله فلولا تشكرون فانه بعد قوله لو نشاء جعلناه اجاجا اي شديد
الملوحة كماء البحر فهلا تشكرون ان جعله عذبا فكل لائق بما ذكر سورة الحديد الاية
الاولى منها قوله تعالى سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم وقال في سورة الحشر سبح
لله ما في السموات وما في الارض وقال في سورة الصف سبح لله ما في السموات وما في الارض
وما في الارض ثم قال في سورة الجمعة يسبح لله ما في السموات وما في الارض وقال في سورة التغابن
يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير للسائل ان يسال عن ما
اوجب اختصاص فائدة سورة الحديد بقوله سبح لله ما في السموات والارض بغير اعادة ما

وتفضيل بعضهم على بعض [illegible] صح
على ان [illegible] صح

الذي

وقد أعيدت في السور الأخر الجواب ان يقال لما كان هذا الكلام مسوقا الى
كلمات ثلث عقدت في كل واحدة منها السموات والارض في عقدة واحدة جمع المخلوق
فيهما تحت لفظة واحدة فكان معنى قوله سبح لله ما في السموات والارض سبح الخلق
في المكانين فلفظة ما في هذا المكان عامة شاملة للخلق فيها فاذا اعيدت ما في قوله في
الارض كانت الاولى خاصة للخلق في السموات دون الارض والكلمات الثلث التي عقد
في كل واحدة في عقدة واحدة قوله ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور فلما كان
افتتاح السورة ينتهي الى هذه الآيات بعدها وهي تنظم المكانين نظما واحدا اختير ان
تجمل للخلق فيهما خلقا واحدا فلا يفصل بينهما بخلقيهما والقصد جمعهما في مقام واحد وان
لم يكن هذا المعنى موجودا في سائر السور فكان الاحل فيها اولى وهو اعادة ما والدليل على ذلك
قوله في آخر سورة الحشر يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم لانه قال قبله هو الله
الخالق الباري المصور فنظر تحت هذه الصفات مخلوقا السموات والارض وكذلك قبله
الملك القدوس كذلك نظم المخلوق في المكانين فيما يكون من تسبيحهم وتقديره حملا على
الاول الذي هو الاصل الآية الثانية منها قوله تعالى له ملك السموات والارض يحيي ويميت
وهو على كل شيء قدير وقال بعدها بآيتين له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور للسائل ان
يسأل عن اعادة هذه اللفظة في المكان القريب من الاول وصلتها في الاولى بقوله يحيي
ويميت ثم صلتها في الآخر بقوله والى الله ترجع الامور الجواب ان المعنى له الملك
اولا وآخرا الى الاول في الدنيا وهو وقت الاحياء والاماتة الى الآخر في الآخرة حين ترجع
الامور اليه ويملك سواه والاملاك ولما كان مقرونا بالاول يحيي ويميت لانهما من امارات
الملك وقرن بالآخر ما يكون في الآخرة من مرجع الخلق وجزائهم بالثواب والعقاب اليه
تجاني كل مكان ما اقتضاه وما شاكل معناه الآية الثالثة منها قوله تعالى كمثل غيث
اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وقال فيما تقدم من سورة الزمر

ثم يجعله حطاما

وقوله بعده هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وقوله بعده له ملك السموات والارض صح

ثم يجعله حطاما للسائل ان يسأل عن قوله في سورة الحديد ثم يكون وقوله
في الزمر ثم يجعله هل كان وجه الكلام ان لو جاء احدهما مكان الآخر الجواب
ان يقال ان الافعال التي نسق هذا الفعل عليها في سورة الزمر هي افعال الله
لانه قال الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا
مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما فهو معطوف على قوله ثم يخرج به
زرعا والذي في سورة الحديد لم يسند الفعل المتقدم فيه الى الله عز وجل فيسند
اليه ما بعده وانما هو كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون
فلم يصلح في كل مكان الا ما جاء فيه في اختيار الكلام سورة المجادلة الآية الاولى
منها قوله عز وجل تلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم وقال ان الذين يحادون
الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا آيات بينات وللكافرين
عذاب مهين للسائل ان يسأل عن خاتمتي الآيتين وهما عذاب اليم وعذاب مهين
وعما اوجب اختصاص كل واحد منهما بما ذكرت فيهما الجواب ان يقال
لما قال في الاول ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وبالحدود التي حدها لعباده
ثم سمى من لم يؤمن كافرا باسمه وتوعده بالعذاب المرجع المبالغ فيه وهو ما خوف
الله عباده نعوذ بالله منه واما قوله عذاب مهين فلان قبله ان الذين
يحادون الله ورسوله كبتوا فضمن معنى الفعلين الشرط والجزاء فجعل الكبت
جزاء من اتخذ حزبا غير حزب الله ورسوله وحدا غير حدهما والكبت الاذلال
وقيل الغلبة والقهر والتخييب وكل ذلك متقارب فلما اخبر الله تعالى بالكبت عمن
حاد الله ورسوله وجانبهما وصار في حد غيرهما وصف العذاب الذي ينزل به
بالاذلال والاهانة وان كان كل مؤلم مهينا وكل مهين مؤلما ومما يشهد لذلك
قوله تعالى في السورة ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين فقوله

حطاما للسائل ان يسأل عن قوله في سورة الحديد ثم يكون وقوله في الزمر ثم يجعله صح

الى صح

هنا في الاذلين كقوله في الاول ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا فهذا في
الكفار وجد توعد المنافقين الذين تولوهم بمثله في هذه السورة وهو قوله
الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب
وهم يعلمون اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم
جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين اي انهم لما اظهروا الايمان وابطنوا
النفاق ووضعوا في انفسهم انه ان اطلع على حالهم حلفوا للنبي صلى الله عليه وسلم
بالله ان الامر بخلافه فيكلهم الى ايمانهم فهم يخرجون بهذا الظاهر والحكم عن
ذل الكفر ولهم عذاب يسلبهم هذا العز ويبدلهم منه الهوان والذل سورة
الحشر الاية الاولى منها قوله تعالى ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله
فان الله شديد العقاب وقال قبله في سورة النساء ومن يشاقق الرسول من
بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت
مصيرا وقال في سورة الانفال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب
للسائل ان يسال عن الادغام في قوله ومن يشاق الله ورسوله في سورة الحشر وعن
تركه في سورة الانفال وسورة النساء مع ان مثله في لغة العرب يصح ادغامه واظهاره
كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه ومن يرتدد منكم عن دينه
الجواب ان يقال الاصل في ذلك اذا قويت الحركة في القاف ان يدغم الاترى
ان من جوز اردد مكان رد وكانت لغته الاظهار متى حرك الدال الاخيرة في قولك
للاثنين ردا وقولك للجميع ردوا لم ترد الا الادغام ولم يجوز ارددا ولا ارددوا ولا
ارددي فقوله تعالى فقوله تعالى من يشاق الله فقد قويت الحركة منه في القاف الاخيرة
لانها لاقت كلمة قد لزم اولها السكون وهو اللام الاولى من الله وكانت تحرك لملاقاة ساكن
بعدها في عبد الله حيث لا تضعيف فهرب من ثقله الى التخفيف لرفع اللسان عن الطرفين

غير صح

دفعة واحدة

دفعة واحدة ومن يشاق الله لا يلاق القاف هنا الا ما يتعلق به الا ساكنا فقد لزم الكلمة
تقويت في القاف التي تلاقي ما يتعلق به متحركا وهو ورسوله لان التقدير ومن يشاقق
رسوله فلم تعلق القاف فيما يتعلق به الحركة كما خلصت لها في الاول واما قوله ومن
يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فليس الساكن من الرسول الذي يلاقيه القاف
كالساكن من لفظة الله لانه قد يحذف فينفتح لملاقاة القاف متحرك منه نحو من يشاقق
الرسول الله فالذي اوجب في سورة الحشر ومن يشاق الله الادغام هو قوة الحركة
في القاف وقوتها انه لا يصح ان يلاقي الاسم الذي بعدها الا ساكنا منه لا يقوم مقامه
متحرك في حال وما سواه من المواضع ليس على هذا الوقف فبان الفرق فاعرفه الاية
الثانية منها قوله تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون
للسائل ان يسال عن اختصاص خاتمة الاية الاولى بقوله لا يفقهون واختصاص
الثانية بقوله لا يعقلون الجواب ان يقال لما قال لانتم اشد رهبة في صدورهم
من الله اي خوفهم منكم اشد خوفا من الله لانهم لا يعلمون ظاهرا ولا يعرفون
ما استتر عليهم منه والفقيه من يستدرك من الكلام ظاهره الجلي وغامضه الخفي
بسرعة فطنته وجودة قريحته فلما رهبوا النبي صلى الله عليه وسلم وسيفه ما لم يرهبوا
الله صاروا لمن يعرف ما يشهده ويجهل ما يغيب عنه ولو فقهوا لعلموا ان ما ظهر من الرسول
عليه السلام باطنا خفي عنهم من امر الله تعالى فلذلك وصفهم بانهم قوم لا يفقهون وقيل لا يفقهون صح
اي لا يستدركون عظمة الله ويشاهدون جلالة المؤمنين بالنبي صلى الله عليه وسلم
ولا يعلمون ان ذلك بالله تعالى وقيل لا يفقهون من معنى المرسل والرسول معنى
المرسل وعظمته فيتقوا الله حق تقاته واما قوله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فانه جاء بعد قوله
باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ومعناه ليس يجمعهم الحق على طريقة واحدة
بل هم اتباع اهوائهم فهم مختلفون باختلاف ارائهم لو عقلوا الرشد من الغي لاجتمعوا على

على الحج فاختلافهم لأنهم لا يعقلون ما يدعوا الى طاعة الله ويهدي الى ما قال الله وإن هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فالحق سبيل واحد مستقيم
والباطل سبل كثيرة عليهم متشعبة فقد بان لك ان كلا من الخاتمتين ختم بما يقتضيه

سورة الممتحنة الاية الاولى منها قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه
اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله وقال بعده لقد كان لكم فيهم
اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر ومن
يتول فان الله هو الغني الحميد للسائل ان يسأل عن المعنى الذي له اعيد قد كانت لكم اسوة
حسنة وعن متعلق كل واحد من اللفظين وهل صلح الاول مكان الثاني والثاني
مكان الاول الجواب ان يقال ان الاسلام بني اوله على التبري من
الالهة ومن عبدتها ومن الاصنام وعبادتها الا ترى قول من يشهد
بالتوحيد انه ينفي الالهة اولا بقوله لا اله ويثبت بقوله الا الله الواحد الذي
يحق له العبادة فقال الاسوة الاولى المتعلقة بالبراءة من الكفار ومن فعلهم انا
براء منكم ومما تعبدون وانهم يعادونهم الا ان يؤمنوا فهذه الاسوة ها
تفصل المؤمن من الكافر ليتميز عنه في الظاهر ويبرأ من صداقته ويحقق
بعداوته والثانية معناها ايتسوا بهم لتنالوا من ثوابهم وانقلبوا الى
الاخرة كانقلابهم مبشرين بالجنة غير خائفين من العقوبة

سورة الصف الاية الاولى منها قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام
والله لا يهدي القوم الظالمين وقال في سورة الانعام ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح الظالمون وقال فيها ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وقال في اخر سورة العنكبوت ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين

وقال

وقال في سورة الاعراف فمن اظلم ممن افترى على الله او كذب باياته
اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا وقال في سورة
يونس فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون
للسائل ان يسأل عن هذا الموضع واختصاصه بلفظ التعريف في الكذب مع
ان نظائره في الاي التي ذكرنا بلفظ التنكير الجواب ان يقال ان الكذب
مصدر يسمى به الكلام المكذوب فيه وهو في قوله تعالى افترى على الله كذبا
عليه اصله مصدر غير منقول والمصدر اذا عرف قصد به الجنس والفرق بين
معرفة ونكرة اذا قال القائل قلت كذبا اي قلت نوعا من انواع الكذب
التي هي كثيرة واذا قال الكذب فكانه قال قلت القول الذي يشهد بالكذب و
اليه وليس يراد به الجنس كله كما لا يراد اذا قال شرب الماء كل الماء وانما معناه بعضه
بدلالة العرف وانما يختار التنكير اذا قارنه لفظ يقتضي له التنكير والتنكير ما جاء منكرا
معها وهو او كذب بحق باياته انه لا يفلح المجرمون او كذب باياته انه لا يفلح الظالمون
او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى
للكافرين او كذب باياته اولئك ينالهم نصيب من الكتاب فهذه خمسة مواضع
تقدمها قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كانت مقارنة اولها يقتضي التنكير
في لفظها فاما قوله في سورة الانعام فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس
بغير علم فانما معناه ومن اظلم النفس ممن يختلق كذبا واحدا ليضل به الناس
فكيف من يختلق كثيرا من هذا الجنس ومن يختلق كذبا يقصد به اضلال الناس
فكل من ضل منهم بكذبه فقد اضله كذب مما اختلقه ففيه دليل امثاله يقتضي
تنكيره وكذلك قوله في سورة هود ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك
يعرضون على ربهم فكانت لفظة من في افترى على الله كذبا لفظا واحدا ومعنى

كل كاذب كذبا فصاحة انواع الكذب له كصاحبه الكاذبين لهم يقتضي تنكير لفظة
اذا صار واحدا من جماعة شايعا فيها واما التعريف في سورة الصف فلان يقصد
الاشارة الى الكذب وهو تكذيب اليهود بايات النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيب النصارى
بها وقد تقدمت قصتاهما في قوله واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون
اني رسول الله اليكم وبعده واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا
لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات
~~فلما جاءهم~~ قالوا هذا سحر مبين ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى
الى الاسلام اي من اظلم ممن يكذب الكذب الذي يشير اليه الامم من المسلمين والنصارى
واليهود على اختلاف اعتقاداتهم وقد صح ان الكذب المعروف عند المسلمين وعند
علماء الطايفتين من اهل الكتاب فالتعريف في هذا المكان فايدته التي تختص به
ما ذكرناه كما ان ما جاء منه منكرا اقتضاه مكانه على ما بيناه ○ ما في سورة الجمعة
تقدم ذكره في البقرة **سورة المنافقين** الآية الاولى منها قوله تعالى
هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزاين
السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون
للسايل ان يسال عن ما اوجب اختصاص كل واحد مما اختص به من قوله لا يفقهون
وقوله لا يعلمون الجواب ان معنى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا
على من عند رسول الله اي لا يامرونهم بالاضرار بهم وحبس النفقات عنهم
ولا يفطنون لانهم اذا فعلوا ذلك اضروا بانفسهم ودون من عند رسول الله
لان الله لا يحبس ما قدر لهم من ارزاقهم فهم لا يفقهون ذلك اي لا يفطنون له وقوله
في الثاني لا يعلمون بعد قوله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها

فلا يضرهم اذا حبس انفاقهم صح

الاذل

الاذل عندهم ان الاعز من له الغلبة والقوة على ما كانوا عليه في الجاهلية
ولا يعلمون ان هذه القدرة التي يتفضل بها الانسان غيره انما هي من الله
فهي لله ولمن يخصه بها من عباده والمنافقون لا يعلمون ان الذلة لمن يقدرون
فيه العزة وان الله معز اولياءه بطاعتهم له ومذل اعداءه بمخالفتهم امره فقد
اختصت كل آية بما اقتضاه معناه **سورة التغابن** الآية الاولى منها
قوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض وقال بعده يعلم ما في السموات والارض
ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور وللسايل ان يسال عن
تكرير ما في السورة في يسبح لله ما في السموات وما في الارض وترك ذلك في قوله
يعلم ما في السموات والارض ثم تكريرها في قوله وما تعلنون وهل كانت الفايدة ○
تجعل بعكس ذلك وتكريرها حيث لم يكرر وحذفها حيث لم يحذف الجواب
ان يقال لما كان تسبيح ما في السموات على خلاف تسبيح ما في الارض كثرة وقلة ○
وخلوصها من مقارفة المعاصي واختلاطها بها اعيدت لفظة ما للاختلاف ولم يكن
الامر في قوله يعلم ما في السموات والارض كذلك لان علمه بما فيهما نظم نظما واحدا وعلى
حد واحد فصار علمه بما تحت الارضين كعلمه بما فوقها وعلمه بما في السماء كعلمه بما في
غيرها لما كان علمه بما يكون كعلمه بما كان لا يختلف فلم يتباين فيعاد للتخالف ○
لفظة ما التمييز بها عما خالفه واما ما تسرون فانه مخالف لما تعلنون غاية المخالفة
فلم يصلح الا باعادتها لما بان ووضح الفرق بين المواضع الثلثة الآية الاخرى
منها قوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وقال في سورة
الطلاق ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا للسايل ان يسال عما خص الآية بقوله

يكفر عنه سيئاته ويدخله الآية الثانية منه الجواب ان الاولى جاءت بعد قوله
مخبرا عن الكفار فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني
حميد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك
على الله يسير فهذه سيئات تحتاج الى التكفير اذا آمن بالله بعدها فقال ومن يؤمن بالله
ويعمل صالحا اي في مستقبل عمره يمح عنه ما سبق من كفره ثم يوجب له جنات والآية الثانية
لم يتقدمها خبر عن كفار سيئات فيعدوا التكفير لها اذا اقلعوا عنها وتابوا منها
وعملوا الصالحات مكانها وكان مضمونا تكفير السيئات عند الايمان وعمل الصالحات
فلم يحتج الى ذكره كما كان الامر في غيره سورة الطلاق الآية الاولى منها قوله عز وجل
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه
ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا وقال بعده واولات الاحمال اجلهن
ان يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم
وقال بعده ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم وقال بعده
ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا للسائل ان يسال عن تواليه في خلال
ذكر الطلاق والعدد ومن يتق الله ثلاث مرات يفعل به كذا واختصاص كل جزاء
بمكان فاوله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الثاني يجعل له من امره يسرا
الثالث يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا الجواب ان يقال لما اقترن بالطلاق
هذا الوعد لان الطلاق رفض حال متمهدة وقطع آمال متوكدة والعدد باستقبالها
يخلص السبب ويصح للزوج الثاني الولد ولو لم يكن هذا الذي حده الله تعالى
لكان الفساد يتصل الى نقصله الدنيا فهو احق الاشياء بالمراعاة وتاكيد المعاد
فيه والوصاة قال عز وجل بعد ذكر الطلاق ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب اي من تمسك بتقوى الله فيما يحل ويعقد ويصدر ويورد

من امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم وقال بعده ومن يتق الله يكفر

فان الله

فان الله يلقيه في شدته فرجا ويجعل له مما يكرهه مخرجا ويسبب له محبوبه من حيث لا
يقدر ويتوجه رزقه من حيث لا يحتسب وفي ضمنه انه اذا طلق بكارهة احد
القرينين لصاحبه وفارق ذاك بتقوى الله فان الله تعالى يسبب له القرينة الصالحة
وكذا القرين الصالح ويرزق احدهما على يد الآخر من حيث لا يبلغه تقديره ولا
ولا يدركه حسبانه وهذا وعد منه في الدنيا ويصح له مثله في الآخرة لانه يجعل للمتقين
مخرجا من عذابه وامنا مخافته يخرجهم من الغم الى السرور ومن الفزع الى الامن
ويعد لهم من كرامته وثوابه ونعمته ما يكتفون به ولا يحتاجون معه الى
غيره ويكون قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه مرادا به حال الآخرة اذ لا المتوكل
على الله وقد يضام في الدنيا هذا قول بعض اهل النظر ويجوز ان يراد بالمتوكل
ان يكل اموره الى الله فيتبعه راضيا ما يصرفه عليه كالدابة المواكل الذي تسير بسير غيره
منقاد الحكم وسيره فاذا كان المتوكل على الله من هذه صفته والله حسبه حافظا
له ممن يحاول ظلمه او منتقما منه ان راى ذلك انفع له وهو مبلغ مراده في الوقت
الذي قدره اذ كان قد جعل لكل شيء حينا يقع عنده لا يتعجل قبله ولا يتباطا بعده
واما قوله بعد ذكر عدة الحامل ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا اي من لزم التقى
سهل الله عليه الصعب من امره كما يجعل امر الولادة سهلا اذا قامت الام عن
ولدها فاستراحت عقيب حمل الدنيا بذكر ما يفعله في الآخرة من تكفير سيئاته
واعظام اجره وذلك شرط من اتقى الله نزل اليه من الجزاء ما لاق بالمكان الذي ذكر فيه
والآخر لما كان مقدما على احوال احتاجت الى غاية الترغيب والى المبالغة في الترهيب
وعد عليه فضل الجزاء وهو ما يكون في الآخرة من النعماء فتدبره على ما ذكرت سورة
الملك الآية الاولى منها قوله تعالى أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور
ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير للسائل ان يسال

قد مر ما في سورة التحريم في سورة [illegible] بحثه صح

عن تقديم الوعيد بالخسف عن التوعيد بالحاصب وهل كان يختار التوعد بتقديم
الحاصب على الخسف ام لم يجز في الاختيار الا ما جاء عليه الوعيد في الآيتين الجواب
ان يقال لما كانت الارض التي خلقها الله لهم ومهدها لاستقرارهم يعبدون عليها غير
خالقها ويعظمون فيها الاصنام التي هي من شجرها او حجرها خوفهم بما هو اقرب اليهم من
الاشياء التي اهلك بها من كان قبلهم والآية الثانية تخويف بالحاصب من السماء وهي
التي لا يصعد اليها الطيب من كلامهم ولا الحسن من عملهم الا سيئات افعالهم وقبايح
ما كتبت عليهم وذلك حال ثانية فذكرت في الثانية سورة ن والقلم الآية الاولى منها قوله
تعالى فلا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ان
كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين سنسمه على الخرطوم انا بلوناهم وقال
في سورة المطففين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه
آياتنا قال اساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون للسائل ان يسأل
عما انقطعت اليه الآية الثانية وهو كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وعما انقطعت
اليه الآية الاولى الجواب ان يقال ان الموصوف في الآية الاولى موصوف بجامع لخصال
الذم فاضحة وهي الحلف بالكذب الذي يورث الضعة والمهانة والوقيعة في الناس بما ليس فيهم
وهو يكسب العداوة والنميمة وهي نقل الكلام للتضريب الذي يجلب الضغينة والبخل الذي لا يدع
غيره ينتفع بخيره والاعتداء وهو تجاوز الحق في المعاملة وجفاء الطبع والخلق وغلظهما والدعوة
التي تلصقه بقبيلة ليس منها فيكون كالزنمة المتدلية من حلق الجدي فلما وصف بهذه
الاسماء الظاهرة القبح جعل في مقابلتها نكالا ظاهرا يتبين على الوجه فقال سنسمه على الخرطوم
اي نسمه بعلامة تنبئ عن قبائحه واما الآية الاخيرة فان قبلها الذين يكذبون بيوم
الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين فاخبر انهم لا
يؤمنون بالبعث وان الذنوب التي قارفوها غلبت على قلوبهم حتى كانها سكرت
لها ولو لكم قال الحسن الرين الذنب على الذنب حتى يموت القلب فلما لم يتكلم الا بالكفر

الخبر عن

اخبر عن جزائه في الآخرة وهو ان يحجبهم عما لا يحجب عنه المؤمنين من ثواب الله يوم القيامة
وان يصلوا نار جهنم ويلزموها عقابا لهم على المعصية فاتبع كلا من الكلامين ما لاق
به وصلح في مقابلته ما تقدم عليه سورة الحاقة الآية الاولى منها قوله تعالى وما هو بقول
شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون للسائل ان يسأل بين قوله
قليلا ما تؤمنون عقيب شاعر وقوله قليلا ما تذكرون عقيب كاهن الجواب ان
يقال ان من نسب النبي صلى الله عليه وسلم الى انه شاعر وان ما اتى به شعر فهو جاحد
وكافر لانه يعلم ان القرآن ليس بشعر لا في اتزان ابياته ولا في تشاكل مقاطعه اذ منه
آية طويلة والاخرى الى جنبها قصيرة كآية الدين في طولها والآية التي تليها في قصرها
وهي واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون واما
اختلاف المقاطع فانه ليس ايضا العرب شاعرها ومفحمها انه ليس بشعر فمن نسبه الى انه ينبغي ح
شاعر فهو لقلة ايمانه واما من قال كاهن فان كلام الكهنة نثر غير نظم وفيه
سجع وهو مخالف للشعر ايضا فمن قال انه ككلام الكهان فانه ذاهب عن تذكر
ما يبنى عليه كلامهم من السجع الذي يتبعون فيه المعاني الفاظهم وحق اللفظ ان
يكون تابعا للمعنى وهو ما عليه كقوله عز وجل امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها
انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون
فلو تذكر قائل هذا القول ان هذا النثر مخالف لكلام الكهنة فيما ذكرنا لما قال انه
قول كاهن فلذلك عقبه بقوله قليلا ما تذكرون سورة سأل سائل الآية الاولى
منها قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم
غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك في جنات
مكرمون وقال قبل في سورة المؤمنين والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم

لامانتهم وعهدهم راعون والذين هم ح

لما اخبر الله تعالى في هذه السورة عن طباع البشرية فقال صح

للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم على
صلوتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
للسائل ان يسأل عن الآية المتجاورة في السورتين لفظا ومعنى وعن اختصاص سورة
سأل سائل بقوله والذين هم بشهاداتهم قائمون وحذفه من سورة المؤمنين الجواب
عن ذلك ان يقال ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير
منوعا وكان معناه انه خلق مسرعا الى ما يلذه غير متماسك عما يشتهيه وان كان مكروهه
فيه وكان مفرطا في ذلك فان مسه شر اشتد له قلقه وان مسه خير سخت به نفسه ثم استثنى
من هؤلاء بعد ان وصفهم بخصال مذمومة مفرطة في معايبها من يفرط فيما يضادها
ويبالغ من طاعة الله فيما يخالفها فقال الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون
اي الا الذين يؤدون الصلوة ويقيمونها ويديمونها ثم اكد ذلك في آخر هذه الآية تأكيدا
عليها بقوله والذين هم على صلاتهم يحافظون ومحافظتهم عليها مراعاتهم لها
لاوقاتها وقيامهم بحقوقها المفروضة قبلها والمفروضة عند افتتاحها والمفروضة عند
جملة حدودها الى حين اختتامها فهذا في وصف المصلين وبعدهم المزكون والذين
هم في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم يعطون ما يجب عليهم من زكوات اموالهم
من يسألهم ومن يترك المسألة تحرم مثل ما يعطاه السائل وهذه ايضا مبالغة في وصف
من يتكفف احوال الفقراء فيعطيهم لما يعلمه من حاجتهم لا لما يشاهد من الحاحهم عن
مسألتهم وبعده والذين يصدقون بيوم الدين اي يؤمنون بالبعث والحساب
والجزاء ثم اتبع ذلك التوكيد بقوله والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ومن صدق بيوم
الدين اشفق من عذاب الله على سيئات اعماله فاذا انهم يصدقون بيوم الدين وهم يتقون
عذاب الله فيعملون الصالحات طلبا للنجاة منه وبعده والذين هم لفروجهم حافظون

الا على

الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ثم بالغ في تحذيرهم بان قال فمن ابتغى وراء ذلك
فاولئك هم العادون اي من خرج عن هذا الحد الى ما وراءه وذلك شامل للجهات كلها
فاولئك خارجون عن الحق الى الظلم وهذه الآية جاءت في سورة المؤمنين وبعدها في
السورتين والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون فوصفهم بانهم بانهم يرعون امانات
الله عندهم وامانات الناس لديهم وعهودهم قبلهم ثم خص الآية في سأل سائل واجرى عليه الآيات
التي قبلها من المبالغة في الطاعات التي ضمنت ذكرها فقال والذين هم بشهاداتهم قائمون
اي يؤدون بعد الامانات التي في رقابهم وذممهم الامانات التي في ذمم غيرهم وشهاداتهم
شهاداتهم من صفة من يؤدي الامانات التي تخصه الى مستودعيها واردفه من يؤدي الامانات
التي يثبت حقوق على غيرهم فكان من المبالغة التي تقتضيها الآيات المتقدمة ذكر الشهادات
عقيب الامانات وقوله اخيرا والذين هم على صلوتهم يحافظون مردود الى الآية الاولى
وقد بيناه ذلك اتم الا فان قال قائل كيف يصح ان يقال خلق الانسان هلوعا جزوعا منوعا
وهذا يوجب ان لا يكون الهلع والجزع والمنع موجودة فيه في حال خلق الله له وليس هو
كذلك لانه يشعر بهذا الطفولية قلت اجيب عن ذلك بان قيل معناه خلق حيوانا ضعيفا
لا يصبر على الشدائد اذا دامت عليه فاجراه الصفة عليه في حال الخلق توسع ومجاز والجواب
الذي اذهب اليه ان الهلع اصله التسرع والقلق نحو الشيء فالحريص هلوع اي يتسرع الى
تمكين الخزن من نفعه وادخال المه على عدله فالحريص هلع اي يتسرع الى تمكين الخزن من
نفعه وادخال يتسرع الى مشتهاه اتباعا لهواه وان لم يكن فيه زيادة والانسان في
حال صغره مطبوع على هذه الخلال لانه يتسرع الى الثدي ويحرص على الرضاع وان
مسه الم جزع وبكى وان تمسك بثدي فزوحم فيه منع بما في قدرته من اضطراب وبكاء
فلا يزال يفعل ذلك حتى يؤدي اليه الجبر الذي كان له ثم هو على ذلك الى آخر عمره
والهلع في كلام العرب اصله القلق والتسرع في الحرص والجزع يقال ناقة هلوع اي سريعة

وعلمان هو الهاع اي متسرعات واذا كان كذلك لم يكن الهلوع والجزوع والمنوع مجازا
ويتبين ذلك بالمبالغات التي هي في الخصال المذمومة وآراد انها بالمبالغات في الطاعات
المحمودة الآيات التي في هذه السورة من الآيات التي في سورة المؤمنين التي لم تتقدمها
مبالغات في مساوي الاخلاق فان كمال الحكمة في خلق الانسان على مساوي الاخلاق
قبل الحكمة في خلق شهوة القبيح ليمانع نفسه اذا نازعته نحوه ويجاوب شيطانه عند تزيينه
معصية فيستحق من الله الثواب ويستحق عليه جنته وهذا واضح لمن تدبره **سورة نوح عم**
الآية الاولى منها قوله تعالى ولا تزد الظالمين الا ضلالا وقال في آخر السورة ولا تزد الظالمين
الا تبارا للسائل ان يسأل عن الاول واختصاصه بالاضلال وعن الثاني واختصاصه بالاهلاك
الذي هو التبار الجواب ان الاول جاء بعد قوله ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا
كثيرا المعنى انهم قالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا فامروا اتباعهم بالتمسك بعبادة
هذه الاصنام فاضلوهم عن الطريق الرشاد ودعا عليهم نوح عليه السلام بان يضلهم
عن الثواب بعد استحقاق العذاب متجاوز قوله وقد اضلوا كثيرا واما الاخير فان معناه
زدهم هلاكا على هلاكهم وعذابا فوق عذابهم بما واخوا عليه القيمة من كفر وضلال وذلك عند
دخول النار فاقتضى كل من المكانين ما جاء فيه وليس في سورة الجن ولا في سورة المزمل شيء من ذلك
سورة المدثر الآية الاولى منها قوله تعالى انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم نظر للسائل ان يسأل
عما تكرر من قوله قدر في ثلث مواضع وعن الفائدة فيها الجواب ان يقال كان الوليد
بن المغيرة لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم قدر ما اتى به من القران فقال ان قلنا شاعر
كذبتنا العرب اذا قدرت ما اتى به على الشعر ولم يكن اياه وكان يقصد في هذا التقدير تكذيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب من الاحتيال الذي يمكنه تجويزه على العقلاء فلذلك كان
كل تقدير مستحقا العقوبة والله تعالى في كل قتل اهلاكا له فهذا معنى فقتل كيف قدر اي اهلك
هلاك المقتول كيف قدر اي هو في تقديره ونظره غير طالب للحق هل هو متبت في باطل

وان كان

وان كان القران ليس بشعر ولا يجوز مثله على من عرف النظم والنثر فهو ما يصدق في ذلك
قاصدا الى تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم بوجه آخر يدعيه على ما اتى به وقوله ثم قتل كيف قدر
اي انه قال وليس ما اتى به من كلام الكهنة فان ادعينا ذلك عليه كذبتنا العرب اذا رووا
هذا الكلام للكهان فهو في تقديره له على كلام الكهنة مستحق من العقوبة بما هو كالقتل مخالفا للكلام صح
اهلاكا له فهو في نفيه عن القران الاقسام الفاسدة قاصدا الى ابطال والى ثبات ما لم
لا يصح اثباته وهو قول الله تعالى حاكيا عنه فقال ان هو الا سحر يؤثر واذا كان كذلك
لم يكن في اعادة قدر تكرارا بل المعنى ما ذكرنا من تعلق كل تقدير بمقدر غير الاول الفائدة
تختصه جديدة الآية الثانية منها قوله تعالى كلا بل لا يخافون الآخرة كلا انها
تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله وقال في سورة الانسان ان هذه
تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤون الا ان يشاء الله ان الله كان
عليما حكيما للسائل ان يسأل عن اختلاف المكانين وقوله فمن شاء ذكره والهاء مذكر ضميره صح
والهاء تعود على مؤنث الجواب ان يقال التذكرة مصدر من ذكرت اذكر تذكيرا
وتذكرة كما يقال قدمت تقديما وتقدمة وكرمت تكريما وتكرمة فلما كانت الآيات المتقدمة
فواصلها في الوقف ها كقوله حمر مستنفرة فرت من قسورة وصحفا منشرة كلا بل لا
يخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره اي من شاء انتفع به فيكون ذاكرا له ومن
لم ينتفع به فهو كالناسي له واما قوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا فمعناه فمن شاء ذكر
لان من انتفع بالذكر سلك سبيل الطاعات التي تؤدي الى ثواب الله فعدل الى قوله
اتخذ الى ربه سبيلا للتوفيق بين الفواصل من هذه السورة اذ كانت مردفة بياء او واو
منقطعة بالالف فحصل في المكانين المعنيان متفقين مع ملائمة الفواصل في الموضعين
سورة القيامة الآية الاولى منها قوله تعالى فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس
والقمر للسائل ان يسأل عما اعيد من لفظ القمر في الفاصلتين الجواب ان يقال

قال برق البصر أي تلألأ ولمع لهول ما شاهد وهذا يلحق العيون عند شدة
الأمر والقمر يجوز أن يراد به بياض وخوفه غشاوته والبياض فوق الحدقة يغيب العين صح
إذا انقلبت العين حتى يعلو البياض الذي تحت السواد ويكون قوله وجمع الشمس والقمر يجوز
أن يكون المعنى جمعا في مكان يقرب من المكان الذي فيه الناس ويجوز أن يكون المراد
جميعا في سلب الضياء وفقد النور فعلى هذا لا يكون القمر مكررا إذا أريد بالثاني
غير الأول ولا يكون معيبا إذا أريد به الأول أيضا لأنه أخبر عنه بغير الخبر الأول والآية
التي ليس حالها أمثالها يجوز أن يقام ظاهرها مقام مضمرها كقوله لا أرى الموت يسبق
الموت شيء ينغص الموت ذا الغنى والفقيرا فهذا في كلام واحد في الثلث والأول في كلامين
وهو أحسن في مثله ولله ما في السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور الآية الثانية
منها قوله تعالى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى للسائل أن يسأل عن تكريره ذلك وعن
الفائدة فيه وعن حقيقة اللفظ واشتقاقه الجواب أن يقال اللفظة مشتقة من ولي
يلي ذا قرب منه قرب مجاورة فكأنه قال الهلاك قريب منك قرب مجاور لك بل هو أولى وأقرب
وأما التكرير لفظا فغير معيب إذا لم يتكرر معنى فالأول يراد به الهلاك في الدنيا والثاني بعد
ثم يراد به الهلاك في الأخرى وعلى هذا يخرج عن التكريرات المعيبة فاعرفه سورة الإنسان
الآية الأولى منها قوله تعالى ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قواريرا
من فضة قدروها تقديرا وقال بعده ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم
لؤلؤا منثورا للسائل أن يسأل عن قوله ويطاف وهو فعل لم يسم فاعله وبعده ويطوف
وهو فعل يسمى فاعله وعن اختصاص كل من المكانين بواحد منهما وعن الفائدة
فيه الجواب أن يقال إن القصد في الأول إلى وصف ما يطاف به من الأواني دون
وصف الطائفين فلما كان المعتمد بالإفادة ذاك بني المقصود له ذكر المفعول لا الفاعل الفعل صح
فقال بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة أي الآنية من فضة
صفاؤها كصفاء القوارير لا يمنع أن يرى ما وراءها وقد قدرت على صفة فجاءت على ما قدرت

وقفا

وفق المنية التمني وقد قدرت تقديرا ما يسع الري وقيل قدرت على ما يريد الشارب أن يكون
عليه لا زيادة ولا نقصان ثم قال تعالى ويسقون فيها فوصف بعد الآنية التي تسبق العين
إليه ما يحويه من مشروب وطيب فلذلك لم يسم فاعله ويطاف لأنه جاء بعد قوله وذللت
قطوفها تذليلا وأما الموضع الثاني الذي سمي الفاعل وهو قوله ويطوف عليهم ولدان
مخلدون فإن القصد فيه إلى وصف الفاعلين الذين يطوفون بهذه الآنية فوجب ذكرهم
لتتعلق الصفة بهم فقال تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون وفي مخلدين
ثلاثة أقوال باقون لا يموتون أبدا وقيل مبقون على هيئة الوصفاء فلا يشيبون
وقيل مخلدون محلون والخلدة القرط وقوله إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا
في صفاء ألوانهم وضياء وجوههم وحسنهم وإشراقهم وماء النعيم المترقرق فيهم
وإذا كان كذلك أوجب ما بني عليه الكلام أن لا يسمى الفاعل في الأول ويسمى في الثاني
كما جاءت الآيتان سورة والمرسلات الآية الأولى منها قوله تعالى ويل يومئذ
للمكذبين عشر مرات وتخصيص بعد كل منها بما قرن إليها والفائدة في تقديم ما بعد الأولى
عليها بعد الثانية ثم السؤال في الجميع على هذه الطريقة الجواب أن يقال إن
هذه السورة مقصورة على إثبات ما أنكره الكفار من البعث والإحياء بعد الموت
والحساب والعقاب وتخويف المكذبين بما رجعوا عنه وتمسكوا بالحق دونه فأقسم
في أول السورة بما أقسم إنما توعدون لواقع في يوم الفصل بين المسيء والمحسن
والعاصي والمطيع فاحتج على المكذبين فيما بين يليه من المنكرات بما يحجهم بعد قوله وما
أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين أي ويل لمن كذب بيوم القيمة وهو اليوم
الذي يفصل فيه بين المحسن والمسيء بأعظم المثوبة وأشد العقوبة وبدا بعد الآيات
الويل في الآخرة لمن كذب بها بذكر من أهلك من أمم الأنبياء الأولين كقوم نوح
وعاد وثمود ثم أتبعهم الآخرين الذين أهلكوا من بعدهم كقوم إبراهيم وقوم

قوم نوح وعاد وثمود فحذرهم بما لا يقع بهم كما وقع بمن عمله مثل عملهم فقال بعد صح

لوط واصحاب مدين الى فرعون وملائه ثم توعد المجرمين من امة محمد صلى الله عليه وسلم

في التكذيب صح
على امثالهم صح

وانهم يلحقون بامثالهم اذا استمروا في الحكم بنوح عليها بهم فكان ذلك زجرا بالغا بما صح عندهم

من اخبارهم كما قال تعالى الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود فحذرهم

بما لا يقع بهم كما وقع بمن عمل مثل اعمالهم فقال بعد ذلك ويل يومئذ للمكذبين

بالآخرة بعد ان احتج عليه من هذه الآية باهلاك الامة بعد الامة وانهم على اثرهم

في الهلاك ان اقاموا على الاشراك ثم احتج به عليهم في الثانية بقوله الم نخلقكم من ماء

مهين اي جعلناه اثره وما تشاهدون من اقل ما تعرفون وهو النطفة التي اودعها

في الرحم ونقلها حالا بعد حال حتى بلغ حد التمام والكمال واستوا جوارح ووصل

مفاصل واجرى بهذا التقدير في جميع ما يولد من الحيوان وخلق منها مجاري

اغذيتهم ومسارب القوة المستفادة من اكلهم فدل بما نبه عليه من النشاءة

في الابتداء على النشاءة الثانية للانتهاء فقال ويل لمن كذب به بعد لزوم الحجة

له ثم احتج عليهم في الثالثة بقوله الم نجعل الارض كفاتا اي جعلناها تضم احياءهم

وامواتهم بما تخرج من اقواتها وتواري امواتها كما قال منها خلقناكم وفيها

نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى هذا اما قام فيها من الجبال الثوابت الرفيعة

التي هي اوتاد الارض وما اجرى فيها للحيوان من الماء العذب وفي كل ذلك دليل

على قادر عليم وصانع حكيم لم يخلق الناس عبثا ولم يتركهم سدى وهو كما يبدي يعيد

ليحق منه الوعد والوعيد ثم قصرت بنيته على ما يكون من تبكيتهم على ما كذبوا به

عند مشاهدتهم له وهي انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون اي يقال لهم يوم القيامة

ذلك والثاني من هذه الثلثة هذا يوم لا ينطقون والثالث هذا يوم الفصل

جمعناكم والاولين فامر والاولا بالانطلاق الى ما كذبوا به وفي الثاني معناه

اليها وامتازوا اليوم ايها المجرمون لانكم جمعتم ليوم يفصل فيه بين المطيع والعاصي

فلا عذر لكم ولا حجة فقد اعذر الحكم في الدار الاولى من ملككم وفي الثاني معناه هذا يوم الفصل كو نعناه معنى قوله صح

والمحق

والمحق والمبطل ومعنى قوله فان كان لكم كيد فكيدون اي كنتم تغضبون وتحظون

بمخالفة ما امركم به واليوم قد عجزتم عن انفسكم فان قدرتم على ما كنتم تفعلونه

قبل فافعلوا كما قال ويدعون الى السجود فلا يستطيعون وبقيت اربعة بعد صح

اولها وصف اهل الجنة وانهم يجازون باعمالهم ويصيرون الى ثمرات افعالهم

وبعد الثاني خطاب لمن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ومبالغة في زجرهم وانهم في

ايثارهم العاجلة الفانية على الآجلة الباقية من جملة المجرمين الذين قال صح

فيهم عند مفتتح هذه الآي كذلك نفعل بالمجرمين فرجع عجز الكلام الى صدره لقوله كلوا

وتمتعوا قليلا انكم مجرمون وبعد الثالث خبر عنهم انهم يكرهون التجنية كما حكى عن

هند بنت عتبة رضي الله تعالى عنها لما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح

يا هند كيف ترين الاسلام قالت بابي وامي ما احسنه لولا ثلث خصال قال وما هي قالت

التجنية والخمار وزقي هذا العبد الاسود فوق الكعبة قال صلى الله عليه وسلم اما التجنية

فانه لا صلاة الا بركوع واما قولك الخمار فلا شيء احسن ولا استر من الخمار واما قولك في

هذا العبد الاسود فوق الكعبة فنعم عبد الله هو يقال حنى الرجل تجنية اذا ركع ومنه

قوله ٥ كان خطية اذا ما حنى ٥ فروجتان تلقطان حبا ٥ وكراهيتهم للتجنية من

اجل ما حكي عن احدهم انه قال اكره ان يعلون استي ومعنى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون

اذا دعوا الى الصلاة لم يصلوا الا بحجة ولا شبهة ولكن الباطل نحو ما حكينا وقيل لم

يصلوا لجهلهم بما في الصلوة من المنافع لصاحبها وقيل لم يصلوا التكذيبهم بوجوبها

وبعد الرابع قوله فباي حديث بعده يؤمنون اي اذا كذبوا بالقران المتضمن لوجوب

الصلوة وبذل غاية الخضوع بالسجود والركوع لمن له غايات الاحسان فلم يعد قوله انه

من عند الله مع ما قارنه من واضح البرهان فلاي كلام يسمحون بالايمان ومعنى قوله

اركعوا اي صلوا وقوله تعالى ويؤتون الزكوة وهم راكعون اي مصلون واذا كان

قوله ويل يومئذ للمكذبين ردف كلام يدل على ما يجب تصديقه وترك التكذيب به وكانت
المعاني مختلفة سلم من التكرار وعلى الترتيب الذي رتبنا يتبين ما يختص بالتقديم
بما يختص بالتأخير **سورة عم يتساءلون** الآية الاولى منها قوله عز وجل كلا
سيعلمون ثم كلا سيعلمون للسائل ان يسأل عن تكرار ذلك وفائدته الجواب
ان يقال ان الله تعالى قال في الاولى وعيد بما يرونه في الدنيا عند فراقها من مقرهم
والثاني وعيد بما يلقونه في الآخرة من عذاب ربهم واذا لم يرد بالثاني ما اريد بالاول لم يكن
تكرارا وقيل الاول بوعد القيمة وهولها والآخر توعد بما بعدها من النار وحرها
الآية الثانية منها قوله تعالى الا حميما وغساقا جزاء وفاقا وقال في وصف اهل الجنة
وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا للسائل ان يسأل عن
الجزائين ووصف الاول منهما بانه وفاق ووصف الثاني بانه حساب وهل يصح ان يقال
في العطاء وفاقا وفي العقاب حسابا الجواب ان يقال ان الله تعالى قال من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها فلما كانت الحسنة باضعافها استعمل في جزائها انه عطاء يكفي معطى
ويبلغ من مطلوبه منتهاه وقال عطاء يحسبه ويكفيه فيما يريده ويشتهيه ويغنيه عن
طلب زيادة اليه واذا كان كذلك لم يصلح الكل مكان الآخر ما استعمل فيه **سورة
والنازعات** الآية الاولى منها قوله عز وجل فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر
الانسان ما سعى وقال في سورة عبس فاذا جاءت الصاخة للسائل ان يسأل عما سماه
الطامة الكبرى وعما سماه الصاخة وهل يصلح ان يستعمل الاول مكان الثانية والثانية
مكان الاول الجواب ان يقال ان الطامة تستعمل في الشدة التي تنسى لها
الشدائد فتنظر على ما تقدمها اي تستره وتغطيه ومنه يقال طم البئر اذا كبسها والطم
الكبس والقيامة الطامة لانها تنسي بشدتها ما تقدم من شدائد الدنيا حتى يصير الناس
فيها كما قال الله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها اي تصير

ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها صح
والسيئة بمثلها ح

الشدايد

الشدائد الدنيا عندها محتقرة وبمنزلة ما لم يرده الا ساعة كعشية او ضحاها
وانما استعمل الطامة الكبرى في هذه السورة لان فيها ذكر ما اتى به فرعون من الطامة
الكبرى في الكفر حيث قال انا ربكم الاعلى فهذه في الكبائر كشدائد الآخرة في الشدائد فكانه قرن
اي ذكر الكبيرة الموفية على امثالها ذكر الطامة الكبرى واهوالها واما الصاخة فهي صيحة
تصك الاذن فتصمها ويقال صخ الغراب بمنقاره في دبرة البعير اي طعن فالصاخة
صيحة بشدة صوتها تحيي لها الناس كالصيحة الشديدة التي يتنبه لها النوام فلما تقدم
في هذه السورة من حال الانسان ما نطق به قوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره
كان للانسان الصاخة التي تطعن الاذان فيقضي الله عندها احياء الموتى فقابل
الآيات الاولى التي في السورة الاولى ما شاكلها والآيات في الآخرة ما شاكلها فلم ير
ما في سورة عبس في سورة في السورة التي قبلها **سورة التكوير** قوله تعالى
واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت وقال في سورة انفطرت واذا البحار فجرت واذا
القبور بعثرت للسائل ان يسأل عن اختصاص الاول بقوله سجرت واختصاص الثانية
بفجرت الجواب ان يقال ان الافعال التي جاءت بعد اذا في السورة الاولى
من جملتها واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت ولم يكن ذلك في السورة الثانية ومعنى
سجرت البحار اوقدت فصارت نارا كما تسجر التنور وقيل المراد بها بحار في جهنم ملأ
حميما ليعذب بها اهل النار فكان ذكر هذا المعنى حيث وقع التوعد بتسعير الجحيم
اولى واما قوله واذا البحار فجرت فانما معناه تتبع عيونها فانسح حتى فاضت على وجه
الارض فتساوى بالماء لج البحار وشعب الجبال وكان اولى بهذا المكان لان قبلها خبرا
عن الاشياء التي يحكم الله بازالتها عن اماكنها كقوله اذا السماء انفطرت ومعناه انشقت
كما قال تعالى فاذا السماء انشقت فكانت وردة كالدهان وبعده اذا الكواكب
انتثرت وبعدها واذا البحار فجرت فبازاء انتثار الكواكب انفجار البحار فكان

الاخبار عنها بهذا المعنى اولى بهذا المكان لتقدم ما يشبهها من التغيير مما هو تزيل
عن مكانه من بعثرة القبور الآية الثانية منها قوله تعالى علمت نفس ما احضرت
وقال بعدها في سورة انفطرت علمت نفس ما قدمت واخرت للسائل ان يسأل فيقول
قال الله تعالى اذا كانت القيامة وغير الله ما به قوام الدنيا مما يريد من ابطالها
وتجديد امر الآخرة عندها حينئذ تعلم نفس ما احضرت وقال في سورة انفطرت
تعلم نفس ما قدمت واخرت فهل يصح مكان ما احضرت ما قدمت واخرت فيجاب اذا الشمس
كورت بما اجيب به اذا السماء انفطرت ام لخصوص الفائدة يوجب تخصيص
اللفظة والجواب ان يقال ان الاول لما جاء بعد ذكر النار والجنة وهو قوله
واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت اي عملت عملا يستحق به
الجنة ام عملا يستحق به النار وذلك اذا نشر الكتاب ووفي الثواب والعقاب واما
الثاني فانه معنى قوله واذا القبور بعثرت اي قلب ترابها وجعل اسفلها اعلاها
باخراج مواتها فلما كان آخر شرط انقطع الى ذكر الجزاء ما يتضمن لفظا اذا انقضى
اولى من غيره وهو علمت نفس ما قدمت واخرت وقيل معناه ما اقامت من طاعة
الله وما تركت وقد علمت نفس جميع ما عملته مدة عمرها في الدنيا ما فعلته في اول
شبابها وما فعلته آخر ايامها وقيل معناه ما قدمته من عملها الذي انقطع
بانقطاع حياته وما اخرت من سنة سنتها فعمل بها بعدها واذا كان كذلك فقد
قرن الى كل شرط جوابه كالمرقوم الذي اشبه لما قاربه واولى بما قاربه قد مر
ما في سورة انفطرت سورة المطففين الآية الاولى منها قوله تعالى في كتاب الفجار
كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين
وقال في كتاب الابرار كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب
مرقوم يشهده المقربون للسائل ان يسأل عن قوله كتاب مرقوم وانقطاعه الى قوله

ويل

ويل يومئذ وانقطاع الثاني الى قوله يشهده المقربون الجواب ان يقال قوله في
سجين فسر على وجوه قال ابو عبيدة سجين شديد ومنه قول ابن مقبل ضربا تواصى
به الابطال سجينا اي شديدا وهذا احتمل على وجهين في حبس شديد لشدة السجن
ليدل به على خساسة منزلتهم وفي سجين اي امر شديد عذابه وغمه وقيل في سجين
في الارض السابعة وقيل في سجين اي في سجن تخليد والبناء للمبالغة اي كتاب
سيئاتهم توجب تخليد حبسهم وقيل كتابهم لما دام التقريع بدوام عقابهم لم
ومعنى قوله وما ادراك ما سجين اي ليس هذا مما كنت تعلمه انت ولا قومك
لولا ما اتاك به الوحي من عندنا ثم فسر فقال كتاب مرقوم اي كتاب معلم
بعلامة تدل على دوام خوفهم واتصال عذابهم بما فيه من سيئاتهم ثم قال
ويل لهم لانهم كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واما قوله كلا ان كتاب
الابرار لفي عليين اي في مراتب عالية محفوفة بجلاله فلما فضلت الرتب
دل على عظم شأنها فجمعها بالواو والنون تشبيها لما يخاطب وقيل عليون
السماء السابع وفيها ارواح المؤمنين وقيل عليون علو على علو مضاعف
واحد على كثير وسكير وخمير فكانه كالاعلى الامكنة ثم جمع بالواو والنون
لتفخيم شأنه وقيل هذا جمع لما لا يحذف واحده كثلثين واربعين فثلثون
كان لفظه لفظ الجمع ثلث قال الزجاج وهو كما قال الشاعر قد شربت
قد شربت الا دهيدهينا قليصات وابيكرينا فكان دهيدهين وهي حاشية
الابل وصغارها وابيكرين جمع ابيكر واحده معلوم العدد وقوله في كتاب
مرقوم يشهده المقربون اي كتاب معلم بعلامة تدل على ما تقر اعينهم ويوجب
دوام سرورهم بما اودع من حسناتهم المفضية بهم الى جناتهم وكان رقم
كتاب كتب الابرار ما يوجب المصير الى غرف الجنان ورضى الرحمن فانقطع

الى ما يوجب الويل لهم ورقم كتب الابرار ما يوجب المصير الى غرف الجنان ورضى
الرحمن فانقطع الى ذكر ما شاهدة المقربين وتبشره بدوام النعيم لصاحبه
الآية الثانية منها قوله تعالى ويل للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين
للسائل ان يسال عن افراد هذا في هذه السورة مع تكراره في سورة والمرسلات
عشر مرات الجواب ان يقال قولهم ويل لهم كلمة تقال لكل من وقع في هلكة لا يرجى
خلاصه منها وهي في سورة المرسلات قد بينا وجه الفائدة فيما اعيد منها وهي في هذه سورة
مذكورة مرة واحدة لانها مقصورة على الترهيب من النار ووصفها ومعاقبة اهلها
وعلى الترغيب في الجنة ونعيم اهلها ليس في السورة غير هذين المعنيين فلما جردت
لهما ذكرت الكلمة عند ذكر ما كتب على المكذبين واعلم به كتابهم بما يكون اليه مآبهم ثم
شرع في وصف كتاب الابرار ومحله وبتعيد جزائهم وجزاء غيرهم فاكتفى بذكر
الكلمة مرة لما بني عليه الاختصار **سورة انشقت** الآية الاولى منها قوله تعالى اذا السماء
انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت واذنت
لربها وحقت للسائل ان يسال عن تكرير قوله واذنت لربها وحقت الجواب
ان يقال ان الاول للسماء والثاني للارض اما ذنت بالانصداع فسمعت وانقادت
لامر الله تعالى وانصدعت وحق لها ان تسمع وتطيع ومعنى اذنت سمعت كانها
سمعت باذن قال عدي ٥ وسماع ياذن الشيخ له ٥ وحديث مثل ماذي مشار ٥
وقوله واذا الارض مدت اي بسطت بانتساف جبالها وتطاطو آكامها وتلالها والقت
ما حولها من المعادن والموتى والكنوز وتخلت منها كما تتخلى المراة الحامل من حملها اذا
القت ما في بطنها وسمعت واطاعت وحق لها ذلك يقال وحقت فهي محقوقة وحقيق بكذا
ويقال ايضا حق لها ذلك فالاول لغير ماله الثاني فلا يكون تكرارا الآية الثانية
منها قوله تعالى بل الذين كفروا يكذبون والله اعلم بما يوعون وقال في سورة البروج

بل الذين

بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط للسائل ان يسال عن اختصاص الاولى
بقوله يكذبون والثانية بقوله في تكذيب والجواب ان يقال معنى قوله يكذبون
وهم في تكذيب واحد واختلف اللفظان لاختلاف الفواصل في السورتين الا ترى ان
قبل الاولى فما لهم لا يؤمنون واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون فقال بل الذين كفروا
يكذبون فكانت الفواصل التي تقدمتها على يفعلون فجعلت هذه تابعة لها مع صحة
المعنى واللفظ والثانية في فواصل مردوفة بما او واو وهي قوله هل اتاك حديث الجنود
فرعون وثمود فقال بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط وعلى ذلك بنيت
السورة فكان حملها على نظايرها من السورة اولى مع صحة اللفظ والمعنى وما في سورة
البروج قد ذكر قبلها ٥ وليس في الطارق ٥ والاعلى والغاشية والفجر شيء من ذلك
سورة البلد الآية الاولى منها قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد
للسائل ان يسال عن تكرير البلد وجعله فاصلة في الآيتين وهل ذلك مما يرتضى في
البلاغة ويعد في جملة الفصاحة الجواب ان يقال اذا عني بالثاني غير
المقصود بالاول من وصف يوجب له حكما غير حكم الاول كان من مختار الكلام
فالبلد الاول قصد به وصف لم يحصل في الثاني وهو مكة لان معناه اقسم بالبلد
المحرم الذي جبلت على تعظيمه قلوب العرب فلا يحل فيه لاحد ما احل النبي صلى الله
عليه وسلم فقوله وانت حل اي محل احل لك منه ما حرم على غيرك فصار المعنى
اقسم بالبلد المحرم تعظيما له وهو مع انه محرم على غيرك محلل لك اكراما لك من تلك فالبلد
الاول محرم وفي الثاني محلل وكان النبي صلى الله عليه وسلم احل له قتل من شاء قتله
حين اذن في قتال المشركين فامر بقتل ابن خطل صبرا وهو متعلق باستار الكعبة
ولم يحل لاحد قبله ولا يحل لاحد بعده ما احل له واذا كان كذلك صار الثاني معينا
به غير ما عني بالاول فكانه ذكر وصف غير وصفه المتقدم فجمع فوايد من تعظيم البلد وتعظيم

والله من ورائهم

النبي صلى الله عليه وسلم حين ابيح له ما حظر منه على من سواه وقيل احلت له ساعة
من نهار ولم تحل لغيره الآية الثانية قوله تعالى ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان
في كبد فقال بعده أي والتين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم للسائل ان يسأل
عن اختلاف ما بعد قوله لقد خلق الانسان في الموضعين وصلة الاول بقوله في كبد
والثاني بقوله في احسن تقويم والجواب ان يقال قوله لقد خلقنا الانسان
في كبد فيه اقوال اولها في شدة نصب يكابد امر الدنيا وامر الآخرة والثاني في
انتصاب قامته وسائر الحيوان كالمنكب على وجهه غير منتصب والثالث هو مخلوق
في شدة امر تكوينه اولا في الرحم في ظلمات ثلث ثم ينتقل الى القماط والرباط ثم هو
عند البلوغ على الخطر العظيم مما يقوده اليه عمله من جنة او نار فالدنيا له دار
كد ومشقة والآخرة له دار راحة ونعمة ان وافاها بما كلف من طاعته والرابع
انه خلق في بطن امه وراسه قبل راسها منتصبا كانتصابها فاذا ارادت الولادة
انقلب الراس الى اسفل فولد ان لم يولد فيخرج رجله قبل راسه وذلك نادر والاول
عام شايع فهذه الاوجه الاربعة تعم جميع الناس لا يستثنى منها احد منهم ثم خص
بعض الكفار بالذكر عن هذا العموم فقال أيحسب ان لن يقدر عليه احد فلما
تقدم القسم بوالد وما ولد وفيه قولان آدم وولده والقول الثاني كل والد ومولود (كل صح)
قرن الى القسم العام ما يشبهه من الجواب العام واما قوله والتين والزيتون فقد قيل
فيهما ان التين دمشق والزيتون بيت المقدس وقيل جبل عليه دمشق وجبل عليه بيت
المقدس وقيل مسجدان فالتين مسجد نوح عليه السلام وقيل مسجد دمشق وقيل التين
الذي يوكل والزيتون الذي يعتصر فالقسم واقع باشيا مخصوصة من غيرها علق (بقاع اخر صح)
بجواب وقع فيه تخصيص بالاستثناء وهو لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه
اسفل سافلين الا الذين آمنوا اي خلقناه في احسن صورة ثم رددناه يعني الكافر

الى اقبح

حين حطه عن الخلق الى المحطة الاسفل فصار في اوحش منظر بعد ان كان في احسن صورة صح

الى اقبح صورة وقيل في احسن تقويم اي في خلقة قويمة ودلالة على طريقة مستقيمة
ثم رددناه الى ارذل العمر وهو الضعف الذي يفقد معه العلم ولا يمكن فيه اقامة
الطاعات والثبات على العبادات الا المؤمنين فانهم ردوا الى ارذل العمر لم
يكونوا اسفل سافلين لانهم يوفون اوقات العبادات الا المؤمنين فانهم
اذا ردوا الى ارذل العمر لم يكونوا اسفل سافلين لانهم التي كانوا يقيمونها
اذا لم يقدروا مع الضعف التي نقلهم الله اليه اجرهم يدل على ذلك قوله الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون واذا كان معنى الآيتين ه
ما ذكرنا لاق بكل القسم الجواب الذي جاء له ويمكن ان يجاب عن الفرق
بين الموضعين بالعوامل لان القسم في سورة البلد بهذا اللفظ صح
وبقوله ووالد وما ولد سورة الم نشرح قوله تعالى فان مع العسر يسرا
ان مع العسر يسرا للسائل ان يسأل عن فائدة تكراره ان الجواب ان
الله تعالى وعد من في عسر انه يعقبه يسرين وان من كان شدة قطعها
عنه الى نعمة بعد نعمة ولهذا قال عليه السلام لن يغلب عسر يسرين لان العسر
لما اعيد لفظه معرفا كان الاول لم يكن الا اياه ويسرا لما اعيد لفظه نكرة كان
غير الاول واذا لم يكن ذاك لم يكن تكرارا سورة والقلم الآية الاولى (يكن صح)
منها قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق للسائل ان
يسأل عن تكرير خلق الجواب ان يقال خلق بعد الذي عام في المخلوقات
كلها سمائها وارضها ثم استأنف التنبيه على خلق المخاطبين انفسهم فقال
خلق الانسان من علق اذا عرف انقلابه من حال الذرة الى ما يشاهده
بمعرفة حالة الرتبة التي ليست ابعد في نفسه من هذه الثانية واذا صح
كان كذلك سلم من التكرار سورة الهاكم قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا

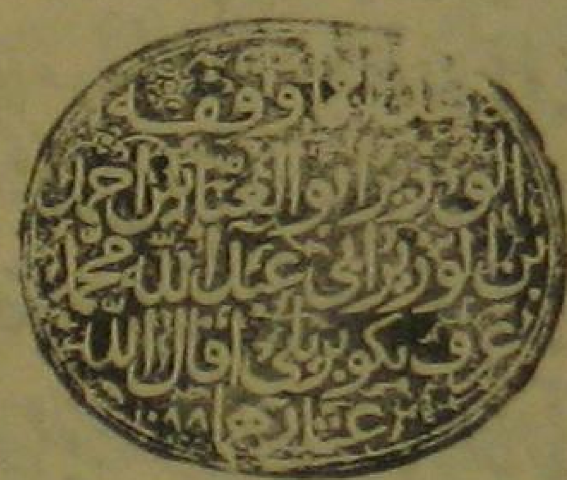
سوف تعلمون للسائل ان يسأل عن تكرير اللفظين والجواب ان
احدهما يوعد بغير ما توعد به الآخر فالاول توعدنا بما ينالهم في الدنيا والثاني
توعد لما اعد لهم في الاخرى وقيل الاول ما يلقونه عند الفراق اذا بشروا
بالمصير الى النار والثاني ما يرونه من عذاب القبر فكلاهما عذاب في الدنيا
الا ان احدهما غير الآخر وهو غلبة في الشدة فلذلك اعيد بذلك اللفظة واذا حمل
على عذاب الدنيا وعذاب الآخرة لم يكن كذلك تكرارا سورة الكافرون ان سال
سائل عن التكرار في هذه السورة فالجواب ان يقال قد اجبنا في جامع التفسير
عن ذلك باجوبة كثيرة نذكر منها واحدا في هذا الموضع وهو ان يقال لا اعبد الاصنام
لعلمي بفساد ذلك ولا انتم تعبدون الله لجهلكم بما يجب عليكم ولا اعبد الهتكم
لتعبدوا الله متناوبة بيننا ولا انتم تعبدون الله من اجل ان يكون سبقت
مني عبادة الهتكم وذاك ان المشركين قالوا له صلى الله عليه وسلم اعبد سنة ما نعبد
ونعبد سنة ما تعبد كي نشترك نحن وانت في امرنا كله فقال في الاول لا يكون مني الله
عبادة الاصنام لعلمي ببطلانها ولا يكون منكم عبادة لجهلكم بانه وحده هو الذي يحق
له العبادة وقال في الثاني ما نفى العبادة التي دعوا اليها متناوبة بينهم فلم يقع تكرار على
هذا الوجه وعلى الاوجه الاخر التي ذكرناها في جامع التفسير سورة الناس ان سال سائل عن
تكرير الناس في فواصل هذه السورة في خمسة مواضع وهي ست ايات ختمت اواخر خمس
منها بالناس وواحدة بالخناس فالجواب عن ذلك ان يقال انما اتصف الله اولا برب
الناس ثم بملك الناس ثم باله الناس لحكمة دعت الى ذلك فاوجبت تقديم الاول وتعقيبه
بالثاني والثالث على ترتيب الذي جاء لان رب الشيء هو القائم باصلاحه وتدبير امره
فيه بتقدمه على ترتيب من نعمه على الانسان لما انشأه ورباه وهذه اول احواله
والثانية انعامه عليه بالعقل الذي يثبت عليه ملكته له فيعلم انه عبد مملوك وان

الذي

الذي بلغ به تلك الحال من حد الطفولية هو الذي يملكه وامثاله فجعل
الوصف الثاني لملك الناس ولما كان بعد ذلك تكليف العبادات
التي هي حق الله على من عرف بنفسه انه عبد مملوك وعرفه عز وجل انه خالقه
وتلزمه طاعته ليلتزم عليه التذلل لمن له اكبر الانعام والتطول جعل الوصف
الثالث اله الناس فصار الناس الذين اضيف اليهم رب كانهم غير الذين اضيف
اليهم ملك والذين اضيف اليهم ملك غير الذين اضيف اليهم اله واذا اريد بالثاني
غير الاول لم يكن تكرارا بل يكون كانه قال قل اعوذ برب الاجنة والاطفال
الذين ربتهم ورباهم وقت الانشاء والتربية حين لم يقدرها اباؤهم على التغذية لهم صح
ومن بلغ بالولدان حد عرفوه فيه بالملكة وانفسهم بالعبودية ثم اله المكلفين
المرضيين لاكبر النعم وهم الذين بلغوا وقاموا بما امروا ما كلفوا فترتب الصفات
تنبيه على ان المراد بالناس دون الاحوال المختلفة في الصغر والترعرع والبلوغ
فيسلم على ذلك من التكرار وتتضمن هذا المعنى اللطيف الذي دل عليه ترتيب الطبقات
تعالى الله وكلامه عن المعاب وقوله الذي يوسوس في صدور الناس الاخيار من الجن
واشرار الناس فقد صار المعنى بكل واحد على صفة غير صفة المعنى بالآخر فكان
غيره وان كان بالجنس يجمع كله الملحدون صح قال المصنف رحمه الله هذا آخر ما تكلمنا عليه من
الايات التي يقصد بها التعرف منها الى معانيها والحمد لله على انعامه باكمال ذلك
واتمامه وصلاته على نبيه محمد واله وانتهى الكتاب عن مائتين وتسع وستين اية
مشتملة على ثلثمائة واحدى عشرة مسئلة والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله
على محمد واله اجمعين ووقع الفراغ منه ليلة الثلث ثالث عشرين جمادى الاولى سنة
احدى وسبعين وستمائة للهجرة النبوية صلى الله على صاحبها وسلم تسليما كثيرا امين
كتبه برسم [illegible] العزيز ملا عثمان حفظه الله تعالى امين سنة احدى وستين بعد الالف
عافانا الله من الفتن واعاذنا بفضله من المحن انه ذو الطول والمنن واسرته الاعمى الى الغرائب مع السنن
فمن استرحم لصاحبه وكاتبه يغفر له
كتبه احمد بن ملا عثمان الكردي
الشافعي عفى عنهما امين

فالمراد بالناس الابرار
وبالناس الثاني الاشرار
وكان المعنى الذي
يوسوس في صدور الناس
صح




وقفه
الوزير أبو العباس أحمد
بن الوزير أبي عبد الله محمد
عرف بكوبريلي أقال الله
عثارهما